جامعـــــــــــة آل البيت

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربيـــــة وآدابها

صورة الطبيعة في ديوان (سقط الزند) لأبي العلاء المعريّ

the Image Of Nature In Abu- AL a, aL Maarris Poetry Collection Entieled , Saqt, al, Zand

إعداد الطالبة:

هبة عبدالكريم التميميّ

(1320301038)

إشراف الدكتورة:

مهـــا عبد القادر مبيضين

قُدّمت هذه الأطروحةُ استكمـالاً لمتطلبات درجـــة الماجســـــتير

بجامعـــــة آل البيـــت

الفصل الدراسيّ الأول للعام 2016/2015م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

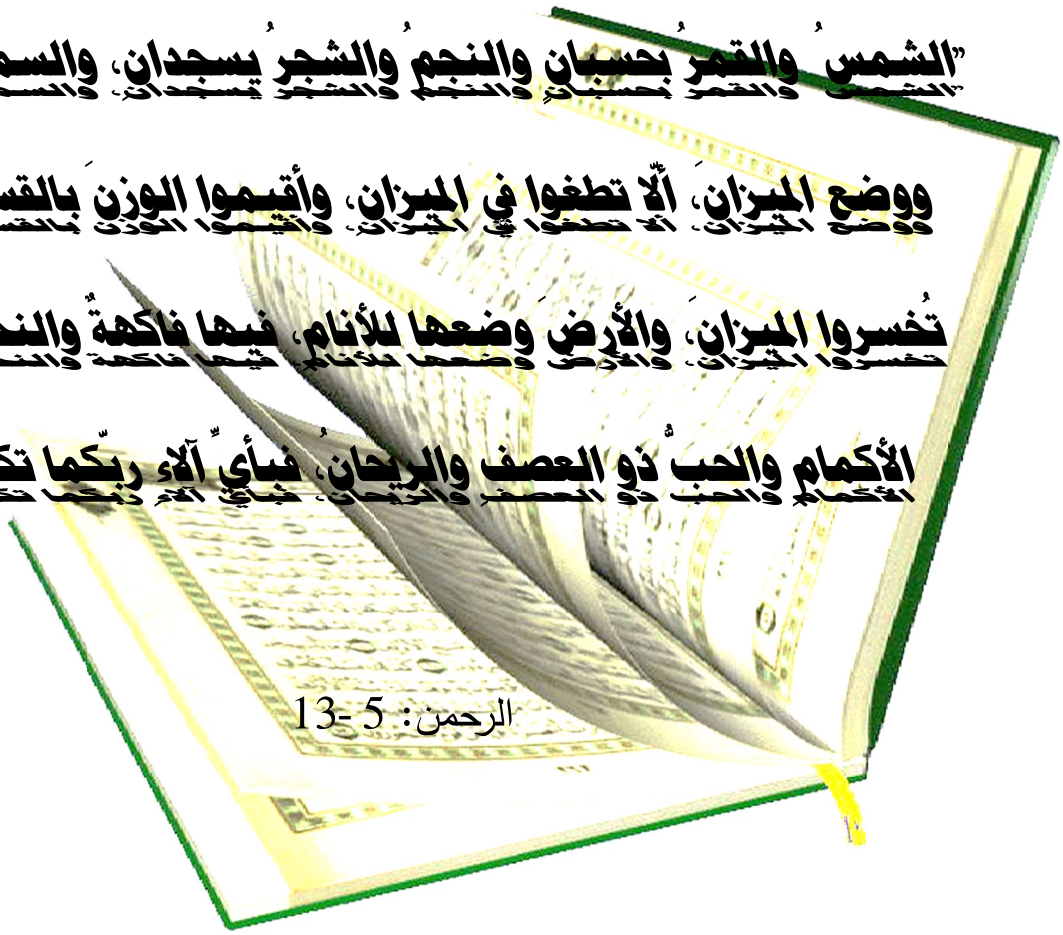

"الشمسُ والقمرُ بحسبانٍ والنجمُ والشجرُ يسجدانِ، والسماءَ رفعها ووضع الميزانَ، ألّا تطغوا في الميزانِ، وأقيموا الوزنَ بالقسطِ، ولا تُخسروا الميزانَ، والأرضَ وضعها للأنامِ، فيها فاكهةٌ والنخلُ ذاتُ الأكمامِ والحبُّ ذو العصفِ والريحانُ، فبأيِّ آلاءِ ربّكما تكذبانِ"

الرحمن: 5 -13

التفويـــض

أنا الطالب: هبة عبدالكريم عبدالله التميمي، أفوض جامعة آل البيت بتزويد نسخ من رسالتي للمكتبات والمؤسسات أو الهيئات أو الأشخاص عند طلبهم حسب التعليمات النافذة في الجامعة.

التوقيع:

التاريخ: / /

الإقرار

أنا الطالبة: هبة عبدالكريم عبدالله التميمي الرقم الجامعي: 1320301038

التخصص: اللغة العربية وآدابها كلية: الآداب والعلوم الإنسانية

أعلن بأنني قد التزمت بقوانين جامعة آل البيت وأنظمتها وتعليماتها وقراراتها السارية المفعول المتعلقة بإعداد رسائل الماجستير والدكتوراه عندما قمت شخصياً بإعداد رسالتي بعنوان:

صورة الطبيعة في ديوان (سقط الزند) لأبي العلاء المعريّ

وذلك بما ينسجم مع الأمانة العلمية المتعارف عليها في كتابة الرسائل والأطاريح العلمية، كما إنني أعلن بان رسالتي هذه غير منقولة أو مستله من رسائل أو أطاريح أو كتب أو أبحاث أو أي منشورات علمية، فإنني أتحمل المسؤولية بأنواعها كافة فيما لو تبين غير ذلك بما فيه حق مجلس العمداء في جامعة آل البيت بإلغاء منحي الدرجة العلمية التي حصلت عليها وسحب شهادة التخرج مني بعد صدورها، دون أن يكون حق لي في التظلم والاعتراض أو الطعن بأي صورة كانت.

توقيع الطالب:..... **التاريخ: / / 2015**

قرار لجنة المناقشة

صورة الطبيعة في ديوان (سقط الزند) لأبي العلاء المعريّ

the Image Of Nature In Abu-AL a, aL Maarris Poetry Collection Entieled , Saqt, al, Zand

إعداد الطالبة:

هبة عبد الكريم عبدالله التميمي

الرقم الجامعي ١٣٢٠٣٠١٠٣٨

إشراف الدكتورة

مها عبد القادر المبيضين

أعضاء لجنة المناقشة		التوقيع
د ة. مها عبد القادر المبيضين	(مشرفاً ورئيساً)	
د. عبد الرحمن محمد الهويدي	(عضواً)	
أ. د. أمين يوسف عودة	(عضواً)	
أ. د. عبد القادر أحمد الرباعي	(عضوا خارجياً)	

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ

نوقشت وأُصي بإجازتها يوم الموافق / / ٢٠١٦م

الإهداء

إلى قلبين يتفقان حباً وحناناً وعطاءً ... إلى مَن علَّماني حب الآخرين

وإلى مَن كان ظلال غصونهما أفياء عمري

أبي (رحمه الله) و أمي (أطال الله عمرها)

وإلى الذي شاركني في تحمل كثير من الصعوبات أثناء دراستي العليا

زوجي

وإلى زهرتين في حياتي ملآها بهجة وسروراً ، زهرتين مملوءتين بالحب الطفولي الصادق

(أسامة وسارة) رعاهما الله

إلى سندي وعضدي..... **إخواني**

إلى الشموع التي لا تزال تنير حياتي... **أخواتي**

إلى مَن غرسوا في القلب حباً رائعاً لا يندثر ... مَن هم رفاق دربي على الدوام

مَن ذللوا لي المصاعب وهوَّنُوا عليَّ المتاعب

إلى مَن يرجون لي الخير وتحقيق أمنياتي

زملائي وزميلاتي

الشكر والتقدير

أحمد الله تعالى حق حمده، وأشكره جلّ ثناؤه حقَّ شكره، فهو أهلٌ للحمد والشكر؛ لما وهبني من جزيل هباته التي لا تحصى، وآلائه التي لا تعدّ، فالحمد لله في الأولين والآخرين.

ثم أتقدم بالشكر والتقدير إلى الدكتورة "مها عبد القادر مبيضين" لتفضلها بقبول الإشراف على هذه الرسالة، والتي لم تألُ جهدا في تقديم النصح والإرشاد والتسديد والتوجيه في تقديم الملاحظات الجادة، والفوائد المهمّة، والتي كان لها كبيرُ الأثر في إثراء هذه الرسالة، وإنجازها بالصورة التي تمّت عليها.

كما أتوجه بجزيل الشكر ووافر الامتنان إلى الأستاذ الدكتور "محمد الدرويّ" الذي قدّم لي يد المعونة، وبسط كف المساعدة؛ لأكون طالبة علم في هذه الجامعة المباركة الكريمة المعطاء، فكان سباقا في هذا الفضل، وهذا هو دأب الرجال، وأدب العلماء.

كما أتوجه بخالص الشكر والتقدير إلى الأساتذة الأفاضل- أعضاء لجنة المناقشة- على قبولهم قراءة هذه الرسالة، وتقييمها، وتفضلهم بمناقشتها، فلهم مني وافر الشكر والتقدير، ويسعدني أن أشكر أساتذتي الأجلاءَ جميعا في قسم اللغة العربية وآدابِها بجامعة آل البيت؛ لما زودوني به من معرفة خلال تدريسهم لي لمساقات اللغة العربية وعلومها، وبخاصة الأدب العباسيّ....فلهم مني جميعا جزيل الشكر، ووافر التقدير.

كما لا يسعني إلا أن أُسديَ جميلَ شكري، وعاطر ثنائي إلى زوجي، وقرة عيني، ورفيق دربي الذي رافقني في إنجاز هذه الرسالة حتى وصولي إلى هذه اللحظة السارّة، بارك الله فيه، وأحسن جزاءه، وأطال الله في عمره.

الباحثة

الموضوع	رقم الصفحة
التفويض	**ج**
الإقرار	**د**
قرار لجنة المناقشة	**ه**
الإهـــــــــــــــــداء	**و**
شكر وتقدير	**ز**
فهرس المحتويات	**ح**
الملخص بالعربية	**م**
المقدمة	**1**
التمهيد: أبو العلاء المعريّ: اسمه، كنيته، نسبه، لقبه، أمه، عائلته، ولادته، وفاته، حياته، ثقافته، فلسفته وعقيدته، شيوخه، تلاميذه، مؤلفاته، مكانته الأدبية، التعريف بديوان سقط الزند.	**4-15**
الفصل الأول: صورة الطبيعة الحية في ديوان سقط الزند لأبي العلاء المعريّ(الطبيعة المتحركة)	**16**
أولا: الحيوانات الأليفة:	16
1-الإبل	16
2- الخيل	20
3- الكلاب	26
ثانيا: الحيوانات غير الأليفة	27
1-الأفاعي	27
2-الحرباء	29
3-الأسد	29
4-الذئب	31
5-الظباء	32

6-البقر الوحشي(المها)	34
ثالثا: الطيور :	35
1 - الحمامة	35
2 - النعام	37
3 - القطا	38
4 - العنقاء	40
5 - النسر والعقبان	40
6 - الغراب	42
رابعاً: الحيوانات البحرية (الحوت)	44
الفصل الثاني: صورة الطبيعة الجامدة في ديوان سقط الزند لأبي العلاء المعريّ.	46
أ-الطبيعة السماوية	46
اولاً-الليل والنهار	46
ثانياً- الكواكب، والنجوم	51
أ-الكواكب	56
1-زحل	56
2- المريخ	57
ب- النجوم	58
1-الشمس	58
2- القمر	60
3-الثريا	62
4-الشهب	63
5-سهيل	65
6-الجوزاء	66

7-بنات نعش	67
8- الشعرى	67
9- السماك	68
ثالثاً- الغيوم والأمطار	68
رابعاً- البرق والرعد	72
خامساً- الرياح والنسيم	73
ب- الطبيعة الأرضية الجامدة	77
اولاً- فصول السنة	77
ثانياً- النباتات	78
ثالثاً-الأشجار	79
رابعاً-الأزهار	79
خامساً-الأنهار، والبحار	80
الفصل الثالث: الدراسة الفنية	85
اولاً-اللغة الشعرية	85
1-لغة القصيدة	86
2-أسلوب القصيدة	87
ثانياً-بنية القصيدة	**89**
أدوات المعري التعبيرية في بناء القصيدة	**92**
1-المفردات	**92**
2-محاور قاموسه اللغوي	**93**
ظواهر بديعية:	**94**

1-التضمين	**94**
2-التجنيس	**96**
3-الطباق والمقابلة	**96**
4-الإلغاز والإيهام	**97**
ظواهر لغوية وتركيبية في شعر سقط الزند:	98
أ-التخفيف (التسهيل)	98
ب-الغريب الوحشي	99
ج-الضمير واستخداماته	100
د- اضافة الصفة الى موصوفه	101
ز-استعمال المعري للأدوات:	101
ع- الغموض والتعقيد	102
غ- مصطلحات العلوم والفلسفة والرموز التاريخية	103
ص- الصيغ والتراكيب	104
ظواهر فنية في تركيب سقط الزند الشعريّ:	104
1-التكرار	105
2-الكناية	107
3-التورية	108
أنماط الصورة الشعرية لدى المعريّ	108
أ-الصورة البيانية	108
1- الصورة القائمة على التشبيه	108
2-الصورة القائمة على **الاستعارة**	109
3-الصورة القائمة على **الكناية**	110

4- التشخيص	111
أ-التشخيص في لوحة الليل	111
ب-التشبيه في لوحة النجوم والكواكب	112
ج-التشخيص في لوحة الحيوان والطير	113
ثالثاً: الصورة الشعرية باعتبار الحواس	114
1-الصورة السمعية	116
2-الصورة البصرية	117
3-الصورة اللونية	120
4-الصورة الشمية	125
5-الصورة الذوقية	126
رابعا: الموسيقى الشعرية	126
1-الإيقاع الخارجيّ	127
أ-الوزن	127
ب-القافية	129
ج-التصريع	131
2- الإيقاع الداخلي	133
الخاتمة	137
جدول جرد الديوان	139
قائمة المصادر والمراجع	144
ملخص الدراسة بالإنجليزية(ABSTRACT)	151

الملخص بالعربية

صورة الطبيعة في ديوان (سقط الزند) لأبي العلاء المعريّ

The Image Of Nature In (The Diwan Saqt Al-Zand) By Abu Al-Al-Ma,arri

إعداد الطالبة:

هبة عبدالكريم التميميّ

إشراف الدكتورة:

مهـــــــــــا مبيضين

هدفت الدراسة الحالية إلى الكشف عن **(صورة الطبيعة في ديوان سقط الزند للشاعر أبي العلاء المعريّ)**، وبالتحديد الإجابة عن الأسئلة الآتية:

أولا: ما عناصر الطبيعة التي صورها الشاعر أبو العلاء المعريّ في ديوانه سقط الزند؟

ثانيا: ما مدى تأثر المعريّ بصور الطبيعة لدى الشعراء العرب السابقين شكلا ومضمونا؟

ثالثا: ما مظاهر التجديد في صور الطبيعة لدى المعريّ؟

رابعا: هل وقف فقدان البصر لدى المعريّ عائقا أمام تصويره عناصر الطبيعة؟

خامسا: ما أنماط الصور التي استخدمها المعريّ في وصف عناصر الطبيعة؟

سادسا: ما أهم الخصائص الفنية التي تميز بها الشاعر أبو العلاء المعريّ في ديوانه سقط الزند؟

وللوصول إلى النتائج وتحقيق الأهداف المرجوة من الدراسة استخدمت الباحثة المنهج المسحيّ لديوان سقط الزند للشاعر أبي العلاء المعريّ، وذلك لتحديد عناصر الطبيعة في هذا الديوان، والأبيات الشعرية التي تتعلق بكل عنصر من عناصر الطبيعة، ثم استخدمت الباحثة المنهج الوصفيّ والتحليليّ لتلك الأبيات التي تتعلق بصور الطبيعة في الديوان المذكور، وشرحها من حيث: المفردة، والتركيب، والمقاطع، والصورة الشعرية معتمدة على المصادر والمراجع ذات العلاقة، ثم توصلت الباحثة إلى معرفة تلك العناصر الطبيعية التي صورها المعريّ في ديوانه المذكور، وبعد التحليل استخرجت الباحثة أهم الخصائص الفنية التي اتسم بها شعر المعريّ في تصوير الطبيعة في ديوان سقط الزند، معتمدة على المصادر والمراجع ذات العلاقة، وتوصلت الباحثة إلى مجموعة من النتائج التي تم رصدها وتضمينها الدراسة الحالية، وفيما يأتي أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة في الدراسة الحالية:

1- أن عناصر الطبيعة التي صورها الشاعر أبو العلاء المعريّ هي: الطبيعة الحيوانية:(كالحيواناتِ الأليفة، وغير الأليفة)، والطبيعةِ المتحركة:(كالليلِ، والنهارِ، والنجومِ،

والكواكبِ، والطبيعةَ الأرضية:(كالأشجارِ، والأنهارِ، والبحارِ)، والطبيعة الصناعية: (كالقصور، وبرك الماء، والبساتين).

2- أن الشاعر أبا العلاء المعريّ تأثر في بداية حياته الشعرية قبل سفره إلى بغداد بالشاعرين الكبيرين: المتنبي، وأبي تمام، وغيرهم من شعراء الجاهلية، وهذا واضح من خلال سمات شعره الفنية من حيث المبالغة في التعقيد والغموض، وجزالة الألفاظ، واستخدام المحسنات البديعية: كالجناس، والطباق، والتورية.

3- تطوّرَ البناءُ الفنيّ لقصائد أبي العلاء المعريّ بعد عودته من بغداد واعتزاله في المعرة أواخر حياته مدة خمسين سنة، فظهرت شخصية المعريّ الناضجة والمستقلة والإبداعية.

4- كان لفقدان المعريّ بصره في الرابعة من عمره، وذكائه الحادّ، وسعة حافظته، رحلاته المتعددة إلى طرابلس، وحلب، وأنطاكية، وبغداد، ولقائه عددا من الأدباء، والشعراء، والفقهاء وذوي الجاه والسلطان، ولاطلاعه الواسع على علوم اللغة العربية، والثقافات المتعددة في عصره: كالديانات، والفلك أثر كبير في بناء قصائده، ولغتها، وأفكارها، فقد سمي باللغويّ الشاعر لقدرته الفائقة على التعبير، والتصوير، واستخدام الأساليب اللغوية المختلفة.

5- بالغ المعريّ في استخدام التجنيس، والإلغاز والإيهام، والتورية، والمفارقة، والتشخيص في تصوير عناصر الطبيعة.

6- نظم المعريّ على معظم بحور الشعر العربيّ، ونجح في تحقيق الإيقاع الخارجيّ المعتمد على الوزن، والقافية، والتصريع، والإيقاع الداخليّ المعتمد على التكرار، والجناس، والطباق.

وفي ضوء تلك النتائج التي تم التوصل إليها قدمت الباحثة مجموعة من التوصيات للباحثين، والدارسين، والأدباء، وذوي العلاقة للاستفادة من تلك النتائج.

وقد اشتَمَلت الدراسة الحالية على: مقدمة، وتمهيدٍ، وأربعة فصول، كما يأتي:

يتضمن التمهيد: تعريفاً بأبي العلاء المعريّ من جميع جوانب حياته، وعن ديوانه (سقط الزند).

أما الفصل الأول: فتناول صورَ الطبيعةِ الحيوانية:(كالحيواناتِ الأليفة، وغير الأليفة).

وتناول الفصل الثاني: صورَ الطبيعةِ المتحركةِ:(كالليلِ، والنهارِ، والنجومِ، والكواكبِ)، والطبيعةَ الأرضية:(كالأشجارِ، والأنهارِ، والبحارِ).

وأمَّا الفصل الثالث: فتناول صورة الطبيعة الصناعية: (كالقصور، وبرك الماء، والبساتين).

وأما الفصل الرابع: فيتضمن الدراسةِ الفنيةِ للأبياتِ التي ذكرتْ فيها صورةُ الطبيعةِ: (كاللغةِ الشعريةِ، وبنيةِ القصيدةِ، والصورةِ الشعريةِ، وموسيقى الشعر)، وختمت الدراسة برصد النتائج التي تم التوصل إليها، والتوصيات التي قد تفيد الباحثين، وغيرهم من ذوي العلاقة.

المقدمة:

حظيت الطبيعةُ ومكوّناتها، وعناصرها، وصورها، وأنواعها، وأشكالها، وإبداعاتها باهتمام شعراء العربية قديما وحديثا، فقد خلق الله عز وجل هذا الكون الفسيح بسمائه الجميلة، وما تحتويه من: نجوم، وكواكب، ومجرات، وسحب، ورياح، وأمطار، وليل، ونهار، وفصول أربعة، وكذلك الأرض الشاسعة، وما تحتويه من: جبال، وأنهار، وبحار، وحيوانات، وجمادات، وإنسان، وما ينبت فوق هذه الارض من: أشجار متنوعة، وأزهار متفتحة، وغابات كثيفة، وبساتين يانعة، وكلّ هذه المخلوقات تدلّ على كمال قدرة الله عزّ وجلّ، وبديع صنعه، ودقة إتقانه، قال تعالى: {صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِما تَفْعَلُونَ} {النمل:88}، وقال تعالى: {خَلَقَ السَّماواتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها وَأَلْقى فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيها مِنْ كُلِّ دابَّةٍ وَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ مَاءً فَأَنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (10) هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ } {لقمان:10-11}، وقال جلّ شأنه{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ مَاءً فَأَخْرَجْنا بِهِ ثَمَراتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوانُها وَمِنَ الْجِبالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُها وَغَرابِيبُ سُودٌ (27) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ كَذلِكَ إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ } {فاطر: 27-28}، وقال تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُخْتَلِفاً أَلْوانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَراهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطاماً إِنَّ فِي ذلِكَ لَذِكْرى لِأُولِي الْأَلْبابِ } {الزمر: 21}، وقال تعالى: {بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} {البقرة:117}.

وهذه المخلوقات الكونية لها وظيفتان: إحداهما: ما خلقت لأجله لاستمرار الحياة، والثانية: دلالتها على وحدانية الله عزّ وجل، وتفرّده بالخلق والأمر، قال تعالى:{أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} {الأعراف:54}، وقد أمرنا الله عزّ وجل أن ننظر ونتأمل في عناصر هذا الكون الفسيح: في السماء، والأرض، ونتذوق جمال صنعها، ودقة إتقانها، قال تعالى: {أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ} {الغاشية:17-20}.

كما أنكر الله سبحانه على من لا يستخدم حواسه وإدراكاته في معرفة الخالق وصفاته، قال تعالى: {أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} {الملك:22}، وقال جلّ ذكره: { وَما يَسْتَوِي الْأَعْمى وَالْبَصِيرُ } {فاطر:19}، وقال تعالى: { أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِها أَوْ آذانٌ يَسْمَعُونَ بِها فَإِنَّها لا تَعْمَى الْأَبْصارُ وَلكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ } {الحج:46}.

وقد عاش العربيّ في جزيرة العرب منذ القدم، فتفاعل مع عناصر البيئة الصحراوية للجزيرة العربية، وما تحويه من حياة قاسية، حيث قلة الماء، وشحّ الطعام، فتنقل من مكان إلى آخر في رحلة صراع البقاء ، فواجه الحيوانات المفترسة تارة، ووهج الشمس ولهيبها تارة أخرى، واشتعلت الحروب بين القبائل العربية حفاظا على وجودها، وكيانها، فكانت الطبيعة بمكوناتها شريكا للعربيّ في هذا الصراع المرير .

وإن الاهتمام بصورة الطبيعة ظهر منذ بدايات شعر المعلقات، وبخاصة في المقدمة الطللية التي تستهلّ بها المعلقة، كعادة شعراء المعلقات، ففيها وصف للديار الدارسة، ونباتاتها، وحيواناتها الأليفة والمتوحشة، والليل والنهار، وما يستلهم منهما الشاعر لوصف معاناته العاطفية، ووصفه الراحلة من: خيل، أو إبل يطارد بها أعداءه، أو وصف رحلة الصيد، أو تنقله بوساطتها من مكان إلى آخر لا يبلغه إلا بشق الأنفس، كما هو الحال في معلقة امرئ القيس، وطرفة بن العبد، ....وغيرهما .

وهكذا بقيت الطبيعة مصدر إلهام للشعراء على مرّ العصور العربية اللاحقة، فإذا انتقلنا إلى العصر الأمويّ وجدنا تجديدًا في صورة الطبيعة من حيث: موضوعاتها، ومضمونها، وكذلك أساليب التعبير عنها، فبدلا من أن تكون الصحراء العربية وعناصرها مصدرًا للتصوير بألفاظ جزلة معقدة صارت المدن العربية: -كدمشق، وبغداد، وبساتينها، وأزهارها، وأشجارها، وثمارها، وسهولها، وجبالها، ورغد العيش فيها بسبب فتوحات المسلمين وانتصاراتهم - مصدرا للتعبير عن هذا الجمال الفتان، بأسلوب رقيق عذب، وألفاظ موحية معبرة، تنمّ عن هذا الرقيّ الاجتماعيّ والحضاريّ الذي أصاب العرب.

فإذا انتقلنا إلى العصر العباسيّ وجدنا التجديد الواضح في شكل القصيدة العربية ومضمونها في وصف الطبيعة، إذ نجد أن قصائد كاملة، ومقطوعات شعرية متخصصة في وصف الطبيعة، وعناصرها، مستخدمة أساليب بيانية في غاية الروعة، كما في شعر بشار بن برد، وأبي نواس، ....وغيرهم، كما نجد تجديدا في وصف عناصر جديدة من عناصر الطبيعة العربية.

فإذا انتقلنا الى العصر العباسيّ الثاني، وبالتحديد في القرن الرابع والخامس الهجريين وجدنا شاعراً عربياً فقدَ بصره منذ ريعان شبابه ونعومة أظفاره لم يمنعه هذا الانقطاع البصريّ عن العالم من أن يتفاعل مع الطبيعة، ويصوّرها تصويرا بديعا، ينمّ عن ثقافة واسعة، واطّلاع عميق، ولغة أدبية رصينة، ألا وهو أبو العلاء المعريّ، فالمعريّ ليس بدعا من الشعراء، فقد سبقه غيره من الشعراء المكفوفين،: كبشار بن برد، فقد صوّر المعريّ عن طريق حاسة السمع كلَّ ما يحيط به من عناصر الطبيعة تصويرا أخّاذاً، حتى أعجب بشعره معظم أدباء العربية، وعلى رأسهم: طه حسين، وبنت الشاطئ، ....وغيرهم، وعلى الرغم من الدراسات السابقة التي تناولت أشعار

المعريّ كدراسة:(الدرابسة - بنية اللغة الشعرية في شعر أبي العلاء المعري)2012، ودراسة جديتاوي (**المفارقة في شعر أبي العلاء المعريّ: دراسة في البنية والمغزى**) 2000، ودراسة شيماء نجم (**نجوم السماء وكواكبها في شعر أبي العلاء المعري الرؤية والتوظيف**)1990، ودراسة أمل نصير(**المفارقة في كافوريات المتنبي**)1997م، إلا أن أحدا منهم لم يتناول صور الطبيعة في ديوان سقط الزند، ولهذا جاءت الرسالة الحالية بعنوان: **(صورة الطبيعة في ديوان سقط الزند لأبي العلاء المعريّ)** لتكشف جوانب الشكل والمضمون في صورة الطبيعة في هذا الديوان.

وللوصول إلى النتائج وتحقيق الأهداف المرجوة من الدراسة استخدمت الباحثة المنهج الإحصائي لديوان سقط الزند للشاعر أبي العلاء المعريّ، وذلك لتحديد عناصر الطبيعة فيه، والأبيات الشعرية التي تتعلق بكل عنصر من عناصر الطبيعة، ثم استخدمت الباحثة المنهج الوصفيّ والتحليليّ لتلك الأبيات التي تتعلق بصور الطبيعة في الديوان المذكور، وشرحها من حيث: المفردة، والتركيب، والمقاطع، والصورة الشعرية معتمدة على المصادر والمراجع ذات العلاقة، ثم توصلت الباحثة إلى معرفة تلك العناصر الطبيعية التي صورها المعريّ في ديوانه المذكور، وبعد التحليل استخرجت الباحثة أهم الخصائص الفنية التي اتسم بها شعر المعريّ في تصوير الطبيعة في ديوان سقط الزند، معتمدة على المصادر والمراجع ذات العلاقة، وتوصلت الباحثة إلى مجموعة من النتائج التي تم رصدها وتضمينها الدراسة الحالية.

وقد اشتَمَلت الدراسة الحالية على: مقدمة، وتمهيدٍ، وأربعة فصول، كما يأتي:

يتضمن التمهيد: تعريفاً بأبي العلاء المعريّ من جميع جوانب حياته، وعن ديوانه (سقط الزند).

أما الفصل الأول: فتناول صورَ الطبيعةِ الحيوانية:(كالحيواناتِ الأليفة، وغير الأليفة).

وتناول الفصل الثاني: صورَ الطبيعةِ المتحركةِ:(كالليلِ، والنهارِ، والنجومِ، والكواكبِ)، والطبيعةَ الأرضية:(كالأشجارِ، والأنهارِ، والبحارِ).

وأمَّا الفصل الثالث: فتناول صورة الطبيعة الصناعية: (كالقصور، وبرك الماء، والبساتين).

وأما الفصل الرابع: فيتضمن الدراسةِ الفنيةِ للأبياتِ التي ذكرتْ فيها صورةُ الطبيعةِ: (كاللغةِ الشعريةِ، وبنيةِ القصيدةِ، والصورةِ الشعريةِ، وموسيقى الشعر)، وختمت الدراسة برصد النتائج التي تم التوصل إليها، والتوصيات التي قد تفيد الباحثين، وغيرهم من ذوي العلاقة.

التمهيد

أبو العلاء المعريّ: اسمه، كنيته، ونسبه، ولقبه:

هو أبو العلاء، أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخيّ المعريّ من أهل معرة النعمان[1].

وتنوخ تعني الإقامة،[2] وتَنوخ كما ذكر من أكثر العرب مناقبَ وحسبًا، ومن أعظمها مفاخرَ، وأدبًا، وفيهم الخطباء، والفصحاء، والبلغاء والشعراء، وبنو الساطع التي ينتسب إليها الشاعر المعريّ هم المشهورون بالشرف، والسؤدُد، والرياسة، والشجاعة، والجود والفضل[3].

وكنيته أبو العلاء، كنّاه أبوه بها منذ صغره كعادة أهل المعرة في تكنية صغارهم؛ ترقبا لنباهتهم، ولكنه لم يكن راضياً عن ذلك، فقال:

وَأحمَدُ سَمّـــاني كَبيري وَقَلّما فَعَلتُ سِوى ما أستَحِقُّ بِهِ الذَمّا[4]

وقال:

دُعيتُ أبا العَلاءِ وَذاكَ مَينٌ وَلَكِن الصَـــحـــيحَ أبو النُزول[5]

ولقبه المعريّ نسبة إلى مدينة معرة النعمان، وهي تقع بالقرب من حماة، وشيزر، وهي منسوبة إلى الصحابيّ الجليل النعمان بن بشير الأنصاريّ(رضي الله تعالى عنه)، فإنه تديّرها، فنسبت إليه، وأخذها الفرنج من المسلمين في محرم سنة492ه، ولم تزل بأيدي الفرنج من يومئذ إلى أن فتحها عماد الدين زنكي، سنة529ه[6].

وتبعد معرة النعمان ستة فراسخ عن سرمين، ولها سور حجريّ، وهي مكتظة بالسكان، وأسواقها معمورة، وبها مسجد الجامع وسط المدينة، ومشهورة بالقمح، والتين، والعنب، والزيتون، والفستق، وأورد ابن جبير في رحلته: أنها من أخصب بلاد الله، وأكثرها أرزاقا[7].

---

(1) السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، (ت:562هـ)، **الأنساب**، تحقيق: عبدالله البارودي، دار الجنان، ط1، 1382 هـ - 1962 م، ص91- 92.

(2) ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت:681هـ)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1998، (116/1).

(3) السقا، مصطفى، **تعريف القدماء بأبي العلاء**، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، دار الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، 1986م، ص489.

(4) ابو العلاء، أحمد بن عبد الله بن سليمان(ت:449ه)، **ديوان لزوم ما لا يلزم**، دار صادر، بيروت، (416/2)؛ والأشتر، صالح، **أبو العلاء المعريّ**. بيروت: دار الشرق العربيّ، 1973، ص8.

(5) المعري، **ديوان لزوم ما لا يلزم**، (348/2)؛ الأشتر، صالح، **أبو العلاء المعريّ**، مرجع سابق، ص8.

(6) ابن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، مصدر سابق، (1/ 116).

(7) ابن جبير، أبو الحسين، محمد بن أحمد الأندلسيّ، أبو الحسين (ت:614هـ)، **رحلة ابن جبير**، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1987م، ص205.

أما أبوه فهو أبو محمد عبدالله بن سليمان بن أحمد التنوخيّ المعريّ، وكان لغوياً، أديباً، وشاعراً، فهو عربيّ الأصل والنسب.[1] توفي والده سنة 395هـ، فرثاه بالقصيدة النونية، وقد أعجب النقاد بها، وما فيها من جمال فنيّ، وإبداع فلسفيّ.[2]

ولادتـــــــه:

ولد أبو العلاء في معرة النعمان يوم الجمعة لثلاثة أيام مضت من ربيع الاول سنة 363ه/ الموافق للسادس من كانون الأول 973م.[3]

وفاتـــــــه:

وقد توفي أبو العلاء المعريّ في الثالث من ربيع الأول عام 449ه، الموافق عام 1058م، عن ستة وثمانين سنة، وذكر القفطيّ عن الشيخ أبي عبدالله الأصبهاني، قال: لما حضرت الشيخ أبا العلاء الوفاة أتاه القاضي الأجلّ أبو محمد عبد الله التنوخيّ بقدح شراب، فامتنع من شرابه، فحلف القاضي أيمانا مؤكّدة لابدّ من أن يشرب ذلك القدح، وكان سكنجبينا، فقال أبو العلاء مجيبا له عن يمينه:

أعبـــد الله، خيـر من حيـاتـــي وطـول ذمائها مـوت مريح

تعلّلـــني لـــتـــسقيـــني فـــذرن لـــــعلّـي أستريح وتستريح[4]

ولم يتزوج أبو العلاء تبعا لعقيدته وفلسفته التشاؤمية، وعاش زاهداً لا يأكل الحيوان، ولا منتجاته من لبن، أو بيض، قانعاً بالعدس والتين، وثلاثين دينارا في السنة، وأوصى أن يكتب على قبره قوله:

هذا جنـــاه أبـــي عليّ ومـــا جنيت على أحد[5]

ويذكر الذهبيّ أن علته كانت ثلاثة أيام، ومات سنة449ه ، وعاش ستة وثمانين عاما[6].

ورثاه الْأَمِير أَبُو الْفَتْح الْحسن بن عبد اللَّهِ بن أبي حَصِينَة المعريّ بقصيدة طَوِيلَة، مِنْهَا:

العِلمُ بَعدَ أبي العَلاءِ مُضَـــيَّـــعُ وَالأرضُ خالِيَـــــةُ الجَـــوانِبِ بَلـــقعُ

أودى وَقَد مَلـــــــأَ البِلادَ غَرائِباً تَسرِي كَمـــــا تَسرِي النُجُـــــومُ الطُلَّعُ

---

(1) أبو مصلح، كمال، **أبو العلاء المعريّ: حياته، وشعره**، بيروت، المكتبة الحديثة، 1986م، ص15 .

(2) الأشتر، **أبو العلاء المعريّ**، مرجع سابق، ص38.

(3) الجندي، محمد سليم، **الجامع في أخبار أبي العلاء وأثاره**، تحقيق: عبدالهادي هاشم، دار صادر، 1992م، (65/1).

(4) القفطيّ، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف(ت:646هـ)، **أنباه الرواة على أنباه النحاة**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار الفكر العربيّ، ومؤسسة الكتب الثقافية-بيروت، ط1، 1406 هـ - 1982م، (1/ 117).

(5) أبو مصلح، كمال، **أبو العلاء المعريّ**، مرجع سابق**.** ص16.

(6) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، **نزهة الفضلاء**، إعداد الدكتور محمد موسى الشريف، مؤسسة أم القرى، مصر، ط2، 2012م، ص892.

قَصَدَتكَ طَــلّابُ العُلومِ وَلا أرى لِلـــــــــــــــعِلمِ باباً بَعدَ بابِكَ يُـــــقرَعُ

ويعلق ابن الورديّ على هذه القصيدة بقوله: "فانظر إلى هذا الرثاء من رجل صاحبَه، وعرفه عن قرب"[1].

حياتـــــــــه :

أصيب أبو العلاء بالجدريّ سنة 367ه، فعمي وعمره أربع سنوات، وأشار إلى ذلك في إحدى رسائله إلى داعي الدعاة، يقول: « وقد علم الله أن سمعي ثقيل، وبصري عن الأبصار نقيل، قضي عليّ وأنا ابن أربع، لا أفرق بين البازل والرّبع: أي الفصيل والبعير»[2]، وَكَانَ يَقُول لَا أعرف من الألوان إِلَّا الْأَحْمَر؛ لِأَنِّي ألبست فِي الجدريّ ثوبا مصبوغاً بالعصفر، لَا أَعقل غير ذَلِك.[3] فهو آخر لون رأيته منذ سن الرابعة عندما جدرت[4].

وقد وصفه ابن منقذ، فقال عنه: (صبيّ مجدور الوجه، دميم الخلقة، على عينه بياض من أثر الجدريّ).[5]فقد سالت إحدى عينيه، وابيضت اليمنى.[6] وذكر ابن خلكان أن عينه اليمنى كانت ناتئة وعليها بياض، وعينه اليسرى غائرة، وكان نحيفا[7].

وقد لازم المعريّ داره خمسين عاما في عزلة من الناس، لا يلقى إلا طلبة العلم، والزوار، وكان ينفق على طلابه: كالخطيب التبريزيّ طوال فترة قراءته عليه[8]. وقد سمّي بذلك: رهين المحبسين، وأضاف لها في شعره محبسا ثالثاً هو جسده المليء بالشهوات، إذ يقول:

أرانـــــي في الثَلاثَةِ مِن سُــجوني فَـــــــــلا تَسأل عَنِ الخَبَرِ النَبيثِ

لِفَقدِ يَناظِري، وَلُزومِ بـــــــــَيتي وَكَونِ النَفسِ في الــجَسَدِ الخـبيثِ[9]

---

(1) ابن الورديّ، عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس، أبو حفص، زين الدين المعري الكندي (ت. 749هـ)، **تاريخ ابن الورديّ المسمى تتمة المختصر في أخبار البشر**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ - 1996م، (348/1).

(2) الحمويّ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الروميّ(ت:626هـ)، **معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1414 هـ - 1993 م، 217/3

(3) السيوطيّ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر(ت:911هـ)، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 2001م، ص136.

(4) الذهبيّ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز(ت:748هـ)، **تاريخ الإسلام، وَوَفيات المشاهير وَالأعلام**، تحقيق: الدكتور بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ط1، 2003م، (ج9/ 721).

(5) المعريّ، أحمد بن عبد الله(ت449)، **سقط الزند**، شرح وتحقيق أحمد شمس الدين، بيروت، المكتبة العلمية، ط2، 2007، ص9؛ ابن العديم، عمر بن أحمد بن هبة الله (ت: 660هـ)، **بغية الطلب في تاريخ حلب**، المحقق: د. سهيل زكار، دار الفكر، (871/2).

(6) الذهبيّ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز(ت:748هـ)، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: الدكتور بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ط1، 2003م، (18/3) .

(7) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشيّ البصريّ ثم الدمشقي (ت: 774هـ)، **البداية والنهاية**، تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1 1408، هـ - 1988م. (12/ص95).

(8) الأشتر، **أبو العلاء المعري**، مرجع سابق، 113.

(9) كمال أبو مصلح، **أبو العلاء المعريّ**، مرجع سابق، ص64

ولم يأكل اللحم طيلة خمس وأربعين سنة.[1] وقد ولد أبو العلاء وعاش في معرة النعمان في ظل الدولة العباسية، حيث استولى البويهيون عام 344ه على بغداد، فقد بايع زعيمهم أحمد بن طولون الخليفة العباسيّ المستكفي، فخصه الخليفة بالسلطة، ولم يبق للعباسين سوى اسم الخلافة، ولقبه بمعز الدولة، وصار الخليفة العباسيّ فقط رئيسا دينياً، وصارت الوزارة بيد معز الدولة البويهيّ يحكم كيف يشاء، وكان سيف الدولة الحمداني يخطب في حلب باسم الخليفة العباسيّ، وسيطر أبناؤه فيها على حلب، حتى استولى صالح بن مرداس سنة414ه عليها، وخلف ولداه: نصر، وشمال العرش من صالح، وعاش أبو العلاء في عهدهما إلى وفاته.[2]

ثقافتـــــــه:

كان المعريّ من بيت علم وفضل ورياسة، له جماعة من أقاربه قضاة وعلماء وشعراء، مثل: سليمان بن أحمد بن سليمان جده قاضي المعرة وحمص، ووالده عبد الله بن سليمان كان شاعراً[3]. وكان متضلعاً من الأدب، واللغة، والنحو على أبيه بالمعرة، وعلى محمد بن عبدالله بحلب، وكان علّامة دهره، غاية في الذكاء[4]، ويبدو من اللزوميات أن أبا العلاء كما درس العلوم الشرعية الإسلامية، فقد درس المسيحية واليهودية أثناء تطوافه بالشام.[5] وفي سن السادسة والثلاثين رحل إلى بغداد، ولقي علماءها: أمثال أبي الحسن علي بن عيسى الرَّبعيّ، أبي أحمد عبدالسلام بن الحسين البصري المعروف والواجْكا، وأبي علي عبدالكريم بن الحسين السكريّ[6].

وقد عني بالثقافة اللغوية، فألف في النحو، والعروض، وذكر الصفديّ أن من بين من رزقوا السعادة في أشياء لم يأت بعدهم من نال شرفها أبو العلاء في الاطلاع على اللغة، يقول التبريزيّ تلميذ أبي العلاء: "ما أعرف أن العرب نطقت بكلمة ولم يعرفها المعريّ، ويقول: كان بالمشرق لغويّ، وبالمغرب لغويّ في عصر واحد لم يكن لهم ثالث، وهما: أبو العلاء، وابن سيده».[7] ويقول البغداديّ : «إنه كان عالما باللغة، حافظا لها»[8].

---

(1) ابن الأنباريّ، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنصاريّ(ت:577هـ)، **نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء**، تحقيق: إبراهيم السامرائيّ، الأردن_ الزرقاء: مكتبة المنار، ط3، 1405 هـ - 1985م، ص258

(2) إلياس، سعد غالي، **بحوث علائية**، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1997، ص3.

(3) الصفديّ، صلاح الدين خليل بن أيبك(-764هـ)، **نكت الهميان في نكت العميان**، تعليق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1428 هـ - 2007 م، ص85.

(4) العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد (ت: 855هـ)، **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**، تحقيق: مجموعة محققين، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط1، 1431هـ/2010م، (87/1)؛ وتعريف القدماء، ص325.

(5) ضيف، شوقي، **الفن ومذاهبه في الشعر العربيّ.** مصر، دار المعارف، ب.ت، ص337.

(6) السقا، **تعريف القدماء بأبي العلاء**، مرجع سابق، ص515.

(7) ضيف، شوقي، **الفن ومذاهبه في الشعر العربي**، مرجع سابق، ص377.

(8) الخطيب البغداديّ، أبو بكر أحمد بن علي(ت:463هـ) **تاريخ بغداد**، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ط1، 1422هـ - 2002 م، (240/4).

فلسفة أبي العلاء وعقيدته:

اختلف الناس في عقيدة أبي العلاء المعريّ، فمنهم من يقول: إنه كان زنديقا، وينسبون إليه أشياء منكرة، ومنهم من يقول: إنه كان زاهدا، عابدا، متقللا، يأخذ نفسه بالرياضة والخشونة، ويرى ابن تغري بردي أن الناس فيه مختلفون، فمن الناس من جعله زنديقاً، وهم الأكثر، ومنهم من أوّل كلامه، ودفع عنه[1]، وينقل ياقوت الحمويّ عن تلميذه التبريزيّ، قوله:«سألني يوما أبو العلاء: ما الذي تعتقد؟، فقلت له: ما أنا إلا شاكّ، قال: وهكذا شيخك»[2]

وكانت أحواله تدلّ على اختلاف عقيدته، وكان ظاهر أمره يدلّ على أنه يميل إلى مذهب البراهمة الذين لا يرون ذبح الحيوان، ويجحدون الرسل، وقد سأله رجل: لمَ لا تأكل اللحم؟، فقال: أرحم الحيوان، قال له: فما تقول في السباع التي لا طعام لها إلا لحوم الحيوان؛ فإن كان لذلك خالق فما أنت بأرأف منه[3].

وقد رماه جماعة من علماء المسلمين بالإلحاد والزندقة، فهو يعيب على الرسل، والشرائع، ويجحد البعث والنشور[4]. يقول ابن الجوزيّ: "وقد رأيت للمعريّ كتاباً سماه «الفصول والغايات» يعارض به السور والآيات، وهو كلام في نهاية الركة والبرودة، فسبحان من أعمى بصره وبصيرته"[5].

ويقول ابن الأثير: إن أكثر الناس يرمون أبا العلاء بالزندقة[6]، وقد نُقلت عن أبي العلاء أشعار وأقوال تدلّ على فساد عقيدته، وكان يظهر الكفر، ويزعم أن لقوله باطناً، وأنه مسلم في الباطن، ومن شعره المؤذن بفساد عقيدته قوله[7]:

عجبتُ لكســـــرى وأشياعه ... وغسلِ الوجوهِ ببـــــولِ البقر

وقولِ النصارى إلهُ يضـــــامُ ... ويـُــظـــلم حـــياً ولا يَنَتصِر

وقـــول اليهـــود إله يحـبُ ... رشاش الدمـــــــاء وريح القتر

فواعـجباً من مقـــالاتـــــهم ... أيعمى عن الحـــق كل البشـــر

---

(1) ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي بن عبد الله(-874هـ)، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، وزارة الثقافة والإرشاد القوميّ، دار الكتب، مصر، 2002م، ج5/ ص62.

(2) ياقوت الحمويّ، **معجم الادباء**، مصدر سابق، ص171.

(3) الصفديّ، صلاح الدين خليل بن أيبك(ت: 764هـ)، **الوافي بالوفيات**، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت 1420هـ- 2000م، (7/ 67).

(4) مصطفى السقا، **تعريف القدماء**، مرجع سابق، ص18-19.

(5) ابن الجوزيّ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي(ت: 597هـ)، **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1، 1412 هـ - 1992 م، (16/ 24)؛ السقا، **تعريف القدماء**، مرجع سابق، ص 18-19.

(6) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم الجزريّ، عز الدين ابن الأثير(ت:630هـ)، **الكامل في التاريخ**، تحقيق: عمر عبد السلام تدمريّ، دار الكتاب العربي، بيروت،ط1، 1417هـ / 1997م، (223/10).

(7) أبو الفداء، الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل (ت:732هـ)، **المختصر في أخبار البشر**، المطبعة الحسينية المصرية، مصر، ط1، 1974م، (176/2).

قال ابن حجر العسقلانيّ : ومن عجيب رأي أبي العلاء تركه تناول كل مأكول لا تنبته الأرض شفقة على الحيوانات حتى نسب إلى التبرهم، وإنه يرى رأي البراهمة في إثبات الصانع وإنكار الرسل، وفي شعره ما يدل على هذا المذهب، وفيه ما يدل على غيره، وكان لا يثبت على نحلته[1].

وقال ابن الجوزيّ: زنادقة الإسلام ثلاثة: ابن الراوندي، وأبو حيان التوحيدي، وأبو العلاء المعريّ[2].

والخلاصة، فأبو العلاء المعريّ شاكّ، رافض لمعظم ما يدين به المعاصرون من عقائد، متعجب من الخلاف بين اليهودية والمسيحية والإسلام.[3]

شيوخه:

كان المعريّ متضلعا من الأدب، واللغة، والنحو على أبيه بالمعرة، وعلى محمد بن عبدالله[4]. وسمع من يحيى بن مسعر التنوخيّ صاحب أبي عروبة، ومن أبي الفتح محمد بن الحسين صاحب خيثمة[5]، وسمع في بغداد من عبد السلام بن الحسن البصريّ[6].

وقرأ القرآن على جماعة من الشيوخ، واللغة والنحو على والده أبي محمد بن عبدالله، وقرأ النحو على ابن مسعود النحويّ راوية المتنبي في حلب، وسافر إلى بغداد سنة 399ه، فأخذ اللغة عن أبي عليّ عيسى الربعيّ، وعبدالسلام بن الحسين البصريّ، وابن حكيم السكريّ، كما أخذ الحديث عن أبيه، وجده، وأخيه أبي المجد، وجدته أم سلمى بنت الحسن، وغيرهم[7].

تلاميذه:

ومن تلاميذه أبو القاسم التنوخيّ، والخطيب التبريزيّ، والإمام عبدالوارث الابهريّ، والفقيه الأنصاريّ، والخليل القزوينيّ ، وأبو طاهر محمد بن أحمد الأنباريّ[8]، وقرأ عليه ابن فورَّجَة[9].

---

(1) ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلانيّ (ت:852هـ)، **لسان الميزان**، تحقيق: دائرة المعرف النظامية، الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط2، 1971م، (1/ 104).

(2) ابن السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت: 771هـ)، **طبقات الشافعية الكبرى**، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1413هـ، (288/5).

(3) أبو مصلح، **او العلاء المعري**، مرجع سابق، ص94.

(4) اليافعيّ، أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد(ت: 768هـ)، **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417 هـ - 1997 م، (3/ 52).

(5) ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلانيّ(ت: 852هـ)، **لسان الميزان**، مصدر سابق، (204/1).

(6) السيوطيّ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر(ت:911هـ)، **بغية الوعاة**، مصدر سابق ،2001م، (124/2)؛ : السقا، **تعريف القدماء**، ص316.

(7) المعريّ، **شرح سقط الزند**، مرجع سابق، ص 12.

(8) السقا، **تعريف القدماء**، مرجع سابق، ص315.

(9) السيوطي، **بغية الوعاة**، مصدر سابق، 125/2.

وقد قرأ عليه خلق كثير من أهل المعرة والشاميين، مثل: ابن أخيه القاضي أبي محمد، والشيخ ابن المهذب، ومن الأندلسيين: ابن عيسى الأنصاريّ، والعلاء بن حزم، وعثمان بن أبي السكر، وغيرهم من البغداديين، والتبريزيين، والنيسابوريين، والأنباريين[1]. يقول المعريّ: عندما فرغت من تصنيف كتاب (اللامع العزيزي في شرح شعر المتنبي) كأنما نظر المتنبي إليَّ بلحظ الغيب[2]؛ إذ يقول المتنبي[3]:

أَنا الَّذي نَظَرَ الأَعمى إِلى أَدَبي وَأَسمَعَت كَلِماتي مَن بِهِ صَمَمُ

مؤلفاتـــــــــه:

لأبي العلاء المعريّ تصانيف كثيرة، منها: شرح شعر المتنبي، وشرح شعر البحتريّ، وشعر أبي تمام سماه (ذكرى الحبيب) وظهير العضدي لأبي علي كتاب في النحو، وشرح بعض كتاب سيبويه، وتلقى النظم في العروض[4]، ومنها متن التنوير وهو ديوان سقط الزند وضوء السقط في وصف الدرع، ولزوم وما لا يلزم، والرسائل القصار، والرسائل الخمس، ورسالة الملائكة، ورسالة الهناء، ورسالة الغفران، وكتاب زجر النابح، ورسالة الصاهل والشاحج، وكتاب الفصول والغايات، ورسالة التعزية، وعبث الوليد في الكلام على شعر البحتري، وسقط الزند، والدرعيات[5]

مكانة أبي العلاء المعريّ الأدبية عند النقاد:

شغل أبو العلاء المعريّ الناس في أثناء حياته، يحمده قوم، ويذمه آخرون، وبعد وفاته اشتغل النقاد والأدباء بالحديث عنه، وعن حياته العلمية، وعن بيئته العلمية والفكرية والأدبية، فمنهم من يعدّه من الأولياء الصالحين، وبعضهم يعدّه من الزنادقة الملحدين، وأمر أبي العلاء في ذلك كأمر غيره من الأفذاذ في الآداب الكبرى، ويقرن أبو العلاء بأسماء المتشائمين من فلاسفة الغرب وشعرائهم[6].

ينقل الثعالبيّ عن الشاعر المصيصيّ أنه قَالَ: "لقِيت بمعرة النُّعْمَان عجباً، رَأَيْت أعمى شَاعِرًا ظريفا، يدخل فِي كلّ فنّ من الْجدّ والهزل، يكنى أَبَا الْعَلَاء، وسمعته يَقُول: أَنا أَحْمد الله على الْعَمى، كَمَا يحمده غَيْرِي على الْبَصَر"[7].

---

(1) المعريّ، **شرح سقط الزند**، مصدر سابق، ص12.
(2) ابن خلكان، **وفيات الاعيان**، مصدر سابق، (116/1).
(3) المتنبي، أحمد بن الحسين، **ديوان المتنبي**، تحقيق عبد الوهاب عزام، القاهرة، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1944، ص323.
(4)السقا، **تعريف القدماء**، مرجع سابق، ص434.
(5) أبو مصلح، **أبو العلاء المعري**، مرجع سابق، ص17؛ الياس غالي، **بحوث علانية**، مرجع سابق، ص9-10.
(6) السقا، **تعريف القدماء**، مرجع سابق، ص3.
(7) الثعالبيّ، أبو منصور عبد الملك بن محمد(ت:429هـ)؛ **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، تحقيق: مفيد محمد قمحية، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1، 1403ه-1983م، (16/4).

كما يورد الباخرزيّ :" أن أبا العلاء ما له في أنواع الأدب ضريب، وأنه في قميص الفضل ملفوف، وخصمه الألدّ محجوج، وقد طال في ظلال الإسلام آناؤه، ولكنّ ربّما رشح بالإلحاد إناؤه، وعندنا خبر بصره، والله العالم ببصيرته، والمطلّع على سريرته، ورأيت ديوان شعره الذي سمّاه «سقط الزّند» ، وهتف فيه كالحمام على فنن غضّ النبات من الرّند"[1].

ويروي ابن فضل الله العمريّ أن أبا العلاء رفض الدنيا وما سلم، وفرض غاياتها فعمل بما علم، نفض يديه من الدنيا وساكنها، وانقطع في بيت كان له بالمعرّة لا يخرج منه إلّا إلى مسجده، ولا ينهج طريقا إلّا إلى تهجّده، وأخذ نفسه بالقناعة حتى صارت جنّة تقيه المطامع، وترك أكل لحوم الحيوان وعموم ما يجري مجراها من الأعسال والألبان، وقال بمذهب البراهمة في تجنب إراقة الدماء[2]...إلى أن يقول: "وكان مطلعاً على العلوم، لا يخلو في علم من الأخذ بطرف، متبحّراً في اللغة، جامع الشعوب للطرق الأدبية، ما ولدت مثله الليالي، وله من بدائع النظم والنثر قَمَراها، ومن روائع العلم والعمل سمراها، قرأ القرآن العظيم بالروايات على جماعة من الشيوخ، وتوسّع في اللغة والنحو، وروى الحديث، وأخذ عنه خلق لا يعلمهم إلّا الله، كلهم قضاة وأئمة، وخطباء، وأهل تبحّر لم يذكره أحد منهم بطعن، ولم ينسب حديثه إلى ضعف ولا وهن، وكان له أربعة من الكتّاب المجودين يكتبون عنه ما يكتبه إلى الناس، وما يمليه من النظم والنثر، والتصانيف، والإجازات، منهم من بني أبي هاشم[3].

وقد دافع ابن العديم عن أبي العلاء فقال: "إني وقفت على جملة من مصنفات عالم معرة النعمان، أبي العلاء، فوجدتها مشحونة بالفصاحة والبيان، محتوية على أنواع الآداب، مشتملة من علوم العرب على الخالص واللباب؛ ولما كانت مختصة بهذه الأوصاف، مميزة على غيرها عند أهل الإنصاف، قصده جماعة لم يعوا وعيه، وحسدوه إذ لم ينالوا سعيه، فتتبعوا كتبه على وجه الانتقاد، ووجدوها خالية من الزيغ والفساد؛ فحين علموا سلامتها من العيب والشين، سلكوا فيها معه مسلك الكذب والمين، ورموه بالإلحاد والتعطيل، والعدول عن سواء السبيل. فمنهم من وضع على لسانه أقوال الملحدة، ومنهم من حمل كلامه على غير المعنى الذي قصده، لجعلوا محاسنه عيوبا، وحسناته ذنوباً، وعقله حمقاً، وزهده فسقاً؛ ورشقوه بأليم السهام، وأخرجوه عن الدين والإسلام؛ وحرفوا كلمه عن مواضعه، وأوقعوه في غير مواقعه. ولو نظر الطاعن كلامه بعين الرضا، وأغمد سيف الحسد من عليه انتضى؛ لأوسع له صدراً وشرح، واستحسن ما ذم ومدح،

---

(1) الباخرزيّ، أبو الحسن علي بن الحسن (ت: 467هـ)، **دمية القصر وعصرة أهل العصر**، دار الجيل، بيروت، ط1، 1414 هـ، (1/157-158).

(2) السقا، **تعريف القدماء**، مرجع سابق، ص 218.

(3) العمريّ، شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله(ت: 749هـ)، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، المجمع الثقافي، أبوظبي، ط1، 1423 هـ، (15/ 432 - 434).

لكنهم قصدوه بالطعن والإساءة، واللبيب مقصود، والأديب عن بلوغ الغرض مصدود، وكل ذي نعمه محسود.... وقد وضع أبو العلاء كتابا وسمه بـ" زجر النابح"، أبطل فيه طعن المزري عليه والقادح، وبين فيه عذره الصحيح، وإيمانه الصريح، ووجه كلامه الفصيح"[1].

وعدّه العلامة الذهبيّ شيخ الأدباء، فقال عنه:(شيخ الآداب، اللغوي، الشاعر، الفيلسوف، صاحب التصانيف السائرة)[2].

ولا شك أن للبيئة العائلية أثرا في هذه المكانة الأدبية الرفيعة، فهو من أسرة رفيعة، وبيت علم، ورئاسة، وشجاعة من بني الساطع، وهم فرع من تنوخ، وكان جده قاضيا، وأبوه عالما[3]، كما أن للبيئة الفكرية أثرا كذلك، فقد درس على أكابر الأساتذة المشهورين في كافة علوم عصره: كابن العميد، والخوارزميّ، وبديع الزمان[4].

التعريف بديوان سقط الزند:

الزّند(بفتح الزاي، وسكون النون): العود الأعلى الذي يقتدح به النار، والأسفل هو الزندة، والسقط(بفتح السين، وكسرها، وضمها): هو ما يقع من النار حين يقدح[5]، وسمّي بسقط الزند لأن السقط أول النار التي تخرج من الزّند، وبهذا شبه أبو العلاء شعره الأول بما يسقط من الزند.[6]

ويمكن أن يقال في التعليل: إن شعره يشبه الشرر المتطاير، وأنه شبّه شعره بالنار، وطبعه بالزند الذي قدح به النار، وجعله سقطا؛ لأنه أول ما يخرج من النار، ولعله يشير بذلك إلى أن عقله الكليّ النار مجتمعة، وما ديوانه هذا إلا بعض الشرر المتناثر لا غير، مقللا مما ندّ به عقله من أشعار، ورافعا مما بقي لديه من أشعار لم يخرجها بعد.

وقد بلغت نصوص سقط الزند (113) نصا، وتمثل أهميته في أنه يشكل المرحلة الأولى من حياة المعريّ الشعرية، وقدرته البيانية واللغوية، تناول فيها معظم أغراض الشعر من: رثاء، ومديح، وغزل، وفخر، ومراسلات، وفن الدرعيات[7].

---

(1) ابن العديم، عمر بن أحمد كمال الدين أبو حفص، **الإنصاف والتحري في دفع الظلم والتحري عن أبي العلاء المعري**، تحقيق: مجموعة محققين، دار القومية، القاهرة، 1965م، ص2-4.
(2) الذهبيّ، **سير اعلام النبلاء**، مصدر سابق، 18/3 .
(3) ابو مصلح، **ابو العلاء المعري**، مرجع سابق، ص18.
(4) ابو مصلح، **ابو العلاء المعري**، مرجع سابق، ص20.
(5) مادة سقط، وزند. ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين (ت: 711هـ)، **لسان العرب**، دار صادر – بيروت، ط3 - 1414 هـ، (195/3).
(6) مقدمة التبريزيّ، والبطليوسي، والخوارزميّ،(502ه)، **شروح سقط الزند**، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون ، إشراف طه حسين، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987م، (1 /3).
(7) الخنين، محمد سليم، **من ديوان سقط الزند**، منشورات دار الثقافة، دمشق، 1999م، ص5.

ويضم سقط الزّند ثلاثة آلاف بيت، وقد نظمه أبو العلاء في مرحلة شبابه، ورتبه كما رتب اللزوميات، والدرعيات، والرسائل، ولكنه لم يرتب قصائده ترتيبا تاريخيا، أو فنيا، بل جعلها خليطاً من الرثاء، والوصف، والنسيب، والمدح.[1]

ويقسم طه حسين شعر أبي العلاء في السقط باعتبار التاريخ إلى ثلاثة أقسام تتوافق مع أطوار حياته:

أولا: طور الصبا، الذي ينتهي في سن العشرين.

ثانياً: طور الشباب، وينتهي سنة 400ه حين رحل إلى بغداد.

ثالثا: طور الشيخوخة، حين عاد من بغداد حتى وفاته.[2]

ومن قصائد سقط الزند ما يعرف تاريخها، وذلك من معرفة مناسبتها، فيعلم منها خصائص شعره في الأطوار المختلفة من حياته، فمنها رثاء أبيه سنة 377ه، وكان عمره أربعة عشر عاما، ومطلعها:

نَقمتُ الرّضَى حتى على ضاحكِ المُزْنِ فلا جادَني إلا عَبوسٌ منَ الدَّجنِ[3]

ومرثيته في أبي الشريفين الرضيّ، والمرتضى، وهما من شعر الشباب، يقول فيها:

أوْدَى فلَيتَ الـــحـــادِثاتِ كَفَافِ مالُ المُسيفِ وعنبرُ المُستافِ

أنتم ذَوُو النّسَبِ القَصير فطَولُكم بادٍ على الكُبَراءِ والأشْرافِ[4]

ثم الشعر المنظوم في أهل بغداد وفضلائها بعد العودة من العراق، وهو من شعر الطور الثالث، يقول:

أوَدّعُكُمْ يا أهلَ بَغدادَ والحَشَا على زَفَراتٍ ما يَنِينَ مِن اللّذع[5]

وقد شُرح ديوان**(سقط الزّند)** شروحا كثيرة، أولها من الشاعر نفسه، ومنها شرح ابن السيد البطليوسيّ النحويّ، ومنها شرح علي بن أحمد الإمام الواحديّ في أوج التحري عن حيثية أبي العلاء تحقيق ابراهيم الكيلاني، وشرح قاسم بن الحسين الخوارزميّ المسمى ضِرام السقط.[6]

وللشاعر كتاب ضوء السقط يشمل تفسير ما جاء من الغريب في سقط الزند، ويعدّ شعر سقط الزند في صباه وشبابه حتى نهاية انطلاق موهبته سنة 383ه- 398ه، وقد حمله معه إلى بغداد؛

---

(1) الخنين، **من ديوان سقط الزند**، مرجع سابق، ص 7.
(2) الخنين، **من ديوان سقط الزند**، مرجع سابق، ص8.
(3) المعري، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص 181
(4) المعري، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص255
(5) المعري، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص263
(6) الخنين، **من ديوان سقط الزند**، مرجع سابق، ص 37 – 38.

ليقرأه على البغداديين، ويلاحظ من عنوان الكتاب أن الشعر الذي يضمه نتاج أوليّ لشاعريته الخصبة مع أن فيه بعض القصائد التي ألحقت به تاليا.[1]

وعلى الرغم من أنه اشتمل على معظم أغراض الشعر العربيّ وأنه لم يضمّ قصائد في الهجاء، أو وصف الخمر، أو رحلة الصيد، أو الغلمان.

ويرى د. زهير غازي زاهد أن ديوان (سقط الزند) لم يؤلف بتخطيط سار عليه المعريّ كما فعل في ديوان(لزوم ما لا يلزم)، وإنما جمعت قصائده في فترة سبقت رحلته إلى بغداد سنة 398 هـ ، وقرئ عليه هناك، ثم زيد فيه بعد عودته إلى المعرة، وقراره الاعتزال[2].

أما عنوان الديوان(سقط الزند) فكان معبرا عن موقف المعريّ عن تجربته الشعرية، فقد أشار تلاميذه وشارحو سقط الزند إلى ذلك، قال التبريزيّ- وهو أحد تلاميذه- عنه:" وكان لقب هذا الديوان لأن السقط أول ما يخرج من النار من الزند، وهذا أول شعره، وما سمح به خاطره، فشبهه به"[3]، وقال أبو الفضل الخوارزميّ في مقدمة شرحه:" سماه بسقط الزند لأن السقط ما يسقط من الزند عند القدح، ولا يكاد يخرج من الزند إلا بتكلف شديد، والزند هنا مجاز من الطبع، وهذا الديوان أول شعر لفظه طبعه في غرة عمره، وهو قليل متكلف إلى بقية شعره[4]"

وترى الباحثة: أن ديوان (سقط الزّند) قد خلا -أيضا- من قصائد متخصصة في وصف الطبيعة، أو وصف عنصر من عناصرها، وإنما جاء ذكر الطبيعة في ثنايا أغراض شعرية أخرى من أجل التشبيه، أو لتوضيح بعض المعاني، أو لإبراز قدرته الشعرية، إذ يقول طه حسين: "فإن حياة أبي العلاء لم تكن حياة لعب ولهو؛ ليصف الخمر، والغلمان، والمحبوبة، كما أن ذهاب بصره حال بينه وبين رحلة الصيد، ووصف الحرب، فلم يكن من المعقول أن ينظم في هذه الفنون"[5]

وترى أيضاً أن طه حسين قد أصاب في تعليله هذا، بما يتناسب مع شخصية أبي العلاء من حيث إفراده لنصّ شعريّ خاص بوصف منظر، وبخاصة في وصف خاص لمنظر من مناظر الطبيعة، كما فعل البحتريّ، وأبو تمام، أو غيرهما من الشعراء.

ولا يخفى على الدارس لديوان (سقط الزند) شخصية المعريّ المثقفة، وتنوع معارفه في اللغة، والفلك، والفلسفة، فضلا عن ذكائه المفرط ، وسعة حافظته التي ألمت بكلّ ما وقع تحت يده

---

(1) الأشتر، **أبو العلاء المعري**، مرجع سابق، ص47.
(2) الزاهد، زهير غازي، **لغة الشعر عند المعريّ: دراسة لغوية فنية في سقط الزند**، بغداد: دار الشئون الثقافية، 1989، ص12.
(3) التبريزيّ، وآخرون، **شروح سقط الزند**، مصدر سابق، (103/1).
(4) السقطيّ، رسمية موسى، **أثر كف البصر على الصورة عند المعريّ**، مطبعة أسعد، بغداد، 1968م، ص 93.
(5) الأشتر، **ابو العلاء المعري**، مرجع سابق، ص53.

من علوم، وما سمعه من مشايخه، إضافة إلى لقاءاته المتعددة بأهل الفن والعلم والسياسة، فقد كان بحق معجما لغويا، وظفه المعريّ توظيفا مبدعا في نسج قصائده الرائعة[1].

كما ترى الباحثة أن المعريّ لم يكن راضيا كل الرضا عن ديوانه(سقط الزند)، فقد كان مصمما على أن يكون شعره كالنار في التأثير، وأن هذا الديوان كان بمثابة أول تجربة شعرية له، وسيلحقها ما يكون أشد تأثيرا منه، فالمعريّ كان يحسّ أن قصائده لم تستوعب كل مشاعره وأحاسيسه، لذا فهي كالسقط من الزند.

وقد استغل المعريّ تلك الطاقة اللغوية والشعرية في تصوير عناصر الطبيعة بشكل واضح وجليّ، ففي مقدمات قصائده اختار الألفاظ الموحية المشتقة من الطبيعة التي تنقل القارئ إلى أجواء تلك المشاهد، وفي وصف الرحلة اختار الألفاظ التي تعبر عن المكابدة والمعاناة في أثناء الرحلة، فكان يذكر اعتساف الليل، وهتك جنحه، والعيس، والحنادس، والسرى، والطيف، والسهاد، والعطش، والخوف.

وترى الباحثة أن ديوان (سقط الزند) للمعريّ يعدّ معجما لغويا بما حواه من ألفاظ جزلة، وتراكيب لغوية قوية، وأساليب بلاغية رائعة، جعلت منه شاعرا ذا مكانة رفيعة بين الشعراء.

وقد كان المعريّ في قصائد مرحلة المحاكاة مترددا في موقفه منها، أما في مرحلة النضج الفنيّ فقد أصبحت قصائده تحمل سمة أسلوبه الخاصّ، ومن هذه القصائد الفنية التي تحمل طابعه الفنيّ الناضج القصيدة الدالية في رثاء الفقيه الحنفيّ أبي حمزة، والتي مطلعها:

غير مُجدٍ في ملتي واعتقادي نوحُ باكٍ ولا ترنّمُ شادي[2]

(1) زاهد، زهير، **لغة الشعر عند المعريّ**، مرجع سابق، ص11.
(2) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، **ص 196**

الفصل الأول

صورة الطبيعة الحية في ديوان (سقط الزند) لأبي العلاء المعريّ:

(الطبيعة المتحركة)

أولاً: الحيوانات الأليفة.

1- الإبـــــــل:

الإبل حيوانات أليفة، اتخذها العرب وسيلة للترحال في الصحراء، ونقل الأمتعة، وأحيانا للقتال، والمعريّ من المولعين بوصف هذا الحيوان، وتضمينه ديوانه(سقط الزند)، ومن قصائد المعريّ قصيدته اللامية في مدح أبي الفضائل سعيد الدولة حفيد سيف الدولة الحمدانيّ الذي هزم الجيش الفاطميّ؛ إذ يصف المطيّ التي حملته إلى الممدوح، فيشخص فيها الإبل التي قصدت الأمير أبا الفضائل لينلن فضله، وكان اسم الأمير فألا حسنا لهن، فهو يستخدم الخيل لقنص الأعادي كأنهم فرائس سهلة، وهو أكرم من السماء في سقي الأرض، لكن من دماء الأعداء، إذ إن الأرض تتكل على أبي الفضائل للريّ إذا لم ينزل المطر، وهذه من المبالغات التي يستخدمها المعريّ وغيره من الشعراء على طريقة(أبلغ الشعر أكذبه)، كما أن الريح تطاوعه في الهبوب كما طاوعت النبيّ سليمان (عليه السلام)، وهكذا فإن المبالغة من أهم ميزات أسلوب المعريّ الفنية[1]، يقول المعريّ:

أعَن وَخْدِ القِلاصِ كشَفْتِ حـــالا ومن عِند الظّــلام طَلَبتِ مـــالا[2]

فالشاعر يعنف نفسه على كثره أسفاره وترحاله طلباً للمال، وينكر عليها ما توهمته من إمكان طلب المال من عند الظلام، فليس الظلام موضعا لطلب المال[3]. ويرى التبريزيّ أن الخطاب للعاذلة التي حثته على سرى الليل وتأويبه النهار طلباً للغنى ظناً منها أن نجوم الليل درر، وشمس النهار ذهب[4].

وكعادة الشاعر في إظهار براعته وقدرته اللغوية وقاموسه الواسع في معرفة الكواكب والأماكن، فقد أشرك في رحلاته السريعة صغار الشهب؛ ويقصد به القمر وعطارد؛ إذ إن الكوكب كلما كان صغيراً كان أسرع انتقالاً، وهو بهذا يبسط العذر لناقته في كثرة التنقل؛ لأنها من صغار الإبل، يقول:

فقد أكْثَـــرْتِ نُقْلَتَنـــا وكـــانتْ صِـغارُ الشّهب أسْرَعَهَـــا انْتِقالا[5]

---

(1) الأشتر، **أبو العلاء المعريّ**،مرجع سابق، ص35.
(2) الوخد: السير السريع، والقلاص: جمع قلوص وهي الفتية من الإبل، **شرح سقط الزند**: ص21.
(3) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص21.
(4) التبريزيّ، وآخرون، **شروح سقط الزند**، مصدر سابق، (27/1).
(5) المعري ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص22

ويبرر سرعة انتقال إبله وكثرة ترحالها بأنه لا يوجد لها عقال: وهي الحبال التي تربط في رجل الناقة، إذ يقول:

ولَـــــوْ أنّ المَطِيّ لـــها عُقُولٌ وَجَـــدَّكِ لـــم نَشُدّ بهـــا عقالا[1]

ويعاني الشاعر من شده التعب والإرهاق من مواصلة الرّحَل (جمع رحلة) على ظهر ناقته، كأنه يريد أن يخرج من الدنيا ويتخطاها، فهو يقول :

مُوَاصَـــلَةً بهـــا رِحْلِي كـــأنّي عنِ الدّنْيـــا أَريدُ بهـــا انْفِصَـــالا[2]

وكان هدف المعريّ من الرحلة الشاقة هو الوصول إلى الأمير (سعيد الدولة الحمدانيّ) المبشر اسمه بالفأل الحسن -على عادة العرب-، إذ يقول :

سألْـــنَ فقلْـــتُ: مَقْصِدُنا سعيـــدٌ فكـــانَ اسْمُ الأمِيـــرِ لـــهُنّ فالا[3]

والشاعر المعريّ يكثر من الترحال على هذه الإبل، وعند عودته من بغداد إلى المعرة، شاهد برق المعرة التي ينتسب إليها في منتصف الليل من بعيد فأثار الحزن، والشجى في نفسه شوقاً إلى بلده، وعشيرته، إذ يقول[4] :

سَرَى بَرْقُ المَعَرّةِ بـــعدَ وَهْنٍ فبـــــاتَ برامَةٍ يَصِـــفُ الكَلالا
شَـــــــــجَا رَكْباً وأفْراساً وإبْلا وزاد فكـــاد أنْ يَشْجو الـرّحالا
بـــهـــــــا كانتْ جيادُهُمُ مِهاراً وهُمْ مُرْداً وبُـــزْلُهُمُ فِصـــــــالا
وَمَـــنْ صَحِبَ اللّيـــالي عَلّمَتْهُ خِـــداعَ الإلْفِ والقيـــلَ المُحالا

يقول المعريّ: وبعد أن صرتُ برامة لمع برق المعرة في الشام منتصف الليل، فوصل إلينا البرق ضعيفا لبعد المسافة بين المعرة والرامة، فإذا كانت هذه المسافة التي قطعها البرق قد أشعرته بالضعف فكيف وقد قطعنا نحن هذه المسافة نفسها؟، ولما لمع هذا البرق الآتي من المعرة ذكّر القافلة والأفراس والإبل بأوطانهم فأحزنهم.

ينكر المعري على ناقته حنينها إلى الوطن بعد مضي سنة من الرحيل وما اصابها من الحنين، فهو يقول[5]:

---

(1) المعري ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص23
(2) المعري، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص23
(3) المعري ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص23 .
(4) السرى: المشي ليلا، والوهن بتسكين الهاء منتصف الليل، والكلال: الضعف، والرامة: من قرى بيت المقدس، وقيل : جبل لبني دارم، والمرد : جمع أمرد، وهم الشباب الذين لم ينبت شعر وجوههم، والبزل: جمع بازل، وهو المسنّ من الإبل، والفصال: جمع فصيل وهو ولد الناقة، والمهار: جمع مهر، وهو ولد الفرس، والإلف: الصديق. لمعريّ، **شرح سقط الزند**، مصدر سابق، ص28-29
(5) المعري ، **حاشية سقط الزند**، مصدر سابق، ص37.

أبَعْدَ حَوْلٍ تُناجي الشّوْق نَاجيةٌ هَلاّ ونحنُ على عَشْرٍ من العُشَرِ[1]

وفي قصيدة يصف فيها المعري البعير الذي تحير من شدة الحر[2]، إذ يقول:

يا غيْثَ فَهْمِ ذَوي الأفهام إن سَدِرَتْ إبْلي فمرْآك يَشْفِيها من السَّدَرِ[3]

وهنا يقول المعري متحدثا عن الإبل بأنها قد رقعت جلودها حتى صار الماء يُرى للعيان وهو نازل في رقابهن[4]، إذ يقول:

فكاد الفَجْرُ تَشْرَبُه المَطَايـــــا وتُمْـــلأ منـــه أسْقِيـــةٌ شِنانُ

وقـــــــد دَقّتْ هَوادِيهِنّ حتى كأنّ رقابَهُـــــــــــنّ الخَيْزرانُ

إذا شربَتْ رأيْتَ المـــــاءَ فِيهـا أزَيْـــرِقَ لـــيس يَسْتُرُهُ الجِرَانُ

ستَرْجِعُ عنـــكَ وهْيَ أعَزّ إبْلٍ إذا إبِـلٌ أضَرّ بـــــها امْتِهانُ[5]

ويصور المعري صغير الناقة الذي فصل منها، ويصف كرائم أناث الخيل، والناقة ذات اللبن، إذ يقول[6]:

فلم تُؤْثِرْ على مُهْرٍ فَصيـــلاً ولـــم تَخْتَرْ على حِجْرٍ لَقُوحا[7]

ويصف المعري هنا أن القطا لشدة عطشها ترد عيون المطايا متوهمة أنها مياه[8]، إذ يقول:

يَكَدْنَ يَرِدْنَ من حدَق المَطايا مَـــوَارِدَ ماؤهـــــا أبَداً ثِمادُ[9]

يذكر المعري على أن العيس أسرع من النعامة، فكل منخفض من الأرض يباهي ربد نعامه بهن أي بالعيس[10]، إذ يقول:

بعِيسٍ تَجُوبُ الدهرَ جوناً كأنها مُفتّشَةٌ أحْشاءه عن كِرامِـــهِ

خِفافٍ يُباهي كلُّ هَجْلٍ هَبَـطْنَه بهِنّ على العِلاّتِ رُبْدَ نَعامهِ[11]

يصف المعري الابل المهرية المنسوبة إلى مهرة بن حيدان[12]، إذ يقول:

---

(1) المعري ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص37.
(2) المعري ، **حاشية سقط الزند**، مصدر سابق، ص44.
(3) المعري ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص44.
(4) المعري ، **حاشية سقط الزند**، مصدر سابق، ص47.
(5) المعري ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص47.
(6) المعري ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص58.
(7) المعري ، **حاشية سقط الزند**، مصدر سابق، ص58.
(8) المعري ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص67.
(9) المعري ، **حاشية سقط الزند**، مصدر سابق، ص67.
(10) المعري ، **حاشية سقط الزند**، مصدر سابق، ص101.
(11) المعري ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص101.
(12) المعري ، **حاشية سقط الزند**، مصدر سابق، ص101.

إذا أرْزَمَتْ فيه المَهاري ولم يُجِبْ حُوَارٌ أجابَتْ عنه أصداءُ هامهِ

ولو وَطِئَتْ في سيرِها جَفْنَ نائمٍ بأخْفافِها لم يَنْتَبِهْ من مَنامهِ[1]

تلاحظ الباحثة أن الشاعر يحاول أن يشرك عناصر الطبيعة همومه، وعواطفه، وأشجانه على طريقة الشعراء السابقين الذين وظفوا عناصر الطبيعة الحية والصامتة في وصف آلامهم وعواطفهم نحو أحبتهم وأوطانهم.

ويستخدم الشاعر المعريّ أوصاف الإبل في الفخر بنفسه؛ للمقارنة بينه وبين الشعراء الذين أرادوا هجاءه والنيل منه، فهو الفحل القويّ وهم الناقة العشراء الضعيفة؛ إذ يقول[2] :

وَرَائي أمامٌ والأمـــــامُ وَراءُ إذا أنا لـــــــم تُكْبِرْنيَ الكُبَرَاءُ

ومُذْ قال: إنّ ابن اللئيمةِ شاعِرٌ ذَوُو الجَهْلِ ماتَ الشّعْرُ والشّعَراء

تُساوِرُ فَحْلَ الشعْرِ أو ليْثَ غابِه سِـــــفاهاً وأنتَ الناقةُ العَشْراء[3].

ويجعل المعريّ إبله العزيزة وسيلة للوصول إلى محبوبته الكريمة التى حملت خدرها، إذ يقول[4] :

أجارَتَنَا أنْ صابَ دارَةَ قوْمِـــــنا رَبِيعٌ فأضْحى من مَنازِلنا السَّنْط

إذا حَمَلَتْكِ العيسُ أوْدى بأيدِهـــا جَـــلالُكِ حتى ما تكادُ به تَخْطو

خَدَتْ بسِواكِ الناقلاتُكِ في الضّحى بِـــمَشْيٍ سِواكٍ لا تُجِدّ ولا تَمْطو

إذا ما عَصَتْ حُكْمَ العَصَا فأعادَها لها ضارِبٌ كانتْ إجابَتها النَّحْط[5].

ويصف المعريّ الناقة التي تسير في الصحراء الشاسعة وقد ابتلت بالعرق من شدة السير حتى ابتلّ رحلها، وما تحمله، بألتماع العرق على جسدها في الظلام كأنه انصداع الفجر، إذ يقول[6]:

وكادتْ قَلوصٌ حُمّلَتْها حَقـــيبَةً يَبِـضّ بمـــاءٍ كُورُهَا ونُسُوعُها

إذا أُلْقِيَتْ في مَهمهٍ تحتَ حِندسٍ تَخَيّلْتَ أنّ الشّمسَ لاحَ صَديعُها[7].

---

(1) المعري ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص101.

(2) المعري، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص83-84

(3) تساور: بمعنى تواثب، والفحل : الذكر من كل الحيوان، وجمعها فحول وأفحل، وفحل الإبل: أكرمها(3)، والليث: من أسماء الأسد، والسفاه: الحمق، والناقة العشراء: الحامل لعشرة أشهر وتوصف بالوهن، والضعف. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص٨٤.

(4) المعري ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص300

(5) ومعنى صاب : أصاب، والربيع: أراد به المطر، والسنط: قرظ ينبت في الصعيد، وهو نوع من الحطب يزعمون أن أكثره ناراً وأقل رماداً. والأيد: القوة ، وخدت: مشت مشياً سريعاً ، وهو من الخدي ضرب من السير، والمشي السواك: البطيء، ولا تمطو: أي لا تمدّ في السير والنحط: الزفير، والمعنى: أن الإبل تتناقل في سيرها محبة في حمل خدرك، وتجنباً من حط الرحل عنها. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص٣٠٠ .

(6) المعري ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص392

(7) يـــبض: يسيل، والكور: الرحل، والنسوع: جمع نسع وهو سير تشد به الرحال، والصديع : الفجر لانصداعه، المعريّ، شرح سقط الزند، ص 392.

2- الخيـــــــل:

الخيل من أدوات الحرب، والدلالة على الشجاعة والفروسية، لذا يجعلها المعريّ موضوعاً لمدح الأمراء الشجعان الذي يشبههم بالأسود الذين لا غابة لهم إلا الرماح، إذ يقول :

مُكَلِّفُ خَيْلِهِ قَنْصَ الأعَادي وجاعِلُ غابِهِ الأسَلَ الطِّوَالا[1]

وخيل الأمير سريعة سابقة تحمي عرضه وشرفه وتغنيه عن الأقدار في صون أوليائه، وابتذال من يريد إباحة دمه، أو انتهاك حرمته من أعدائه، يقول المعريّ :

تَكـــادُ سَوَابِقٌ حَمَـــلَتْهُ تُغْني عــنِ الأقْدارِ صَوْنـــاً وابْتِذالا[2]

ولسرعة هذه الخيول السوابق التى تربّت في الصحراء مع فراخ النعام فألفتها، وتعلمت سرعتها، إذ يقول العرب في أمثالهم: " أعدى من ظليم "؛ لأنه إذا عدا مدّ جناحيه بين العدو والطيران، يقول[3] :

نَشَـــــأنَ مع النَّعَـــامِ بكُلّ دَوٍّ فقَـــــدْ ألِـــفَتْ نتائِجُها الرّئالا[4]

يصف المعري خيول الأمير بأنها شديدة الحقد على الأعداء، ما يجعلها تعَضّ على شكائم لجامها التي تعترض فم الفرس، وتخالط لعابها، فهو يقول[5]:

وقد ذابت بنار الحقد منها شكائمها فمازجت الروالا[6]

وهذه الخيول الأصيلة التي يمتطيها الأمير الممدوح الفارس المغوار لا همّ لها إلا قتل الأعداء، وترك أولادهم أيتاماً، وعلى العكس ليس لها اهتمام بقتل البقر الوحشية والسخال أولاد الظباء، يقول المعريّ :

يُذِقْنَ بَني العُصَاةِ اليُتْمَ صِرْفاً ويَتْرُكْنَ الجَآذِرَ والسِّخَالا[7]

وهذه الخيول العربية الأصيلة لا يقتلن البقر الوحشيّ التي يصادفنها في الصحراء، بل تفتك بخيول الأعداء الكثيفة التي تحمل فرساناً من الثلاثين إلى الأربعين، يقول المعريّ[8] :

فما يَرْمِينَ بالآجالِ إجْلاً وَيَرمِينَ المَقَانِبَ والرِّعَالا[9]

---

(1) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص 23.
(2) المعريّ. **سقط الزند**، مصدر سابق،ص24
(3) الدوّ: الفلاة الواسعة، نتائج الخيل: أولادها، والرئال: فراخ النعام. المعريّ، **شرح سقط الزند**، مصدر سابق، ص24
(4) المعريّ. **سقط الزند**، مصدر سابق،ص24
(5) المعريّ. **سقط الزند**، مصدر سابق،ص24
(6) والشكائم :جمع شكيمة وهي اللجام، أو الحديدة المعترضة في فم الفرس، والروال للخيل بمنزلة اللعاب للإنسان، المعريّ. **شرح سقط الزند**، مصدر سابق،ص24
(7) المعريّ. **شرح سقط الزند**، مصدر سابق ، ص 24.
(8) الآجال: جمع أجل وهو الموت، والأجل: القطيع من بقر الوحش، والجمع آجال، المعري، **شرح سقط الزند**، ص25.
(9) المقانب: جمع مقنب وهو الخيل والفرسان ما بين الثلاثين إلى الأربعين وقيل زهاء ثلاثمائة. ابن منظور، **لسان العرب**، مصدر سابق، مادة: قنب.

وهذه الخيل تقتل الرجال وتدع النساء متفجعات، يقمن بالنياحة على أزواجهن وأقاربهن حاسرات الشعر، باديات الوجوه، فقد صرن في ذلة وهوان، فمن أراد منهن شيئاً أنلنه دون مقاومة، فهو يقول:

يُغادِرْنَ الكَواعِبَ حاسِرَاتٍ يُنِلْنَ مِن العُداةِ من اسْتَنالا[1]

والحصان الأصيل جعله يشعر بطيف حبيبته فأخذ يصهل مما منع الخيال عن الزيارة، إذ يقول[2] :

ونَمّ بِطَيْفِـهـا السّاري جَـــوَادٌ فجَنّبَنَا الزّيارَةَ والـــوِصَالا

وأيْقَظَ بالصّهيلِ الرّكـــــبَ حتى ظَنَنْتُ صَهِيـلَهُ قِيلاً وقالا

ولولا غَيْرَةٌ منْ أعْوَجـــــــــيّ لَبَاتَ يَرى الغزالَةَ والغزَالا[3]

يُـــــحِسّ إذا الخَيَالُ دنا إلينا فيَمْنَعُ من تَعَهّدِنا الخَيالا

أراد: أن هذا الجواد الأصيل لولا غيرته فعجل بالصهيل لرأى طيف حبيبته الذي شبهه بالشمس بهاءً، وبالغزال جيداً وطرفاً[4].

ويستمر المعريّ في وصف شدة هذه الخيول العربية الأصيلة التي يمتطيها الأمير الممدوح فهي إذا لم تجد أرضاً مجالاً للسباق فإن الأمير يجعلها تسير فوق الأعادي، فهو يقول:

فقُلْ لمُجيلِهَا فوقَ الأعادي إذا ما لم يَجِدْ فَرَسٌ مَجَالا[5]

وكان حصان الأمير من أكرم أنواع الجياد العربية إذ يقول المعريّ[6] :

أخفّ من الوجيه يداً ورجلاً وأكرم في الجياد أباً وخالا[7]

وقد مدح المعريّ الأمير الذي ينتمي إلى قبيلة عربية مشهورة بركوب الخيل وحب الفروسية والقتال، على عكس بعض القبائل التي لا تتقن إلا زجر الغنم والإبل؛ إذ يقول[8]:

يا ابن الألى، غيرَ زَجْرِ الخيلِ م عرَفوا إذ تَعرِفُ العُرْبُ زَجرَ الشاء

---

(1) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص٢٥.
(2) الغزالة : الشمس، والغزال: ولد الظبية. المعريّ، **شرح سقط الزند**، مصدر سابق، ص28
(3) الأعوجيّ: منسوب إلى أعوج، وهو فرس سابق ركب صغيراً فاعوجت قوائمه، وفي حديث أم زرع: "أن رسول الله ركب أعوجياً "، وهو فحل كريم. ابن منظور، **لسان العرب** ، مصدر سابق، مادة: عوج.
(4) المعري، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص٢٨.
(5) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق،ص30
(6) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق،ص31
(7) الوجيه: فرس من خيل العرب نجيب. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق،ص31
(8) الألى: بمعنى الذين، وزجر: طرد، والعكر: القطيع الضخم من الإبل، مفردها عكرة، والقائديها: أي قائدين الخيل، وألافها: مهارها، واللأم: جمع لأمة وهي الدرع. المعريّ.سقط الزند، مصدر سابق،ص40

والعَكَرِ والقائِديهَـــــا مع الأضيافِ تتْبعُهـــا ألآفُها وألوفُ اللأمِ والبِـــــدَرِ

فهؤلاء الممدوحون يتصفون بركوب الخيل للحروب والفروسية، ويحملون أضيافهم عليها، ثم يهبونها مع مهارها وألوف الأكياس من الدراهم عليها[1].

وفي معرض مديحه لأبى الفضائل سعيد بن شريف بن علي بن أبي الهيجاء وهو من بني عديّ المشهورون بالتمسك بعقيدة التوحيد، وحب الخيل، ومهارة ركوبها، والفروسية والشجاعة، فهو يصف تلك الخيول الأصيلة التي يمتطونها وما تتحلى به من سرعة ولون أخاذ جميل، وضمورها لكثرة ركوبها، فيقول[2]:

وعنّت في سَماءِ بَني عَدِي نُجُومُ ما يُغَيّبـــــــــها عَنان

ولولا قولك: الخَـــــــلاّقُ رَبّي لكـــــان لنَا بطَلْعَتكَ افْتِتَانُ

تَخُبّ بكَ الجيادُ كأنّ جَـوْناً علـــــــى لَبّاتِهِنّ الأرْجُوانُ

مُضَمَّرَةً كـأنّ الحِـــجْـرَ منها إذا مـا آنَسَتْ فَزَعاً حِصانُ

ويقول في إجابته الشريف أبا إبراهيم موسى بن إسحق: أنك من الشجعان الذين، يجيدون ركوب ظهور الخيل والمهار، فيكون الفرس أكرم طبعاً منه، كما أن ظهر فرسه تشبه السماء لارتفاعه الأرض قوائمه لاستفالها، ولما جعل أعلاه سماء وأسفله أرضاً جعل ما بين قوائمه هواء، فهو يقول[3] :

فلـــــم تُؤْثِرْ على مُهْرٍ فَصيلاً ولم تَخْتَرْ على حِجْرٍ لَقُوحا

رَكِبْتَ اللّيْلَ في كَيدِ الأعادي وأعْدَدْتَ الصّباحَ له صَبوحا

وأعْظـــَمُ حادثٍ فَرَسٌ كَريمٌ يكُـــونُ مَلِيكُهُ رجُلاً شَحيحا

تُريكَ له سمـــاءً فوْقَ أرْضٍ فَـــــــرُوجُ قَوائِمٍ يُعْدَدْنَ لُوحا[4]

وهذا الحصان مجتهد في الركض والسرعة، لا يظهر عليه أثر الإعياء، وهو من فرط شربه للبن في العشيّ حتى يأباه جسمه فيتحول إلى عرق، إذ إن عرق الخيل أبيض، فهو يقول[5] :

أصِـــــيلُ الجَدّ سابقهُ تَراه على الأيْنِ المُكَرَّرِ مُسْتَريحا

---

(1) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص٤٠.

(2) عنّ: بمعنى ظهر، والعنان: السحاب. المعريّ. **سقط الزند**، مصدر سابق،ص50-51

(3) المعريّ.**سقط الزند**، مصدر سابق، ص58

(4)وأبرحت : جئت بالبرح أي العجب، والفصيل ولد الناقة، الحجر: الأنثى من كرائم الخيل، واللقوح: الناقة ذات اللبن، مليكه: أي مالكه، والفروج: ما بين القوائم، واللوح: الهواء بين السماء والأرض. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص58.

(5) المعريّ. **سقط الزند**، مصدر سابق،ص59

كَأنّ غَبوقَهُ مِن فَرْطِ رِيّ أباهُ جِســـــــمُه فغَدا مَسِيحا[1]

ومن أجمل قصائد المعريّ في الحكمة والنصح والإرشاد ما يمدح به الفرسان الذين يبحثون عن المكارم لا المغانم، ويبتعدون عن شهوه النساء، وأن يكونوا من جيش الأمير الذين يعيشون في ظلال السيوف والرماح، ويتقي بركوب الخيل كل مصيبة، ويبيد بها كل جيش عرمرم، فهو يقول[2]:

أدْنـــــى الفوارِسِ مَن يُغِيرُ لمَغْنَمٍ فاجْعَلْ مُغَارَكَ للمَكارِم تَكرُمِ

والْـــــــحَقْ بتُبّاعِ الأميرِ فكُنْ له تَبَعاً لتُصْبِحَ بالمحَلّ الأعظَمِ

واسْتَزْرِ بالبِيضِ الحِسانِ ولا يكُنْ لكَ غيرُ هِمّةِ صارمٍ أو لَهْذَمِ

المُتّقي بالـــــــــخَيْلْ كلّ عظيمةٍ والمُسْتَـــــبِيحِ بهِنّ كلّ عَرَمْرَمِ[3]

ويرى الشاعر أن هذه الخيول الأصيلة سلكت فلاة مجدبة، لا تجد شيئاً ترعاه إلا خوافي النعام، ووصفها لسرعتها وخفتها بأنها تمر بالقطا وهو نائم فلا توقظه، وهذه الخيول من شدة ضمورها وهزالها أصبحت تسلك أضيق الأماكن التي تسير فيها الأراقم، وهي غراء وطويلة على وجه الأرض، فهو يقول[4] :

تَرعى خوافي الرُّبْدِ في حَجَراتِها سَغْباً وتَعْثُرُ بالغَطَـاطِ الـنَّـــوَمِ

مِـــن كلّ مُعْطِيَةِ الأعِنّةِ سرْجُها تَـــــرْقى فوارِسُـــــها إليه بسُلّمِ

غَرّاءَ سَلْـــهَبَةٍ كَأنّ لجامَهـــــا نـــــالَ السماءَ به بَنانُ المُلْجِمِ[5]

ويستمر المعريّ في وصف الخيل مظهراً خبرته الواسعة بها، وسعة اطلاعه على صفاتها، وأسمائها، وألقابها، فمنها: المقابل، واللاحق، والوجيه، والمطهّم، والمحجّل، فهو يقول[6] :

ومُـــقابَلٍ بينَ الوَجيهِ ولاحِقٍ وافاكَ بينَ مُـــــــــطَهَّمٍ ومُطَهَّمِ

صاغَ النّهارُ حُجُولَهُ فكـــأنّما قَـــطعتْ له الظّلماءُ ثوبَ الأدهَمِ[7]

---

(1) الأين : الإعياء، والغبوق: شرب العشيّ ، والمسيح: العرق. المعري، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص٥٩.

(2) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص70

(3) وأدنى: من الدناءة، وحذفت الهمزة للتخفيف، والغانيات: جمع غانية، وهي المرأة المبتذلة، وأستزر: من أزرى إذا عاب عليه، واللهذم: الحادق الأسنة، والبيض: السيوف والعرمرم: الجيش الكثيف. المعري، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص٧٠.

(4) الربد: النعام، والسغب: الجوع، الغطاط: ضرب من القطا غير الألوان، وشزّ بمعنى أيبس لحمها، والأراقم: جمع أرقم، وهي الحية، والمساب: المسلك. وغرّاء : طويلة الغرّة، المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص72

(5) السلهب من الخيل: الطويل على وجه الأرض، وجمعها سلاهبة، ويقال فرس سلهب، وسلهبة للذكر إذا عظم وطال، وطالت عظامه. ابن منظور، **لسان العرب**، مصدر سابق: مادة سلهب.

(6) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص73

(7) المقابل : هو الفرس الكريم الطرفين من قبل أبيه وأمه، والوجيه واللاحق: فرسان كريمان من عجائب الخيل العربية، والمطهّم: الحسن الخلق، والحجول: البياض في القوائم، فهو يقول:إن هذا الحصان أبيض كأنه قطعة من النهار، وسائر جسمه أسود كأنه قدّ من ظلام الليل. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص٧٣.

ويصف المعريّ إحدى الليالي التي بات فيها على ظهور الخيل الضوامر، والبعض الآخر في رحال النياق، وقد ذهب النوم عن عيونهم لهول المشهد الحربيّ؛ انتظاراً لصولة المعركة التي دارت بين المسلمين من جهة والروم من جهة أخرى في منطقة أنطاكية، يقول[1] :

بِتْنا فَريقٌ في سُرُوجِ ضَوامـــرٍ مِنّا وآخَرُ فـــي رِحالِ عَرامِـــسِ

سَلَبَ الكَرَى ألْبابَ مَن ذاقَ الكَرَى مِنّا وطارَ ببَعْضِ لُبّ الناعِـــس

فالــمَرْءُ يَلْـثَمُ سَيْــفَهُ وقِرابَــهُ ويَظُنّــهُ وَجَناتِ أغْيَدَ مــائِس

لا تَحْسَبي إبِلي سُهَيْـلاً طـالِـعاً بالشـأمِ فالمَـــرْئِيُّ شُعْـلَـةُ قابِس

ولـقـــد أظَـلُّ تُظِلّني وصَحـابَتي والشمسُ مِثلُ الأخْزَرِ المُتَشاوِس

خَيْلٌ شوامِسُ في الجِلالِ إذا هفَتْ ريحٌ وإن ركَدَتْ فغيرُ شـــوامِس

فالمعريّ يجعل نياقه وخيله تحجّ إلى حلب؛ لكون الأمير الممدوح فيها، ولو رحل الممدوح إلى حرّان لحجّت إليه، وقد حنّت تلك الإبل إلى الممدوح فظن الركب لسرعتها أنها نجم الشعرى، فهو يقول[2] :

حَلَباً حَجّتِ المَـطِـيُّ ولـــو أنْ جَمْـتَ عــنها مالـــتْ إلى حَرّانِ

أرْزَمَـتْ ناقتـايَ شَوْقاً فظَنّ الرّكْ بُ أنّــي سَـــرَى بيَ الـــمِرْزَمانِ

المعريّ مغرم بوصف الخيول العربية الأصيلة، وبخاصة في الحروب، وهو دائماً يستلهم روح المتنبي في وصفه لمعارك سيف الدولة الحمدانيّ ضدّ الروم، فهذه الخيول ذات قوائم عالية تصل النجوم، وهي إذا غزت عدواً جعلته مهيناً، وحمت العرض والديار، يقول :

إذا ما عَـــلاهَا فارسٌ ظَنّ أنّه تَبَوّأ ما بين النّـــــجومِ قَرارا

ولم أرَ خَيْلاً مِثْـــــلَها عَرَبيّةً تُذِيلُ عَدُوّاً أو تصُونُ ذِمارا[3]

وفي معرض مدحه أحد أولاد سيف الدولة الحمدانيّ يصف خيله بأنها صمتت يوم حلاحل حتى لا تدلّ على موضعهم، وهذا من كرم الخيول؛ إذ إنها كانت عاقلة، يقول :

لَيْتَ الجِيادَ خَرِسْنَ يوْمَ حُلاحِلِ ورُزِقْنَ عَقْلاً في تَنائِفِ عــاقِـلِ

فيــكـمْ غَـداتَئِذٍ جَوادٌ صامِتٌ في الحَيّ أثْمَنُ من جَوادٍ صـاهِلِ

---

(1) الضوامر: الخيل الضامرة من طول السفر والركوب، والعرامس: جمع عرمس، وهي الناقة الشديدة الصلبة، والأغيد: الناعم المنثني، وهي صفة للفتاة، والمائس المتبختر في مشيه، وسهيل: كوكب يمانيّ لا يطلع بالشام، ويزعمون أنه إذا طلع سهيل ورآه بعير مات؛ لذلك فالإبل تكرهه، والعواصم: الحصون المانعة، والولايات التي تحيط بين حلب وأنطاكية، والشوامس: الخيل الجامحة التي لا تستقر، والمنسم: مقادم خفّ الجمل، واحدها منسِم، وعجز النهار: ما بعد العصر، والدامس: المظلم. المعري، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص92

(2) المعري، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص86-87

(3) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص125

نَسْري إذا هفَتِ الجَنــوبُ لعَلّنا نُخْفي حَسِيسَ جَنــائبٍ وَرَواحلِ[1]

وفي قصيدة للمعريّ يخاطب فيها خاله علي بن محمد بن سبيكة وقد سافر إلى المغرب، وأطال الغيبة، والتي مطلعها[2] :

تُفَدّيكَ النَّفوسُ ولا تَفـــــادى فأدْنِ الـــــــقُرْبَ أوْ أطِلِ البِعادا

ونَسْتَشْفي بِسُؤرِ جَـــوادِ خَيْلٍ قَدِمْتَ علــيه إنْ خِفْنا الجُـــوَادا

كأنّكَ مِنْهُ فوقَ سَماءِ عـــزٍّ وقد جُـــــــعِلَتْ قَوائِمُه عِمادا

كأنَّ بني سَبيكَةَ فـــــوقَ طَيْرٍ يَجوبونَ الغَوائِرَ والنـــــّجادا

بِعِيسٍ مِثْلَ أطـــرافِ المَداري يخُضْنَ من الدُّجى لِمَماً جِعادا[3]

وكأن هذا الحصان العربيّ الأصيل الذي يركبه بنو سبيكة سماء عالية في عزّها، وجعل قوائم الحصان أعمدة لها.

ومن قصائده في وصف المعارك والفروسية وأدواتها من خيل عتاق، يصف الخيول العربية الأصيلة كيف قاد الممدوح خيله المسرعة وهي تغذ السير تتزين بثياب جميلة من الغبار الكثيف الطويل طول العباءات، وهي من شدة حقدها وزفيرها على الأعداء تذيب اللجام، ولكن برد الماء الذي تشربه يخفف من ذلك، وأن هذه الخيول لم ترد الماء بسبب العطش، ولكن للتقليل من حرارة اللجام الذي يكاد يشتعل من شدة الغيظ والحقد، فعادت هذه الخيول وقد أصبحت شفاهها حمراء كلون الأفق، بعد أن كانت بيضاء، يقول المعريّ :

أليـــــس الّذي قادَ الجيادَ مغذّةً رَوَافِلَ في ثَوبٍ من النقع ذائـــــل

يَكادُ يُذيبُ اللّجْمَ تأثيرُ حِقْدِهَـــا فـيَمْنَعُها من ذاكَ بَرْدُ المناهـــــلِ

وما وَرَدَتْها مِنْ صدًى غيرَ أنَّها تُريدُ بِورْدٍ الماء حِفْظَ المَساحِـــل

وعادتْ كأنَّ الرَّثمَ بَعْدَ وُرُودها أعِرْنَ احمرارَ الأفْقِ فوق الجَحافل

وَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ الجِبالُ صوامِتُ وهذا كثير النَّطْقِ جم الصَّـــــواهل

وإنْ رَكبوا الجُرد العتـــاقَ لغارةٍ بدَوْا في وثاقٍ ركب نوقٍ وجامل[4]

---

(1) المعريّ.**سقط الزند**، مصدر سابق، ص146

(2) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص156-157-158.

(3) السؤر: ما بقي في الإناء من الماء بعد الشرب، والجُواد: العطش، فخيولهم الأصيلة كأنها طيور من شدة سرعتها، تحوم فوق الأغوار، والنجاد الأرض المنبسطة مفردها نجد. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص ١٥٧.

(4) ومغذّة: سريعة المشي، والنقع: الغبار، والذائل: طويل الذيل، والصدى: العطش، والمساحل: جمع مسحل، وهو اللجام، والرثم جمع أرثم، وهو الفرس الذي في شفته العليا بياض، والصواهل: جمع صاهل، وهو صوت الخيل، والجم: الغفير، والجرد: العتاق من الخيول ، والجامل: راكب الجمل، المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص218.

ويبلغ المعريّ الغاية في الإلمام بالعادات العربية الأصيلة، ومنها أن الخيل تجزّ أعرافها إذا مات فارسها، ففي قصيدة للمعريّ يرثي فيها أبا أحمد الملقب بالطاهر، ويعزي ابنيه: الرضي، والمرتضى، فيقول[1] :

لو تَقْدرُ الخيلُ التي زايَلْتَهَا انْحتْ بأيديها على الأعرافِ[2]

والنعام أطلق اسمه على بعض الخيول العربية، وفي ذلك يشير المعريّ في عداد مدحه لبني عليّ أنهم يركبون خير الخيول العربية، ومنها: النعامة، وهي فرس للحارث ابن عباد، والتي يقول فيها الحارث:

قرّبا مربط النعامة مني لقحت حرب وائل عن حيال[3]

وفي العرب فرس أخرى تسمّى النعامة، وهي لفرّاص الأزديّ الذي يقول فيها:

عرضت له صدر النعامة إذ دعا ولم أرج ذكر كل نفس أشوقها[4]

ويقول المعريّ[5]:

وأرْبـــابُ الجِيادِ بَنو عـــــليّ مُزِيرُوهَا الذّوابِلَ والصّفيحا

وخيرُ الخيْلِ ما ركبـــوا فجَنّبْ غُراباً والنّعامةَ والجَموحـــــا[6]

وهذا يدل على سعة ثقافة المعريّ ومعجمه اللغويّ.

3- الكلاب:

الكلاب من الحيوانات الأليفة، اقتناها العرب لحراسة منازلهم ودوابهم، واصطحبوها معهم في ترحالهم، واستحسنوا منها ما يستحسن في الخيل، والمعريّ يهتمّ بعناصر الطبيعة على عادته، ويوظفها في أغراضه الشعرية المتنوعة؛ مستمداً هذه العناصر من البيئة الجغرافية المحيطة به، كما أنه يستخدم نوع منه للصيد، ولكن المعريّ يهتم بهذا الحيوان في معرض هجائه لأعدائه، ففي قصيدة له بعنوان **(كلاب تنبح القمر)**: يفتخر فيها بنفسه، وأنه متقدم على أقرانه، متفوق عليهم في المنزلة الشعرية، لا يشق له غبار، وأنه لايضيره همز الهامزين، ولا لمزهم، ولا قدحهم، فهو بمنزلة القمر، وهم بمنزلة الكلاب التي تنبح القمر، إذ يقول :

---

(1) - المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص254

(2)أنحت بمعنى أقبلت نحوه، وزايلتها: رأيتها، والأعراف: جمع عُرف، وهي الشعر الذي يعلو عنقها كعرف الديك. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص ٢٥٤.

(3) المعريّ. **سقط الزند**، مصدر سابق، ص59

(4) المعريّ. **سقط الزند**، مصدر سابق، ص59

(5) - المعريّ. **سقط الزند**، مصدر سابق، ص59

(6) أرباب: بمعنى أصحاب، والجياد: هي الخيول الأصيلة، ومزيروها: أي قائدوها، والذوابل: الرماح، والصفيحا: السيوف، والغراب والنعامة والجموح: أسماء لخيول عربية أصيلة مشهورة عند العرب. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص٥٩.

تعاطَوْا مَكاني وقد فُتَّهُمْ فما أدرَكوا غيرَ لَمْحِ البَصَرْ

وقد نَبَحوني وما هِجْتُهُمْ كما نَبَحَ الكلْبُ ضَوْءَ القَمرْ[1]

فالمعريّ في هذه الأبيات يتعالى على أعدائه بهمته ومنزلته الشعرية، ومكانته العلمية، وأنه لا ينزل إلى مرتبتهم، فهو يشبه نفسه بالقمر العالي في السماء، وأعداءه كالكلاب التي لا تنفك تنبح القمر ليلاً؛ ظناً منها أنها تخيفه، والأمر ليس كذلك[2].

وفي معرض مدح المعريّ لبعض الأمراء وقد تشكى من علة، يفتخر المعريّ بنفسه، ويهجو بعض الشعراء الذين ذمّوه ونالوا من عرضه، يقول: تمهّل، أيها العاوي ورائي، وخفف من نباحك، وأخبرني: متى جرت العادة بأن ينطق الجماد مثلك فتكون من الناطقين، ومتى تكلم الموات فتكون من المتكلمين، وكيف أخمل وأنا من الأذكياء النابهين؟ وكيف أبخل والقناعة زادي؟ وكيف ألقى الموت ونياقي لم تسرع لذلك، وكذلك خيولي الأصيلة، فهو يقول[3] :

رُوَيْدَكَ أيّها العـــــاوي ورائي لتُخْبِرَني متى نَطَقَ الجَمادُ

سَفَاهٌ، ذاد عنكَ الناسَ حِلمٌ وَغـــــــــيّ فيه منفعَةٌ رَشاد

أأخْمُلُ والنّبَاهَةُ فيّ لَفْـــــظٌ وأفْتـــــــــرُ والقَناعَةُ لي عَتادُ؟

وألقى الموت لم تخد المطايا بحاجاتي ولم تـجـف الجياد

ولـــــو قِيل: اسْألوا شَرَفاً لقُلْنا يَعـيـــشُ لنا الأمـــيرُ ولا نُزادُ

شـــكَا فتَشكّتِ الدّنيا ومـــادَتْ بأهْلِيهَا الغـــوَائِرُ والنّـــجـــادُ[4]

ثانيا: الحيوانات غير الأليفة:

1- الأفاعي :

الأفعى حيوان سامّ قاتل، عرفها العرب، ومن قصائد المعريّ الغراء التي يمدح فيها بعض الأمراء وقد تشكى من علة، فيصفهم بالشجعان الذين يرتدون الدروع وقت المعركة واشتداد الموت، حيث النقع فوق الرؤوس، وعلو الأسنة، وصهل الخيول، وبريق السيوف البيض، وماجت الأرض تحت سنابك الخيل، فيستخدم المعريّ ثوب الحيات(الأراقم) التي تخلع كل عام ثوبها بخفة كما يخلع ذلك الممدوح درعه؛ لتمزقها، فيعيد خياطتها بالمسامير، يقول[5] :

---

(1) المعريّ.سقط الزند، مصدر سابق،ص127

(2) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص127

(3) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص65

(4) والمطايا: جمع مطية، وهي النياق، أو كل ما يركب من الخيل، وتجف: وهي سرعة السير، ومنه قوله تعالى: {فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ} {الآية الحشر :٦}، والغوائر: ما غار من الأرض، والنجاد: كل ما علا منه، وهو من الطباق الجميل، المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص٦٥.

(5) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص66

أغَرُّ نَمَتْهُ من غَسّانَ غُرّ تَدِينُ لـــــــــعِزّهِمْ إرَمٌ وعـــادُ

أقائِدَها تُغِصّ الجوّ نَقْعاً وفوْقَ الأرضِ من عَلَقٍ جِسادُ

عليها اللابِسُونَ لكُلّ هَيْجٍ بُرُوداً غُمْضُ لابسِـهـا سُـــهـــادُ

كأثـــــــــوابِ الأراقِمِ مَزّقَتْها فخَـاطَـتْـــهـــا بأعْيُنِهَا الجَـرَادُ[1]

ومن قصائده الدرعية ووصفها بأنها كأثواب الأفاعي في اللين والاتساع، وأنها مرقطة، فهو يقول[2]: جَرورٌ كما انسابت من الحَزْنِ حيَّةٌ إلى السهلِ فرّتْ غِبّ دَجْنٌ وتهطال

فان تَحْكِ ثوبَ الصَلّ من بعد خلعه فقد كان من فرسانها صِلٌ أصْلال[3]

فهذه الدرع لينة، سهلة اللباس والخلع كثوب الحية التي هربت من الجبل إلى السهل عقب الليل أو المطر، فهي وإن كانت كثوب الحية إلا أن تحتها فرسان دهاة ماكرون.

وفي إحدى درعيات يشبه سير الأبطال في المعارك بقوة وليونة كسير الأفعى فوق الرمل، يقول[4]:

تَغُرّ في القيْظِ العُيَون خَدْعا كالنَّقْـــــعِ والخْيلُ تُثِيرُ النَّقعا

كادَ الفَـتَى يعبُّ فيها جَرْعا يَحْسبُـهَا تَسْعَى وليستْ تَسْعى

كمَا تَسيْرُ في الكثيبِ الأفْعَى ضِقتِ بِأحـــداثِ الزمانِ ذَرْعَا[5]

يصف المعري سلخ الحيات لجلدها مثل الثوب البالي الخلق الذي يرمي به الإنسان[6]، إذ يقول المعري:

كأنها سِرْبُ حَمامٍ واقِعٌ في شَبَكٍ من الظلامِ تَنتزي

جَرّدَتِ الحَيّاتُ فيها لُبْسَها وطَرّحَتْ للرّيحِ كلَّ مِعْوَزِ[7]

يشبه المعري شجاعة الحية بعصا موسى التي تحولت إلى حية والتهمت كل ما حولها من الأفاعي[8]، إذ يقول:

كأنّ عَصا مُوسى لَياليَ حُوّلَتْ له حَيّةٌ جادَتْ بما الذَمْرُ لابِس[9]

---

(1) والأغر: الأبيض الجميل، من غسان: من الغساسنة ملوك الشام، والغرّ: المشهورون، والأراقم: الحيات عليها شبه الرقم، وأثواب الأراقم: جلودها، فشبهها بالدروع . المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص ٦٦.

(2) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص ٣٤٤.

(3) وجرور: بمعنى تنجرّ من لينها، والحزن : التلة المرتفعة، والدجن: الليل، والتهطال: المطر، وتحكي: تشبه، والصلّ: التي تقتل إذا نهشت من ساعتها، وصلّ أصلال: يقال للرجل الداهية الماكر، المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص 344.

(4) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص ٣٥٦.

(5) أم عثمان: أي الحية. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص 389.

(6) المعريّ، **حاشية سقط الزند**، مصدر سابق، ص88.

(7) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص88.

(8) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص384.

(9) المعريّ، **حاشية سقط الزند**، مصدر سابق، ص384.

ويقول أيضا في وصف الحية[1]:

خَلَعَتْ عليه أمُّ عُثمانٍ[2] ولم تَبْخَـــلْ بحلّتِها ولا بقِنـاعِها

ويقول المعري:

وما لحيِيّاتِ النساءِ ولُبسها مَلابسَ حياتٍ، خُلقْنَ من السُّمِّ[3]

2. الحـــــرباء :

والمعريّ يكاد يوفي بجميع عناصر الطبيعة؛ لما يمتلكه من قاموس لغويّ واسع، وثقافة عالية فقد استعار الحرباء للصلاة، حيث تتوجه الحرباء نحو الشمس كالمجوس، كما شبه صرير الجنادب وقت الضحى بالأذان، وذلك في قوله[4]:

إذا الحِرْباءُ أظْهَرَ دينَ كِسْرَى فصَلّى والنّهارُ أخُو الصّيامِ

وأذّنَتِ الجَنادِبُ في ضُـــحـــاها أذاناً غيرَ مُـــنْـتَـظَـــرِ الإمـــــامِ

3 -الأســـــــــد:

وهو حيوان مفترس، يسمونه ملك الغابة لشدة بطشه، وكعادة المعريّ في استخدام المبالغة والتهويل ليثير في السامع الإعجاب، فقد مدح أبا القاسم علي بن الحسين بن جلبات في قصيدة، فيشبهه بالضرغام في كرمه، وهو يمتلك من الذهب مالا يقدر عليه إلا ذو القرنين الذي بنى سد قوم يأجوج ومأجوج المشار إليهما في سورة الكهف، فلو ملك ذو القرنين هذا المال لبني السد من الذهب، والممدوح مع هذا ينفق بكلتا يديه ليلاً ونهاراً، على عكس النمل الذي يدخر قوته للشتاء، فهو يقول:

أفَدْتَ جَزيلَ الـمـــالِ لمّا اسْتَفَدْتَه وحكّمْتَ فيه الدهرَ قبْل احـــتِكامِهِ

ولو نال ذو القرْنينِ ما نِلْتَ من غِنًى بَنى السّدَّ من ذَوْبِ النَّضَارِ وَسامِهِ

وهلْ يَذْخَرُ الضّرْغامُ قوتاً ليَوْمِهِ إذا ادّخَرَ النّمْلُ الطّعـامَ لـعامِهِ[5]

والمعنى: أن الممدوح يتخلق بأخلاق الأسود لا بأخلاق النمل، فلا يدخر قوت يومه لغده، بل ينفقه على غيره في المكارم.

---

(1) المعريّ، **حاشية سقط الزند**، مصدر سابق، ص389.
(2) المعريّ، **حاشية سقط الزند**، مصدر سابق، ص384.
(3) المعريّ، **حاشية سقط الزند**، مصدر سابق، ص394.
(4) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص٢٧٨.
(5) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص99

وهذا الممدوح سنّ سنة حسنة في البذل والعطاء، فنال بذلك شهرة، كما سن إبراهيم **(عليه السلام)** حج البيت الحرام فمدحه بذلك الشعراء والأسود بزئيرها والظباء ببغامها؛ أي أصواتها، يقول[1] :

سَنَنتُ لأربابِ القَريضِ امتداحَه كما سَنّ إبراهيمُ حَجَّ مَقامه

فيُثني عـــلـيه ضَيغَمُ بزَئِيـرِهِ ويُثني عليه شـــــادن ببُغامه[2]

وفي مدحه لبدو العراق الذين خالطهم وعاش معهم، ورأى مدى بأسهم ومهارتهم القتالية، فهم كرماء ويقتنصون الأعداء كما تقتنص الأسود فرائسها، يقول[3] :

تذكّـرْتُ البَداوَةَ في أنـــاسٍ تَخَـــالُ رَبيعَهُمْ سَنَةً جَمادا

يَصيدونَ الفَوَارِسَ كلَّ يومٍ كما تَتَصَيّدُ الأسْدُ النِّقادا[4]

ويهنىء المعريّ بعض الأمراء بعرس بعد أن لبى حاجته، فيجعله فارس الخيول الأصيلة، وهو في أعين الأعداء أسد في الشدة والبأس، ويشبه زوجه وعروسه بالظبية التي فاز بها، وهي لعزها تشبه اللبوة؛ إذ يقول[5] :

يا فارسَ الخيلِ يدْعوكَ العِدى أسَداً ما اســتُنقِذتْ من يديه عُنْقُ مُفترَسِ

ما رَبّةُ الغَيْلِ أختُ الظّبْي فُزْتَ بها بل ربّةُ الغيلِ أختُ الضَّيغَمِ الشرِسِ[6]

وكعادة المعريّ في المبالغة والتهويل يمدح خاله علي بن محمد بن سبيكة الذي سافر إلى المغرب ليفيد أصدقاء جدداً، لكنه على العكس خسر أصدقاءه القدماء، وفي رحلته الشاقة أخاف السباع والأسود الضارية، ومن شدة بأسه سمعت به الحيتان في بحارها، فخافت، واختفت، يقول المعريّ[7] :

ظَعَنْتَ لِتَسْتَفيـــــدَ أخاً وفِيّاً وضَـــــــــــيّعْتَ القَديمَ المُسْتَفادا

وسِرْتَ لتَذْعَرَ الحِيتانَ لمّا ذَعَرْتَ الوَحْشَ والأسُدَ الوِرادا[8]

وفي معرض رثائه أبا إبراهيم العلويّ يخاطب أولاده السبعة الذي هم بمنزلة الشهب السبعة: القمر، والشمس، وعطارد، والزهرة، والمريخ، والمشتري، وزحل، ويصفهم بأنهم شجعان، تشهد

---

(1) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص105

(2) ويثني: يمدح، والشادن: ولد الغزال، وبغامه: صوته. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص ١٠٥.

(3) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص116

(4) الأسد جمع أسد، والنقاد: جمع نقد، وهو ضرب من الغنم قصير الأرجل. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص ١٦٦.

(5) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص140

(6) مفترس: من الفرس، وهو دق العنق، والغيل: الساعد الممتلىء، والغيل الثانية الأجمة. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص١٤٠-١٤١.

(7) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص159

(8) أذعر: أخاف، الوراد: جمع وِرد وهو الأسد يضرب لونه للحمرة، وقوله:(لتذعر الحيتان) كناية عن ركوب البحر. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص ١٥٩.

لهم السيوف اليمانية، وهم يتقلدون المفاخر التي هي بمنزلة التيجان فوق رؤوسهم، وهم يغيثون كلّ ملهوف مستنجد بهم، ولبّاسون للدروع الحربية، وهم أسود مخفية بهذه الدروع، وعلى أكتافهم لباس الحيات، فهو يقول[1] :

مَنـــــاجيدُ لَبّاسُونَ كُلَّ مُفاضَةٍ كأنّ غَديراً فاضَ منها عَلى الجِسْمِ

كأنـــــــــّهُمُ فيها أَسُودُ خَفِيّةٍ ولكن على أكتادِها حُلَلُ الرُّقْمِ[2]

وفي مرثية المعريّ لوالدته، وكانت قد توفيت قبل قدومه بمدة يسيرة، فهو يصف حاله البائسة لفراقها، وأن لسانه عجز عن رثائها، وأن عيونه أصبحت حمراء كنجم سهيل من شدة البكاء، وأصبح وحيداً تطوف به الأسود لتقتله، كما يطوف الجيش بالملك المعظم الشجاع، وأنه أصبح فريداً متوحشاً كمن لا عرس له، يقول [3] :

سَمِـــــعْتُ نَعِيّها صَمّي صَمَامِ وإنْ قالَ الـــعَوَاذِلُ لا هَمَامِ

وأمّـــــتْني إلى الأجْداثِ أمٌّ يَعِزّ عَلَيّ أنْ ســـــارَتْ أمامي

وأكْبِرُ أنْ يُرَثّيها لِـســـــــاني بلَفْظٍ سالِكٍ طُـرُقَ الـــطّـــعـــامِ

كأنّ نَواجِذي رُدِيَتْ بصـــــَخْرٍ ولـــــم يَمْرُرْ بهِـــــنَّ سِوَى كلامِ

ومَنْ ليَ أن أصُوغَ الشَّهْبَ شِعْراً فأَلْبـــسُ قَبْرَهَا سِمْطَيْ نِظـامِ

ســألتُ مَتَى اللّـــقـاء فقيل حتى يَقُـــومَ الـهامِدُونَ مِنَ الرِّجامِ

كأنّ اللّحْظَ يَصْدُرُ عن سُهَيْلٍ وآخـــــــرَ مِثْلِهِ ذاكي الضّرَامِ

تَطُوفُ بأرضِهِ الأُسْدُ العَوادي طَـــــــوَافَ الجَيْشَ بالملكِ الهُمامِ

وقـالَ لِـعِـــرْسِهِ بِيني ثَـــلاثاً فما لَكِ في العَرِينَةِ مِنْ مُـقـــــامِ[4]

4- الذئـــــــب:

وهو حيوان مفترس، والمعريّ يهتم بهذا الحيوان، ويضمنه شعره، ففي قصيدة له بعنوان (**هذي العواصم فاسألينا ما بها**) يصف الشاعر مشاعره في تلك الليلة التي بات فيها مع قومه في ظلال السيوف، والأسنة المشرعة لشدة الهول، وهو يلثم قراب سيفه ظاناً أنه وجنة حبيبته(على

---

(1) المعريّ. **سقط الزند**، مصدر سابق،ص192

(2) المناجيد: صيغة مبالغة، مفردها منجاد، والخفية: وهي الشجر الملتف يتخذه الأسد عرينه. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص١٩٢.

(3) المعريّ.**سقط الزند**، مصدر سابق،ص273-276

(4) والنعي: الإبلاغ عن الموت، والصمام: الداهية أو المصيبة، ولا همام: لا أقارب، وأمّتني: سبقتني، الأجداث: القبور، والسمط: سلك يصفّ فيه الخرز واللؤلؤ، والهامدون: الموتى، الرجام: القبور جمع رجم، وسهيل: كوكب أحمر، شبّه به عيونه من شدة البكاء، والعوادي: المتوحشة، بيني: من البينونة، وهي الطلاق. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص٢٧٣-٢٧٦.

طريقة عنترة الذي لثم سيفه؛ لأنه لمع كبارق ثغر عبلة المتبسم)، وقد شاركهم الذئب الجائع الأشعث بعض الطعام، فهو يقول[1]:

بِتْنا، فَريقٌ في سُرُوجِ ضَـــوامِرٍ مِنّا، وآخَرُ في رِحالِ عَرامِسِ

سَلَبَ الكَرَى أَلْبابَ مَن ذاقَ الكَرَى مِنّا وطارَ بِبَعْضِ لُبّ الناعِس

لا تَحْسَبي إبِلي سُهَيْلاً طـــالِعاً بالشـــــــأمِ فالمَرْئِيُّ شُعْلَةُ قابِس

هـــذِي العواصِمُ فاسألينا ما بها وذَرِي مَآرِبَ مِن زَرُودَ وراكِس

والـذّئبُ يَسْـأَلُنَا الـشِّرَاكَ ودُونَهُ طَـــيّانُ أشْعَثُ كالفَقيرِ البائس[2]

ويخاطب المعريّ أبا أحمد بن عبد السلام بن الحسين البصريّ، وكان يكثر الجلوس عنده ببغداد، ويمدح قبيلته التي ينتمي إليها، ويكثر من ذكر الأماكن التي زارها المعريّ، ومناظر الطبيعة التي رآها وعاينها، ومن ضمنها الصحراء التي يخيم عليها الليل الداجي، وأصوات الذئاب المتوحشة التي تجول فيها؛ إذ يقول[3]:

وليْلٍ كذنْبِ القَفْرِ مَكْراً وحيلـةً أطَلَّ علـى سَفْرٍ بحُلّةِ أدْرَع[4]

5. الظبـــــــاء:

الغزال من الحيوانات البرية الوحشية الظريفة التي يضرب بها المثل في الرشاقة والجمال، والمعريّ كغيره من الشعراء يضمنها قصائده، ففي إحدى قصائده الغزلية يروي قصة زيارة محبوته ليلاً وقد أسدل عليها ستاره الأسود، وطوّقتها النجوم في جيدها من اللآلىء والجواهر، فكأنها حمامة مطوّقة أو غزال من غزلان وجرة التي بين مكة والبصرة، ويعجب الشاعر أن هذه الحليّ والجواهر تثقل كاهل المحبوبة الجميلة، فهي ظبية فكيف تلبس الظبية الحرير وتثقله بالحليّ؟ بينما غزلان الفلاة ثيابها أوبارها وحليها قرونها، يقول[5]:

زارَتْ عليها للظّلامِ رِواق ومِـــنَ النّجومِ قَلائِدٌ ونِطاقُ

---

(1) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص86-87

(2) والضوامر : مفردها ضامر، وهي الخيول التي أضعفها السفر والركوب، والعرامس: جمع عرمس، وهي الناقة الشديدة الصلبة، والكرى: النوم، والألباب: مفردها لبّ، وهو العقل، والأغيد: الفتاة الناعمة، وسهيل: نجم يمانيّ لا يطلع بالشام، ويزعمون أنه إذا طلع ورآه البعير مات، والعواصم: الحصون، وزرود وراكس : قال البطليوس: هما موضعان بالعراق. والشراك: المشاركة، الطيّان: الجائع على وزن فَعلان من الطوى، والأشعث: المغبر، المتغير من الهزال. التبريزي، **شروح سقط الزند**، مصدر سابق، (١/ ٤٠٦)

(3) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص284-287

(4) والأدرع: من قولهم: ليلة درعاء، وهي الليالي السادسة عشرة والسابعة عشرة، والثامنة عشرة اسودت أوائلها وابيض آخرها، وقيل: هي الليالي التي يطلع القمر فيها عند وجه الصبح وسائرها أسود مظلم. ابن منظور، **لسان العرب**، مصدر سابق، مادة: درع.

(5) المعريّ.**سقط الزند**، مصدر سابق،ص154

والطوْقُ من لُبْسِ الحَمامِ عهِدتُه وظــِباءُ وَجْرَةَ ما لها أطْـواقُ[1]

ومن العجائِبِ أنّ حَلْيَكِ مُثْقِلٌ وعليكِ من سَرَقِ الــحَريرِ لِفــاق

وصُوَيْحِباتُكِ بـــالفَلاةِ ثِيابُها أوْبــارُها وحُلِيّها الأرْواق[2]

وفي قصيدة أخرى ينظمها على لسان رجل نزل بامرأة فساومته درعه، فرفض الرجل بيع الدرع بأيّ ثمن، فأغرته بالخمر لتخدعه، فأخبرها أنه لا يعاقر الخمر، وأخبرها أنه رجل يشبه نبات التمام المرّ يصعب أكله، و كأنه غزالة سهل ترعى في أكرم موضع صباحاً وتأوي ليلاً إلى شجر مرّ لا تأكله الإبل، وقد يكون قصد بالظبية الناقة، يقول[3]:

ولو أبصرَتْ شخصي غُدُوّاً لشَبّهَتْ بمــا أبْصَرَتْهُ نابِتَ الشَّبُــهانَه

كظَبيةِ سَهــلٍ في السَّرارَةِ مُرْضِعٍ تَرُودُ ومــأواها إلى عَلَجــانَه[4]

ويذكر المعري في وصف الريم الأبيض الخالص البياض، إذ يقول[5]:

كم باتَ حوْلَكِ من ريمٍ وجازِيَةٍ يَستَجدِيانِكِ حُسْنَ الدّلّ والحَوَرِ

فما وَهبْتِ الذي يَعرِفنَ مِن خِلَقٍ لكن سمَحتِ بما يُنْكِرْنَ من دُرَرِ

وما تَركْتِ بذاتِ الضّالِ عاطِلَةً من الظّباء ولا عَارٍ من البَقَــــرِ

قَلّدْتِ كلّ مَهاةٍ عِقْدَ غانيَــــــةٍ وفُزْتِ بالشّكْرِ في الآرامِ والعُفُرِ[6]

---

(1) وجرة: موضع بين مكة والبصرة، ليس فيها منزل، فهي مرتع للوحوش. ابن منظور، **لسان العرب**، مصدر سابق، مادة: وجر.

(2) الرواق: الستر، دون السقف يمدّ، والنطاق: ما يشد به الخصر، فهو يقول: إن حبيبته زارته مستترة بسواد الليل، مشبها قلائدها ونطاقها بالنجوم، وشبه حبيبته بالظبي، والقلادة التي في جيبها بالطوق، فهو يقول: لم أعهد الظباء تلبس الأطواق بل هي للحمام، والسرق: شقق الحرير، جمع سرقة، واللفاق: ثوب يلفق بآخر، صويحباتك بالفلاة: أي الظباء، والأرواق: جمع روق، وهي القرون. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، 154.

(3) المعريّ.**سقط الزند**، مصدر سابق،ص358-359

(4) الشعريان: كوكبان هما العبور في الجوزاء، والغميصاء في الذراع، والعنان: تعارضهما والعنانة: السحابة، والجونة: الدرع البيضاء، والكميّ: الشجاع، البنانة: واحدة البنان، وهي الأصابع، والحب: القرط، والنضر: الذهب، والنضر بن كنانة من قريش، وأبوها: صاحبها، يقول: ما سامحت بها نفسي رجلاً، فكيف أسامح امرأة؟، والسلاف: أول ما يعصر من الخمر، وتريغني: تطلبني ، وخلابا: أي خداعاً، بابل وعانة: موضعان ينسب إليهما الخمر، والشبهانة: واحدة الشبهان، وهو نبت يشبه التمام مرّ الطعم، وسرارة الوادي: أكرم موضع فيه، وتروده: ترعى فيه، والعلجان: نبات، وقيل: شجر أخضر مظلم الخضرة، وليس فيه ورقة، وإنما هو قضبان كالإنسان القاعد، ولا تأكله الإبل إلا مضطرة. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص 358-159.

(5) المعريّ.**سقط الزند**، مصدر سابق،ص37.

(6) الريم: الغزلان، والجازية: البقرة الوحشية التي استغنت عن الماء بالرطب، الدلّ: الدلال، والحور: نقاء بياض العين، والبقر: يقصد البقر الوحشية، والغانية: الفتاة الجميلة التي استغنت بجمالها عن الحليّ. المعريّ، **حاشية سقط الزند**، مصدر سابق، ص 37.

6- البقر الوحشية (المها):

ومن أجمل قصائده لاميته التي مرَّ ذكرها في وصف الإبل، وفيها يصف الليل المدلهم وسط الصحراء الموحشة، وكان يريد أن يصيد فيها مهاة أو بقرة وحشية، وربما يقصد بها محبوبته، لكنها قطعت الحبال والمصايد، ونجت بنفسها، فهو يتحسر عليها؛ إذ يقول:

وجُنْحٍ يَمْلأ الفَوْدَينِ شَيْباً ولكنْ يَجْعَلُ الصّحْرَاءَ خَالا

أرَدنا أن نَصِيدَ به مَهاةً فقَطّعَتِ الحبَائِلَ والحِبالا[1]

فهو يريد: أن الليل لشدة سواده فعل فعلين متضادين: فهو من جهة يسوّد الصحراء حتى يصبح لونها أسود بلون الخال، ومن جهة أخرى يشبه الرأس ويجعله أبيض لشدة رهبته، والمهاة: البقرة الوحشية، وأراد بها حبيبته، والحبائل: المصائد مفردها حبالة، وهو من التورية الجميلة من الحبال الحقيقية، أو حبال المودّة[2].

وفي قصيدة الرائية الجميلة في مدح بني مطر، إذ يقول[3]:

يا ساهِرَ البَرْقِ أيقِظْ راقِدَ السَّمُرِ لعَلّ بالجِزْعِ أعواناً على السّهَرِ

وإنْ بخِلْتَ عن الأحياء كلّـهِم فاسْقِ المَواطِرَ حَيّاً من بَني مَطَـرِ

لو اخْتَصَرْتم من الإحسانِ زُرْتُكمُ والعَذْبُ يُهْجَرُ للإفراطِ في الخَصَرِ

كم باتَ حوْلَكِ من ريمٍ وجازِيَةٍ يَستَجــدِيانِكِ حُسْنَ الدّلّ والحَوَرِ

وما تَركْتِ بذاتِ الضّالِ عاطِلَةً مـــــن الظّباء ولا عَـارٍ من البَقَرِ

قَلّدْتِ كلّ مَـــــــهاةٍ عِقْدَ غانيَةٍ وفُزْتِ بالشّكْرِ في الآرامِ والعُفُرِ[4]

وفي معرض حديث المعريّ عن شدة وقوة خيوله التي يركبها لقتال الأعداء ويذيقهم بأسه، ويفتك بهم، إذ لا همّ له إلا إبادتهم وحصادهم، فهو يقول[5]:

يُذِقْنَ بَني العُصَاةِ اليُتْمَ صِرْفاً ويَتْــــــــرُكْنَ الجَآذِرَ والسِّخَالا[6]

وأراد الشاعر: أن الممدوح لا يهتم كما يهتم غيره بصيد البقر الوحشي أو الظباء وإنما همّه أن يقتل الأعداء، ويترك أولادهم أيتاماً.

---

(1) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص27.

(2) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص 27.

(3) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص36-37

(4) الريم: الغزلان، والجازية: البقرة الوحشية التي استغنت عن الماء بالرطب، الدلّ: الدلال، والحور: نقاء بياض العين، والبقر: يقصد البقر الوحشية، والغانية: الفتاة الجميلة التي استغنت بجمالها عن الحليّ. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص 37.

(5) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص24

(6) الأعطاف: جوانب الجسم، والحميم: الماء المغلي، ويقصد به العرق، والنسال: ما يسقط من ريش النسور، فقد شبه هذه الخيول في سرعتها وما يتساقط من عرقها بما يتساقط من ريش البزاة والنسور، والشكائم: جمع شكيمة، وهي اللجام، فقد ذابت هذه الشكائم ومازجت الروالا؛ أي اللعاب، وصرفاً: خالصاً، والجآذر: جمع جؤذر، وهو ولد البقر الوحشية، المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص24.

ثالثا: الطيور :

1- الحمـــــــــامة:

الحمام طائر أليف، يعيش مع الإنسان، وقد اهتم به العرب، والحمامة من الطيور التي يكثر المعريّ من ذكرها، ويعيرها اهتمامه، ويضمنها شعره -على عادة كثير من الشعراء العربية، فالحمام له علاقة بالإنسان، من حيث: نواحه صباحاً ومساءً، وهذا يثير شجى المحبين والعاشقين، كما يثير كوامن الحزن لدى البعيدين عن أوطانهم، والذين يتلهفون للعودة إلى أوطانهم، أو النساء اللواتي فارقن أزواجهن أو أولادهنّ في المعارك، أو غيرها من حوادث الدهر، ففي قصيدة للمعريّ يجيب فيها الشريف أبا إبراهيم موسى بن إسحق عن قصيدة مطلعها :

بعادك أسهر الجفن القريحا ودارك لا تني إلا نزوحا[1]

فردّ عليه المعريّ قائلاً: إنني أظهرت الجزع والشوق لما رأيت برقاً من جهة المعرة وقد سريت ليلاً، وإن هذا البرق تتابع لمعانه كرجل أراد أن ينام فوجد جفنه قريحاً، فلم يقدر على إطباق جفنه؛ لشدة الشوق، فبقي ساهراً طوال الليل، ولما رأى صاحبه هائما بحب البرق البعيد عنه والريح الجنوبية التي أتت من قبل أحبابه البعيدين عنه قال: إذا كنت نجدياً وتنسمت الرياح من جبال الشام، ورأيت البرق اللامع منه فمن السفه لوعتك لأجلها، فإذا أصبحنا بأرض يسودها السلام، وتغنى بها الحمام رمز السلام والوئام إذ ينوح لشدة الحزين كالحمامة، إذ يقول[2]:

أقُولُ لصاحـــبِي إذْ هامَ وَجْـــداً بِبَرْقٍ لـــــيسَ يُثْبِتُه نُـــزُوحـــا

وهاجَتْهُ الـــجَنُوبُ لوَصْلِ حَيّ أقامَ ويَـــــمّموا داراً طَرُوحا

متى نُصْـــبحْ وقد فُتْنا الأعَـــادي نُقِمْ حتـــــى تقُولَ الشّمسُ رُوحا

بأرْضٍ للحَمامَـــةِ أنْ تُـــغَـــنّي بها ولِمَنْ تأسَفَ أن يَنُوحا[3]

ويخاطب المعريّ أحد حكام العلويين متمنياً أن يرحل إليه من حلب، فهو من نسل النبي وآله الذين نطقت بفضلهم الكتب السماوية: كالتوراة، والإنجيل، ولم أقدر على السفر إليك فأهديك تحية تحملها الرياح والنسائم، ومع البرق، ولقد أعاقني عن السفر إليك صعاب ومعيقات منعت نياقي

---

(1) المعريّ. **سقط الزند**، مصدر سابق، ص 57.

(2) ألاح الرجل: بمعنى أظهر الإشفاق، وألاح البرق: إذا لمع، والحمى: ما يحميه الرجل من المواضع، والنضو: ما أضعفه السفر، والطليح: المعيي، والوجد: العشق أو الحزن، وهاجته: أثارت فيه الشوق، يثبته: يتحققه، والنزوح: البعد، والوصل: الحب والمودة، والطروح: البعيدة، وحتى تقول الشمس روحا: كناية عن ذهاب شدتها وحدّتها، كأنها تأمرنا بالمسير وبأرض يسودها الأمن والسلام بحيث يمكن لمن يريد الغناء أن يغني، ولمن يشاء أن ينوح. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص57-58

(3) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص 57-58.

التي لها صوت كصوت هديل الحمام من الشوق إليك، فكأنهن حمام، ولكن مشيهن مختلف على الحمام فهو سريع، يقول المعريّ[1]:

مِنّي إليكَ معَ الـرّياح تحيّةٌ مَشْفُوعَةٌ ومعَ الوَميضِ رَســولُ

إنّ العَوائقَ عُقْنَ عنكَ ركائبي فلَهُـــنّ من طَرَبٍ إليكَ هَديـلُ

أشبَهْنَ في الشّوْقِ الحَمامَ وإنما طَـــيَرانُهنّ تَوَقّصٌ وذَميـــلُ[2]

وفي قصيدة أخرى يمدحه فيها بأنه خير من قاد الخيول السريعة، وأنه كريم يبذل ماله سخياً على من يطلبه، وعلى المهالك، فهو يحب النفقة، ويجود بأعلى ما يملك، حتى أنه ظن أن نواح الحمام أو هبوب العواصف أصوات السائلين لشغفه بالإنفاق مهما يمكن السائل، يقول المعريّ[3]:

أليس الذّي قــادَ الجيادَ مُغذةً رَوَافِلَ في ثَوبٍ من النَّقعِ ذائلِ

يَكادُ يُذيبُ اللّجمَ تأثيرُ حِـقــدها فيمنُعها من ذاكَ بَردُ المَــناهل

ومَهما يكُن يحسَبْهُ حثاً على النّدى فَـــيغدوُ على أمـوالِهِ بالغَوائل

فما ناحَ قُمريٌ ولا هَبّ عاصفٌ من الرّيحِ إلاّ خالَه صَوتَ سائِل[4]

وفي إحدى قصائد المعريّ يخاطب أبا أحمد بن عبدالسلام البصريّ عند إقامته في بغداد، فيصف الليل الداجي وهو مسافر إليه من المعرة قاصداً بغداد، فهو ليل طويل يأمل السريع من الإبل أنه يسمع صوت الديك يبشر بالصباح، وأن تشرق النجوم في الصباح كأنها ثلاث حمامات لزقن بموقع، إذ يشبه الأشراط وهي نجوم الصباح بثلاث حمامات التصقن بموقع، يقول[5]:

يُلامُ سُهَيْلٌ تحْتَه مِن سآمةٍ ويُنْـــعَتُ فيه الزِّبْرِقانُ بأسْلَع

ويُسْتَبْطَأ المِرّيخُ وهوَ كــأنهُ إلى الغَوْرِ نارُ القابِسِ المُتَسرِّع

فيا مَنْ لِناجٍ أن يُبَشِّـرَ سَمْعَهُ بإسْفارِ داجٍ رَبُّ تاجٍ مُرَصَّع

وتَبْتَسِمُ الأشْراطَ فَجْراً كأنها ثلاثُ حَماماتٍ سَدِكْنَ بمَوْقِع[6]

---

(1) الجياد: الخيل الأصيلة، ومغذة: سريعة، والنقع: الغبار، والذائل: الطويل، فشبه الغبار الكثيف في المعركة بالثوب المسبل الطويل على صاحبه، وبرد المناهل: الماء البارد، والغوائل: المهالك، والقمريّ: من أسماء الحمام، والسائل: الفقير. المعريّ. **سقط الزند**، مصدر سابق،ص173

(2) الذرى: الناحية، والتحمل: الرحيل، والبيت الثاني والثالث في مدح الرسول محمد **(صلى الله عليه وسلم)**، والهديل: صوت الحمام، والتوقص: ضرب من السير فوق المشي، والذميل: سير دون التوقص. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص 173.

(3) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص218-219

(4) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص 219-218.

(5) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص288

(6) الداجي: الليل، والإسفار: الإشراق، وهو الصبح، وربّ التاج المرصع كناية عند الديك، والأشراط: الشرطان نجمان من الحمل، يقال لهما قرنا الحمل، وهما أول نجم من الربيع.. ابن منظور، **لسان العرب**، مصدر سابق: مادة حمل؛

فهذه لوحة فنية مزخرفة بالألوان والعناصر لليلة من ليالي المعريّ التي شغف بوصفها، فنجم سهيل اليمانيّ لا يتحرك من الملل، ويثبت الزبرقان (القمر) مكانه، والإبل من شدة السير ليلاً سئمت وتمنت أن تسمع صوت الديك يبشرها بالصبح لتستريح.

وتعدّ قصيدة أبي العلاء الدالية التي رثى فيها ابن عمه وصديقه القاضي أبي حمزة الحنفيّ من أعذب قصائده، إذ راح يسوّي بين نوح الباكي وترنّم الشادي وبكاء الحمامة بغنائها؛ لينفي الفرح من أصله عن الحياة؛ ولتصبح قصيدته الدالية رثاء للحياة، ففيها الفلسفة، والأساطير، والفقه، والمذاهب، والنجوم، واللغة، والأدب، والفكر، والتأملات، وفيها حرارة العاطفة، وصدقها، وبساطتها؛ لأنها تصور تجربته الذاتية النابعة من أعماق قلبه، وتجربة الحزن الصادق الهادئ على القريب والصديق، دون مبالغة أو تهويل؛ إذ يقول[1]:

غَيْرُ مُجْدٍ في مِلّتي واعْتِقادي ... نَـوْحُ باكٍ ولا تَرَنّمُ شادِ
أبَكَتْ تِلْكُمُ الحَمَامَةُ أمْ غَنْـ ... ـت عَلى فَرْعِ غُصْنِها المَيّادِ
صَاحِ هَذِي قُبُورُنا تَمْلأ الرُّحْـ ... ـبَ فأينَ القُبُورُ مِنْ عَهدِ عادِ[2]

2. النعام :

والنعام من الطيور الأليفة، تعيش في الصحراء، وقد اهتم بها المعريّ في قصائده، حينما يمدح فيها خيله العربية الأصيلة؛ إذ إنها نشأت في الصحراء العربية مع النعام، يقول:

تَكادُ سَوَابِقٌ حَمَلَتْهُ تُغْني ... عنِ الأقْدارِ صَوْناً وابْتِذالا
نَشَأنَ مع النَّعَامِ بكُلّ دَوٍّ ... فقَدْ أَلِفَتْ نتائِجُها الرّئالا[3]

يريد أن أولاد الخيل العربية نشأت في الفلوات الواسعة مع فراخ النعام، فألفتها، وتعلمت سرعتها، وفي أمثلتهم: **"أعدى من ظليم"**؛ لأنه إذا عدا الظليم (ذكر النعام) مدّ جناحيه يجمع بين العدو والطيران[4].

ويصف المعريّ الخيل وهي تسلك فلاة مجدبة مقفرة لا تجد فيها شيئاً ترعاه إلا خوافي النعام، إذ يقول[5]:

ترعى خوافي الربد في حجراتها ... سغباً وتعثر بالغطاط النوم[6]

---

(1) المعريّ.**سقط الزند**، مصدر سابق،ص196
(2) النوح: البكاء على الميت، والترنّم: التطريب والغناء، والنعي: خبر الموت، وقيل: الدعاء بموت الميت، والإشعار به. ابن منظور، **لسان العرب**، مصدر سابق: مادة نعا.
(3) الدوّ: الفلاة الواسعة، والنتائج: أولاد الخيل وهي المهور، والرئال: فراخ النعام. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق،ص24.
(4) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص ٢٤.
(5) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص71
(6) الخوافي : ريشات تحت جناح الطائر، والربد: النعام سميت بذلك؛ لأن في ألوانها غبرة. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص٧١.

كما يصف المعريّ العيس التي كانت تحمله بأنها كانت أسرع من النعام فكل منخفض من الأرض فيباهي ربد نعامه بهذه العيس؛ إذ يقول[1] :

بعِيسٍ تَجُوبُ الدهرَ جوناً كأنها مُفتّشَةٌ أحْشاءه عن كِرامِـــــهِ

خِفافٍ يُباهي كـــــلُّ هَجْلٍ هَبَطْنَه بهِنّ على العِـلاّتِ رُبْدَ نَعامهِ[2]

وفي قصيدة يخاطب المعريّ فيها أحد العلويين وقد عرضت للمعريّ شكاة، فاعتذر أبو العلاء في ترك العيادة، يقول :

عظِـيمٌ لَعَمْري أنْ يُلِمّ عظـيمُ بـــــــــآلِ علِيّ والأنامُ سَليمُ

ولكِنّهُمْ أهلُ الحَفائظِ والعـُلـــى فهُمْ لمُلِمّاتِ الزمانِ خُصومُ

فإنْ باتَ منها فيهمُ وَعْكُ عِلّةٍ فـــــفيها جِراحٌ منهمُ وكـــُلُومُ

وهل ليَ في ظِلّ النّعـــامِ تَـقَـيّلٌ إذا منَعَتْ ظِلَّ الأراكِ سَمومُ[3]

وقال المعريّ يجيب الشريف أبا ابراهيم موسى بن إسحق بقصيدة يقول فيها:

ألاحَ وقد رأى بَرْقاً مُلِيحاً سَرَى فأتَى الحِمى نِضْواً طَليحا[4]

ويقول:

فأُقْسِمُ ما طيور الجوُّ سُحْماً كَهُنَّ ولا نعام الدَّوّ روحاً[5]

وأراد المعري أن إبله كانت أسرع من العقبان في الطيران، والنعام في العدو.

3- القطـــــــا:

القطا طائر صحراويّ، ذكره الشعراء في قصائدهم، وذكر الجاحظ عنه أمثالا، وأوصافا، وأعاجيب؛ إذ يقول:" تقول العرب: «أصدق من قطاة»، و«أهدى من قطاة»، قال ابن أحمر:

بِتَيهاءَ قَفرٍ والمـــطِيّ كَأنَها قَطَا الحَزنِ قَد كَانَت فِرَاخا بُيُوضُهَا[6]

والمعريّ يهتم بهذا الطائر كعنصر من عناصر الطبيعة المتحركة؛ إذ يمدح بعض الأمراء وقد تشكى من علة؛ مستخدماً الأسلوب التقريريّ.

---

(1) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص101

(2) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص١٠١.

(3) العيس : النياق، والجون: الأبيض، والهجل: المنخفض من الارض، والربد: النعام التي في ألوانها ربدة وغبرة، والعلات: صروف الدهر والتعب. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص133

(4) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص57

(5) السحم: الأسود، وأراد بالطيور العقبان، والدوّ: الصحراء، والروح: تباعد مابين الرجلين في الركض، المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص٦١.

(6) الجاحظ، **الحيوان**، مصدر سابق، (303/5).

إذ يمدح المعريّ أميراً بأن عرشه فوق البدر، وأن نجم الجوزاء له وساد، وأنه قنوع، وقد رفعته قناعته إلى أعالي النجوم في السماء، وأنه مجاهد، وأنه حزن لذهاب شبابه، ويتمنى عودة أيام الشباب، وأنه سافر كل ملهوف يطلب حاجته، وأنه تطوف حول بيته طيور القطا تستجدي من بركة يديه الماء، فهو يقول[1] :

إليكَ طَـوَى المَفاوِزَ كلُّ رَكْبٍ سَـــــمَا بِهمِ التّغَـــرّبُ والبعادُ

تَلوذَ بنا القَطا مُسْتَجْدِياتٍ لِما ضَمِنتْ من الماء المَزادُ[2]

وفي قصيدة للمعريّ بعنوان (**كأن المنايا جيشُ ذرّ عرمرم**) يقول فيها: إنه بذل جهده لاختيار معالي الأمور كلما وجد لذلك سبيلا، وأنه اشتكت من كثرة وروده الحروب والمنايا ركائبه من خيل وإبل، وأكثرت العتاب سراً وعلانية، وأنه لا يأبه بالموت من أية جهة جاء، حتى تأتي منيته الحتمية التي لا مفرّ عنها، وأن الإبل التي يركبها من سرعتها تدوس أعشاش القطا الذي يفرّ سريعاً من أول وهلة، فتقطع عليها نومها، فهو يقول[3]:

إلى كم تَشكّاني إليّ رَكائبي وتُكْثِـــرُ عَتْـــبي خُفْيةً وجِهارا

أسِيرُ بها تحتَ المَنايا وفوْقَها فيَسْقُطَ بي شَخْصُ الحِمامِ عِثارا

تَدوسُ أفاحيصَ القطا وَهْوَ هاجِدٌ فتَمْضـــي ولم تَقْطَعْ عليه غِرارا[4]

ويصف المعري هنا أن القطا لشدة عطشها ترد عيون المطايا متوهمة أنها مياه[5]، إذ يقول:

تَلوذَ بنا القَطـــا مُسْتَجْدِياتٍ لِما ضَمِنتْ من الماء المَزادُ

يَكَدْنَ يَرِدْنَ من حدَق المَطايا مَوَارِدَ ماؤها أبَداً ثِمـــــادُ[6]

وفي قصيدة للمعريّ يجيب فيها شاعراً مدحه يكنى بأبي الخطاب، وكان مفرطاً في قصر القامة، وأنه بليغ، وله تأثير عظيم في كتاباته ومؤلفاته، وأنه كشف عن نسبه وأجداده العظام كما يكشف القطا بصوته عن مكانه، فهو يقول :

يا مَنْ له قَلَمٌ حكـــــــى في فِعْلِهِ أيْمَ الغَضَـــــى لولا سَوادُ لُعابِهِ

عُرِفَتْ جُدودُكَ إذ نطَقْتَ وطالما لغَطَ القَطا فأبانَ عن أنْسابِهِ[7]

---

(1) المعريّ. **سقط الزند**، مصدر سابق،ص64

(2) التقنع: تكلف القناعة، والتعود عليها، وكذلك الجهاد، وأطربني: أحزنني، والمفاوز: جمع مفازة، وهي الصحراء، والقطا : طير صغير يكثر في الصحراء كثير النفور. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق ، ص ٦٥-٦٧.

(3) المعريّ.**سقط الزند**، مصدر سابق، ص122-124

(4) الركائب: مفردها ركوبة، وهي الإبل، والأفاحيص: الأعشاش، وهاجد: نائم، والغرار: النوم الخفيف. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص ١٢٢- ١٢٤.

(5) المعري ، **حاشية سقط الزند**، مصدر سابق، ص67.

(6) المعري ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص67.

(7) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق،ص144-145

4. العنقـــــــــــاء:

ومن قصائد المعريّ في الفخر؛ إذ يبدأ قصيدته الدالية بحكمة تنم عن ثقافة عالية، وعن همة عالية، وخلق عربيّ أصيل يأبى الذلّ ويرفض الهوان، فهو يستعير طائر العنقاء الوهميّ الخرافيْ الأسطوريّ الذي لا يموت، ويرمز به إلى الخلود، وأنه سيبقى معانداً لرغباته وشهواته، ولمن يريد إذلالك ، وقد يكون ضرب المثل بالعنقاء للأيام التي تتمرد عليه وتعانده في التمكين؛ إذ يقول[1] :

أرى العَنْقاءَ تَكْبُرُ أن تُصادا ... فعانـــــِدْ مَنْ تُطيقُ لهُ عِنادا

وما نَهْنَهتُ عن طَلَبٍ ولكِنْ ... هـــــــــــيَ الأيّامُ لا تُعْطي قِيادا

فلا تَلُمِ السّــوابِقَ والــمَطايا ... إذا غَرَضٌ من الأغراضِ حادا

لـــــعَلّكَ أنْ تَشُنّ بها مَغاراً ... فتُـــنْجِحَ أو تُجَشّمَها طِرادا[2]

5. النسور، والعقبان:

والنسر والعقاب من الطيور الجارحة التي اهتم بها المعريّ في ديوانه، فضمنها قصائده، ففي قصيدة له بعنوان: **(اجعل مغارك للمكارم تكرم)** يمدح الفروسية، والفرسان، والسيوف، وركوب الخيل حتى بلغ عزّه عنان السماء، إذ يقول[3]:

وبَنَتْ حوافِرُها قَتاماً ســاطــعاً ... لولا انْقِيــادُ عِداكَ لم يَتَهَدّمِ

باضَ النّسورُ به وخيّمَ مُصْعِداً ... حتى تَرَعْـرَعَ فيه فَرْخُ القَشْعَمِ[4]

وقوله: أدمت نواجذها الظبا: يريد أنها تقتحم الصفوف في الحرب غير عابئة بالسيوف التي تدمي أفواهها، وجعلت حوافرها من غبار المعركة المرتفع في الهواء بناء عاليا، وقد بالغ في وصف كثافة الغبار الذي تثيره الخيل بحوافرها حتى ظنته النسور أرضا فباضت فيه وأفرخت، وبقيت الفراخ فيه حتى قويت على الطيران، والقشعم: النسور المسنّة[5].

---

(1) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص112

(2) العنقاء طير اسطوريّ وهميّ لا يموت، ولا يصاد، وفي أمثالهم: "طارت بهم العنقاء"، قال أبو هلال العسكريّ: يقال ذلك للقوم إذا هلكوا ولم يبق منهم أحد، ونهنهت : كففت، والسوابق: الخيول، والمطايا: الإبل، والمغار: الإغارة، والتجشم: التكلف، والطراد : المطاردة. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص١١٢.

(3) أدنى: من الدناءة والخفة، والمغانم: الأموال، والمتاع الدنيويّ، ومغارك: الإغارة بالخيل، والمكارم: عظائم الأخلاق وأعلاها، والغانيات: مفردها غانية، وهي المرأة المبتذلة، والخلان: جمع خليل، وهو الصديق، والعرمرم: الجيش الكبير، والنواجذ: أطراف الأسنان، والظبا: جمع ظُبة، وهو حدّ السيف، والشكائم: مفردها شكيمة، وهي حديدة اللجام، والعندم: شجر أحمر يقال له: دمُ الأخوين، وقيل: هو دمُ الغزال بلحاء الأرض يطبخان جميعا حتى ينعقدا فتخضب به الجواري. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص70-74

(4) ابن منظور، **لسان العرب**، مصدر سابق، مادة عندم.

(5) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص 70-74.

وفي قصيدة للمعريّ يجعل الشاعر النسور والعقبان التي تطير إلى علو شاهق تموت من شدة وكثافة وعلو غبار المعركة الذي يحدثه انحدار الخيول من أعالي الجبال بحوافرها مثل انحدار السيول الجارفة، إذ يقول[1]:

وإن نَهَضَتْ من مطمَئنّ ظنَنْتَه يَجيشُ جِبالاً أو يَمُجّ حِرارا

يَغُولُ سِباعَ الطّيرِ ضَنْكُ غُبارِها فيُسْقِطَ مَوْتَى أعْقُباً ونِسارا[2]

وفي أبيات من الحكمة البالغة التي ضمنها المعري قصائده؛ متشائماً من زمانه كعادته، وأنه جرب الدنيا فلم يجد فيها لذة، إذ يكثر من ذكر لياليها السوداء، وأنه أصبح في هذه الليالي كأنه نسر قصت ريش قوادم جناحه الكبيرة، ما جعله ضعيف الجناح، لا يقوى على الطيران كلما أراد النهوض؛ إذ يقول[3]:

كأنما هيَ إذْ لاحَتْ كواكِبُها خَوْدٌ من الزّنج تُجلى وُشّحَتْ خَضَضَا

كأنما النّسْرُ قد قُصّتْ قوادِمُهُ فالضّعْـفُ يَكْسِرُ مِنه كلّما نهَضا[4]

وفي قصيدة يرثي بها المعريّ أبيه عبدالله بن سليمان التنوخيّ التي تحمل عبارات الحزن والبكاء على والده، فهو يقول: كرهت الرضا على كل ضاحك، حتى ولو كان من السحب الممطرة؛ لعظم رزيتي، وأصبحت لا أرضى إلا بالسحاب العابس الذي لا برق فيه، ويتمنى لو أنه يخلو فمه من الأسنان من شدة الطعنة النجلاء التي أصابت كبده؛ لفقده أباه، وقد شبه المعريّ صيانة نفسه عن التبسم ابتغاء حسن الذكر ولرفع العتاب بصيانة الأوانس أنفسهن من العيون في خدورهن، وقد جعل المنايا رماحاً قتلت أباه، وأنه لم يقارن أباه بأحد في علمه وشجاعته إلا كان أبوه أعلى رتبة، وهكذا الدنيا التي تعوّدنا على أذاها ومصائبها، فوجدناه لذيذاً مثل جني العسل من النحل ولسعه، فكأن الليالي صقور تلقي الشر بمخالبها المعوجة كل يوم وليلة؛ إذ يقول[5]:

أبي حَكَمَتْ فيهِ اللّيالي ولم تَـزَلْ رِماحُ المَنايا قادِراتٍ على الطّعنِ

وما قارَنتْ شخصاً من الخلقِ ساعةً منَ الدّهرِ إلا وَهيَ أفْتَكُ مـن قِرْنِ

وَجَـدْنا أذى الدّنيا لَذيذاً كأنّما جَنى النّحلِ أصنافُ الشّقاء الذي نجني

---

(1) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق،ص126

(2) المطمئن: المنخفض من الأرض، والضنك: الضيق، ويجيش: يفور ويضطرب، والحرار: جمع حرّة، وهي الأرض السوداء، ويغول: يهلك، والأعقب: جمع عقاب، والنسار: جمع نسر. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص126.

(3) المعريّ. **سقط الزند**، مصدر سابق،ص131

(4) الصدود: الهجران، والصدود والرضا طباق، والهوى: الحب، والكابة: الحزن، وأيام الصبا: أيام الشباب، وغرضت من الدنيا: ضجرت، وابن المزنة: الهلال، والخود: الفتاة الشابة، والتوشح: التجميل، والخضض: الخرز الأبيض تلبسه الإماء، وقوادم النسر: مقدمة جناحه، وهي ريش كبير، وإنما يصف بذلك طول الليل. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص131.

(5) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق،ص181-184

يُصادِفنَ صَـــــقراً كلَّ يوْم وَلَيْلَةٍ وَيَلْقَيْن شَرّاً مِن مَخالبِهِ الحُجنِ[1]

وفي قصيدة أخرى يبالغ فيها كعادته في رثاء الشريف أبي أحمد الملقب بالطاهر، ويعزي ولديه الرضي والمرتضى، والتي جعل جميع طيور الجو تحزن لفقده، وتحسد الغراب على لونه الأسود، وتتمنى أن تكون سوداء مثله؛ لتظهر حزنها على المرثيّ؛ إذ يقول[2]:

حسَدَتْهُ مَلْبَسَهُ البُزاةُ ومَن لها لمّـــــــــــا نَعاهُ لها بلُبْسِ غُدافِ

والطّيْرُ أغْرِبَةٌ علَيهِ بأسْرِها فُتْخُ السَّراةِ وساكناتُ لَصَافِ[3]

6. الغـــــــــراب :

وهو رمز الشؤم والتشاؤم، والغراب من الطيور الوحشية التي يضرب بها المثل في الشؤم، وجلب الهمّ والحزن؛ لسواد لونه، وقد أورد الجاحظ له أوصافا وأخبارا؛ إذ يقول:" الغراب من لئام الطير وليس من كرامها، ومن بغاثها وليس من أحرارها، وهو مع ذلك يكون حالك السّواد شديد الاحتراق، ويكون مثله من الناس الزّنج فإنّهم شرار الناس[4].

والمعريّ يضمن الغراب شعره للدلالة على معانٍ جديدة، ففي قصيدة له يخاطب خاله علي بن علي بن محمد بن سبيكه الذي سافر إلى المغرب وطالت غيبته، فهو يطلب عودة خاله من الغربة، وأنه مشتاق إليه، وأن الليالي ازدادت سواداً، وأصبح يحبّ السواد لحزنه على خاله، حتى أن الغراب الأسود إذا صاح بالتداني وقرب وصولك خضبنا سواده بالزعفران، وأزلنا سواده مكافأة له، يقول :

إذا صاحَ ابنُ دأيَةَ بالتّداني جَـــــــــعَلْنا خِطّرَ لِمَّتِهِ جِسادا

نُضَمِّخُ بالعَبيرِ له جَناحــاً أحَمَّ كأنّهُ طَلـــــيَ المِدادا[5]

ثم يقول: فالنفوس تفديك، وأنت أجلّ من أن تساوينا، فالفداء من قبلنا فقط، ونحن فداء لك سواء قربت أم بعدت، وسارتك: بارتك في السرى، وهو سير الليل، واذا تكلفت شهب الليل مباراتك في السرى رأت أنك أبعد منها مراداً فدعت الله عز وجل أن يبلغك مرادك، والليالي لبست السواد حداداً على فراقك، وأنك إذا تخيرت بين السرى في الليالي المظلمة والسرى في الليل

---

(1) نقمت: بمعنى كرهت، والمزن: السحاب عامة فيه ماء، واحدته مزنة، والضاحك من السحاب : مثل العارض إلا أنه إذا برق قيل: ضحك، والعرب تشبه البرق بالضحك، والمطر بالبكاء، والدجن: ظل الغيم في اليوم الماطر، والقرن: الذي يقارن مع غيره في علمه وشجاعته وقوته، جنى النحل: العسل، والمخالب الحجن: المعوجة، واحدها أحجن. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص184.

(2) المعريّ.**سقط الزند**، مصدر سابق،ص250-252

(3) البزاة: جمع بازيّ، وهو صقر أبيض، والغداف: الغراب الأسود، وفتخ السراة: العقبان اللينة الأجنحة، والسراة: الجبال المتلاصقة، ولصاف: ماء بالقرب من ديار بني تميم. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص 252.

(4) الجاحظ، **الحيوان**، مصدر سابق، (414/2).

(5) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص156-157

المقمرة أخترت الليالي المظلمة، وأصبحت عيون الناس من أجملها في نظرك، وإذا صاح الغراب بقرب رجوعك خضبنا ريشه بالزعفران[1].

وفي قصيدة للمعريّ يتذكر محبوبته أمامة فيها، ويجعل الغراب رمزاً للتفاؤل إذا مرّ عن يمينه، وأن الطيور زعمت أن لقاء المحبوبة حرام، وأصبح معروفه منكراً، يقول[2] :

سَنَحَ الغُرابُ لنا فبِتُّ أعيفُهُ خَبَراً أمَضُّ من الحِمامِ لَطِيفُهُ[3]

زَعَمَتْ غَوادي الطّيرِ أنّ لِقاءَها بَسْلٌ تَنَكّرَ عندَنا مَعْروفُهُ[4]

وفي قصيدة أخرى للمعريّ من أجمل قصائده يودّع فيها بغداد، إذ يجعل الغربان السود تخبره بنبأ يقين أن الشعوب ستتفرق رغم أنه ليس نبياً حقاً، وجعل الشاعر نفسه في شك من هذا الخبر، كما تشكك أصحاب موسى بعد أن أتى لهم بآياته التسع (إشارة إلى سورة الإسراء) في قوله تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ} [الإسراء: 101]، وكأن هذه الغربان كهنة، أو منجمون يخبروننا عما سيصيبنا من الفواجع والمصائب، يقول[5] :

نَبِيٌّ مِن الغِرْبانِ ليس على شَرْعِ يُخَبّرُنا أنّ الشّعوبَ إلى الصَّدْعِ

أصَـدّقُهُ في مِرْيَةٍ وقد امْتَرَتْ صَحابةُ موسى بعْدَ آياتِه التّسْعِ

كأنّ بفِيهِ كاهِـناً أو مُنجِّماً يُـحَدّثنا عمّا لَقِينا مِن الفَجْع

وما كان أفْعَى أهْلِ نَجْرَان مثْلَه ولكنّ للإنْسِ الفضِيلةَ في السمْع[6]

وما قـامَ في عُلْيا زُغاوَة مُنْذِرٌ فما بالُ سُحْمٍ يَنْتَجينَ إلى بُقْع[7]

يقول : لم يكن أفعى نجران صادقاً في كهانته كهذا الغراب، ولكن الشهرة والصيت يكونان دائماً للإنس دون غيره ، ثم يقول : لم تجر العادة أن ينبأ أسود، فما بال الغربان السود السحم تناجي الغربان البقع.

وفي قصيدة للمعريّ يخبر فيها محمد بن حمد بن فورجة البروجرديّ تصميمه وعزمه على السفر، ومغادرة هذا الرجل، وقد جعل النياق والغربان تشاركه هذا الرحيل وعدم البقاء قرب هذا الرجل، إذ يقول

---

(1) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص ١٥٧.
(2) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص226
(3) ابن منظور، **لسان العرب**، مصدر سابق، مادة سنح. والسانح : الطير الذي يزجر فيأتي عن اليمين فيتفاءل به العرب، وعكسه البارح.
(4) أعيفه: أزجره، وأمضّ: أوجع، والبسل: الحرام. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص 226.
(5) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص260
(6) أفعى نجران : هو ابن الحصين الجرهميّ، وكان كاهنا، التبريزي، **شروح سقط الزند**، مصدر سابق، (٣ / ٣٣٤).
(7) زغاوة: قبيلة سودانية، والسحم: السوداء، وينتجين: يتناجون، والبقع: المختلط الأسود بالأبيض، المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص٢٦٠.

كفى بشحوب اوجهنا دليلا على إزماعنا عنك الرحيلا

أبت صنفا النواعب من نياقٍ وطيرٍ أن نقيم وأن نقيلا[1]

فالغراب يزيده فجيعة بهذا الإنسيّ الذي يفارقه ويدعو عليه أن لا يتبعه؛ إذ يقول :

يفجّعنا ابن دأية بابن انسٍ نفارقه فلا تبعَ الحمولا[2]

لأنه من عادة الغربان أن تتبع الإبل المحملة بالتمر لتأكل منه.

رابعا:الحيوانات البحرية، الحوت:

وفي قصيدته الدالية التي يخاطب المعريّ فيها خاله علي بن بن محمد بن سبيكة الذي هاجر إلى المغرب، وأطال الغيبة، فحزن عليه المعري، وناشده العودة، وأنه فارس مغوار، ومن شيمته الوفاء لبلده الشام، وأنه سافر ليزداد أصدقاؤه، لكنه على العكس فقد أحبابه القدماء، وأنه ما سافر إلا ليركب البحر، ويخيف حيتان البحر كما أخاف الأسود الضارية في الغابة، إذ يقول[3] :

فللشّـــــــامِ الوَفاءُ وإنْ سِواهُ تَوافَى مَنْطِقاً غَدَرَ اعتِقادا

ظَعَنْـــــــتَ لِتَسْتَفيدَ أخاً وفِيّاً وضَيّعْتَ القَديمَ المُسْتَفادا

وسِرْتَ لتَذْعَـــرَ الحِيتانَ لمّا ذَعَرْتَ الوَحْشَ والأسُدَ الوِرادا[4]

يقول المعريّ :الوفاء شيمة للشاميين، والغدر لغيرهم.

وفي قصيدة للمعريّ يخاطب فيها أبا القاسم علي بن المحسن القاضي التنوخيّ الذي أعطاه جزءا من أشعاره في بغداد، وخشي أن يكون صديقه عبد السلام البصريّ قد نسيها، فكتب إلى أبي القاسم القاضي يستعطفه أن يزوّده بالأشعار، فهو يصف منطقة في تكريت بأنها موحشة فانية من كل ما يسعى أو يدبّ على الارض، إذ يقول[5] :

تَرى وُجوهَ المَـنايا في جَوانبِها هاتِ الحَديثَ عن الزّوْراءِ أوْ هِيتا

ومَوْقِدِ النارِ لا تَكْرَى بتَكْريتا يُخَلْنَ أوْجُهَ جِنّـــــانٍ عَفاريتَا

بَرٌّ وبَحرٌ مُبِيدٌ لا تُـحِسّ به ضَبَّ العَرَارِ ولا ظَبْياً ولا حوتا[6]

---

(1) الشحوب: الهزال والضعف، والإزماع: الإصرار، والنواعب من الطير: الغربان، ومن النياق التي تحرك رأسها في السير وتمد اعناقها، المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص ٢٦٨.

(2) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص 268-٢٦٩.

(3) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص158-159

(4) ظعنت: رحلت، وتذعر: تخيف، والوراد: ما يضرب لونه الى الحمرة، وقوله سرت لتذعر الحيتان: كناية عن ركوب البحر. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص159.

(5) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص292

(6) الجنّان: جمع جنة، والعرار: نبات ياكله الضب. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص293.

فهذه المنطقة الموحشة في برها وبحرها، ينتشر الموت في كل ناحية من نواحيها، ولا يسكنها إلا الجنّ والعفاريت، ولا يظهر فيها ضب ياكل العرار، ولا ظبي حيّ، ولا حوت في البحر.

وفي قصيدة أخرى يجعل المعريّ الحوت وهو برج في السماء كأنه حوت حقيقيّ عطشان، يبحث عن ماء في ماء قليل لا يصلح له، إذ يقول على لسان رجل سأل أمه عن درع أبيه، وقد مرّ ذكرها عن الحديث عن الحيات والأراقم؛ إذ يقول:

ما فَعَلَتْ دِرْعُ والِدي أجَرَتْ ... في نَـــــــــهَرٍ أمْ مَشَتْ على قَدَمِ

أمِ استُعِيرَتْ من الأراقِمِ فارْ ... تَدّتْ عَـــــــــوَارِيَّها بَنو الرَّقَم

أمْ بِعْتِهَا تَبْتَغِينَ مَصْلَحَةً ... فـــــي سَنَةٍ والسماءُ لم تَغِمِ

فلا الثَّرَيّا بجـــُودِها ثَرِيَتْ ... أرضٌ ولا الفَرْغُ مُخْضِلُ الوَذَم

وحُوتُها جائِلٌ على ظمَأٍ ... في ناضِبِ الماء غيرِ مُلْتَطِم[1]

والحوت: برج في السماء، ولكنه جعله حيوانا بحريا يبحث عن ماء كهذه الدرع التي تبحث عن صاحبها[2].

(1) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص351-352

(2) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص351.

الفصل الثاني

صورة الطبيعة المتحركة في ديوان (سقط الزند)لأبي العلاء المعريّ:

يتضمّن الفصل الثاني تفصيلا لعناصر الطبيعة المتحركة، والتي تتكون مما يأتي:

أ- الطبيعة السماوية

أولا- الليل، والنهار :

والمعريّ رغم إصابته بالعمى في الرابعة من عمره لم يمنعه فقدان بصره من أن يتفاعل مع عناصر الطبيعة كلها؛ ليعبر عن همومه، وطموحاته، وآماله، وعواطفه، ويضمنها في شعره للتشبيه، أو كدليل عقليّ يثبت حجته، أو للمبالغة، أو غير ذلك من الأغراض، فهو يستخدم الليل كثيراً للتعبير عن همومه، وكثرة ترحاله، وبخاصة أنه عاش مع بدو العراق، وشاركهم شظف العيش في الصحراء، حيث قلة الماء والطعام إلا ما يقتنصه من حيوان وحشيّ: كالغزلان، أو المها.

فهو يعبّر عن حاله بأنه كثير الترحال والسرى في الليالي المظلمة، وبهذا يعنف نفسه على كثرة ترحاله الذي لم يصل به إلى مناه، فالمال لا يطلب في الليل حسب اعتقاده؛ إذ إن الليل ليس موضعاً لذلك، ما جعله يتوهم أن نجوم الليل درر، ويعنف نفسه قائلا: فهلا توهمتها شموعاً مشتعلة؟ وقد استخدم الشعراء القدماء - ومنهم جرير- تشبيه النجوم بالذبال والمصابيح[1]، يقول جرير:

سَرى نَحوَكُم لَيلٌ كَأَنَّ نُجومَهُ قَناديلُ فيهِنَّ الذَبالُ المُفَتَّلُ[2]

يقول المعريّ[3] :

أعَن وَخْدِ القِلاصِ كشَفْتِ حالا ومن عِند الظّلام طَلَبتِ مالا

وذُرّاً خِلْتِ أنْجُمَـــــه عليه فهـــــــلاّ خِلْتِهِنّ به ذَبالا

وقُلْتِ الشّمْسُ بالبَيـــــداءِ تِبْرٌ ومِثْلُكِ مَنْ تَخَيّلَ ثَمّ خـــــــالا

وفي ذَوْب اللّجَيْنِ طَمِعْـــتِ لمّا رأيْتِ سَرَابَها يَغْشَى الرّمَـالا

فقد أكْثَرْتِ نُقْلَتنـــــا وكانتْ صِغارُ الشّهب أسْـرَعَهَا انْتِقالا[4]

---

(1) المعريّ، **حاشية سقط الزند**، مصدر سابق ، ص ٢١.
(2) جرير، **ديوان جرير**، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٩٨٦م، ص٣٤٣.
(3) المعريّ، **ديوان سقط الزند**، مصدر سابق ، ص ٢١-٢٢
(4) الوخد: السير السريع، والقلاص: مفردها قلوص، وهي الناقة الصلبة الفتية، والدرّ: الجواهر، وخال: بمعنى حسب، والذُبال: جمع ذُبالة، وهي الفتائل المشتعلة، والبيداء: الصحراء، والتبر: الذهب. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق ، ص ٢١-٢٢.

فقد توهم المعريّ الشمس ذهباً، وصغار الشهب: القمر، وعطارد، فهو يبرر لناقته في إكثاره التنقل أنها فتية كصغار الشهب التي تنتقل كثيراً.

ثم يستطرد المعريّ قائلاً: إن الممدوح يبيت يقظاً في الليالي المظلمة لمعاركه الدائمة، فقد تكاثرت فيه الأهوال حتى هاب الليل منها، فدعا خالقه أن يعيد عليه ضوء الصباح ليمحوَ ما فيه من الأهوال[1]، يقول المعريّ :

يَبِيتُ مُسَهَّداً واللّيْلُ يَدْعو بضوْءِ الصّبْح خالِقَه ابْتِهالا[2]

وقال في قصيدة له يجيب أبا إبراهيم موسى بن اسحق: أنه يركب خيلاً سوداً كأنها الليل من شدة السواد، ويسقيها اللبن الأبيض الذي يشبه الصباح في بياضه، ويستخدم التجنيس في ذلك؛ إذ يقول[3]:

رَكِبْتَ اللّيْلَ في كَيدِ الأعادي وأعْدَدْتَ الصّباحَ له صَبوحا[4]

ومن قصائد أبي العلاء المعريّ قصيدته(النونية) التي يجيب فيها أبا إبراهيم موسى بن إسحق عن قصيدة مطلعها :

غيرُ مستحسن وصال الغواني بعد ستين حجة وثمان[5]

فأجابه المعريّ بقصيدة مطلعها :

علّلاني فإنّ بِيضَ الأماني فَنِيَتْ والظّلامُ ليسَ بِفاني[6]

وعللاني: أمر من التعليل، وهو السقي مرة بعد مرة- كما يقول التبريزيّ- أو أمر من عللت الصبيّ بالفاكهة: إذا ألهيته لا سقيته؛ لأن أبا العلاء لم يكن يشرب الخمر كما يقول الخوارزميّ[7].

إذ يطلب -على طريقه الشعراء القدماء في مخاطبة الاثنين- أن يلهياه عن آلامه لينساها؛ إذ إن أمانيه البيض انتهت، ولم يعد له هدف في الحياة، وظلام الليل الدامس طويل إلى ما لا نهاية، وفي هذه القصيدة الجميلة يرسم المعريّ لوحة فنية رائعة مزركشة بالألوان، والصور الفنية الرائعة، ومرصعة بالألفاظ الجذابة، والموسيقا العذبة في وصف لياليه السوداء؛ إذ إن المعريّ قد لقب نفسه برهين المحبسين: سجن العمى، وسجن داره في المعرة التي لم يخرج منها خمسين عاماً كاملة،

---

(1) المعريّ، **حاشية سقط الزند**، مصدر سابق ، ص ٢٧.
(2) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق ، ص ٢٧.
(3) المعريّ، **سقط الزند**، المصدر نفسه.ص:٥٨
(4) يعني بالليل: فرسه الأسود، وبالصباح: اللبن(من الإيهام)، والصبوح: شراب اللبن صباحاً، وعكسه الغبوق. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص٥٨.
(5) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص90
(6) المعريّ، **ديوان سقط الزند**، مصدر سابق: ص90، لفظة (بفاني: الصواب بفانٍ، لأنها اسم منقوص جاء نكرة مجرورة، تحذف الياء، وتُعوّض بتنوين كسر، ولكن جاءت للضرورة الشعرية، وتعرب الباء زائدة في خبر ليس، وفانٍ: اسم مجرور لفظا منصوب محلا على انه خبر ليس).
(7) التبريزيّ، وآخرون، **شروح سقط الزند**. مصدر سابق، (١ /٤٢٥).

وتكاد تكون مقدمة هذه القصيدة هي الوحيدة في تخصيص جزء كبير لوصف عنصر من عناصر الطبيعة التي تأثر بها الشاعر.

وفي لوحة فنية معبرة مليئة بالإيحاءات، والصور اللونية والبصرية يرسم المعريّ صورة ليلة سوداء حالكة من ليالي أيام صباه ولهوه وما يتخللها من نجوم بيضاء لامعة متلألئة بعروس زنجية مزينة بالجواهر البيضاء اللامعة، ولأن هذا الليل الأسود قد لها فيه المعريّ وحقق أمانيه فقد جعله كالصبح الجميل، كما صور المعريّ انعكاس ذلك الليل الأسود الحالك على حالته الوجدانية من الخوف والقلق وقلة النوم؛ إذ يقول المعريّ:

رُبّ ليلٍ كأنّه الصّبحُ في الحُسْـنِ وإن كانَ أســـــوْدَ الطّيلَسانِ
قد رَكَضْنـــــا فيه إلى اللّهْوِ لمّا وَقَـــفَ النّجْمُ وِقْفَةَ الحَيْـرانِ
كمْ أرَدْنــا ذاكَ الزّمانَ بمَدْحٍ فشـــُغِلْنَا بذَمّ هذا الزّمَـــــانِ
فكأني ما قلْتُ والبدْرُ طِفْلٌ وشَبابُ الـظّلْماءِ في عُنْفُوانِ
ليلتي هذه عُروسٌ من الزّنْــجِ عليها قلائِدٌ مِن جُمانِ
هَرَبَ النّوْمُ عن جُفونيَ فيها هَرَبَ الأمْنِ عن فؤادِ الجَبانِ[1]

والتشبيه تام، ووجه الشبه صورة شيء أسود حالك يتخلله شيء أبيض لامع، والصورة جزئية متعلقة باللون، وحتى يكمل المعريّ صورته الجميلة ولوحته الفنية المعبرة الموحية عن تلك الليلة السوداء التي بدا فيها نجم سهيل الأحمر المهتز كأنه وجه محبّ خجول، أو عين غضبان حمراء كثيرة اللمح والاهتزاز لشدة الغضب، أو قلب محبّ كثير الخفقان ، فهو يقول[2] :

وسُهَيْلٌ كوَجْنَةِ الحِبّ في اللّــوْنِ وقَلْبِ المُحِبّ في الخَفَقَانِ
مُسْتَبِدّاً كأنّه الفارِسُ المُعْـــلَمُ يبْدو مُعارِضَ الفُرسانِ
يُسْرِعُ اللّمْحَ في احْمِرارٍ كما تُسْرِعُ في اللّمْحِ مُقْلَةُ الغَضْبانِ[3]

تطاول الليل فبتّ أخادع نفسي بالأماني المسلية، والأحاديث الملهية حتى فنيت أفانين المنى، وضروب الأحاديث لطول الليل الذي لم يفنَ، فألهياني – ياصديقيّ- بقية الليل بما أتلهّى به، ثمّ يسأل صديقيه أن يجعلاه في جملة من يتذكران[4].

وأراد أن الليل المظلم إذا بلغ الإنسان فيه ما يتمناه فكأنه نهار مضيء للشاعر المعريّ، والنجم: الثريا، والبدر طفل: أي في أول الشهر، وعنفوانه الشباب: أوله، وجعل الليل في هذا الموضع

---

(1) المعريّ. **ديوان سقط الزند**، مصدر سابق، ص90
(2) المعريّ. **ديوان سقط الزند** ، مصدر سابق، ص91.
(3) الطيلسان: نوع من الألبسة السوداء الفضفاضة يلبسها الرهبان، وهي ثياب خلقة، والأطلس: الذئب الأمعط الأغبر المائل إلى السواد. الفيروزآبادي(ت817ه)، **القاموس المحيط**، القاهرة: شركة القدس للنشر والتوزيع، ط 1،2009م، مادة: طلس.
(4) الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، مادة: طلس.

طفلا لاقتباله، ويقول الخوارزميّ: شبه تلك الليلة بعروس من الزنج؛ لأنها شابة سوداء مشتملة على الطرب والسرور، والزنج مشهورون بشدة الطرب وحب الملاهي، قال ابن طباطبا متمثلاً ذلك:

وليله أطربني جنحها فخلتني في عرس الزنج

وقال آخر:

أو نسوة الزنج بأيمانها للرقص قضب ذهبيات[1]

ويصف المعريّ شدة خفقان نجم سهيل واضطرابه باللمح؛ وشبه سرعة لمعان سهيل وحمرته بلمعان عين الغضبان في سرعتها وحمرتها، وهو من التشبيه التمثيليّ، ويوصف سهيل بالاحمرار كأنما ضرجته بالدم سيوف الأعداء، وتقول العرب: إن سهيلاً والشعريين كانت مجتمعة فانحدر سهيل فصار يمانيا، وتبعته العَبور فعبرت المجرة، وأقامت الغُميصاء فبكت لفقد سهيل حتى غمصت عينها، فهي أقل نوراً من العَبور، أو يشير إلى قول العرب: أن سهيلا خطب الجوزاء فركضته برجليها، فضربها بالسيف حتى قطع وسطها[2].

ويختم المعريّ هذه اللوحة الفنية لصورة الليل الدامس مع نجومه وكواكبه المتلألئة بالدعاء لأبي إبراهيم موسى بن إسحق أن يمدّ الله في عمره، ويعيش طويلاً، فيفتديه القمران، وهو لفظ ملحق بالمثنى يطلق على الشمس والقمر في علوهما كعلو ورفعة مكانة الممدوح؛ لأنهما بالنسبة إلى جماله وضياء وجهه مستصغران، وهذه من المبالغة التي اعتادها الشعراء، وبخاصة المعريّ؛ إذ يقول:

عش، فداءً لوجهك القمران فهما في سناه مستصغران[3]

فهو يقول:

كـأن نجوم الليل زرق أسنة بها كلّ من فوق التراب طعينُ[4]

وتارة يشبه النجوم بالدرّ الذي يطفو فوق الماء، إذ يقول:

يا ليل قد نام الشجى ولم ينم جنح الدجنة نجمها المسهارُ

إن كانت الخضراء روضاً نادرا فلعلّ زهرَ نجومها أزهارُ[5]

---

(1) التبريزيّ. **شروح سقط الزند**، مصدر سابق: (١ /٤٣١).
(2) التبريزيّ، **شروح سقط الزند**، المصدر نفسه، (١ /٤٣٦).
(3) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق ، ص 96.
(4) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص.183
(5) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص228.

ويحمّل المعريّ الليل طموحاته وآماله؛ لأن الليل واسع وشامل، ويستطيع أن يتحمل هذه الهموم والطموحات مما لا تطيق حمله الجبال، وبخاصة (جبل رضوى في المدينه المنورة)، وهذا يدلّ على ثقافتة الجغرافية الواسعة، واللغوية، والفنية كذلك، إذ يقول مفتخراً :

ألا في سبيلِ المَجْدِ ما أنا فاعل ... عَفافٌ وإقْدامٌ وحـــزْمٌ ونائِل
تُعَدّ ذُنوبي عندَ قَوْمٍ كثيرَةً ... ولا ذَنْبَ لي إلاّ العُلى والفواضِل
كأنّي إذا طَلْتُ الزمانَ وأهْلَهُ ... رَجَعْتُ وعِنْدي للأنامِ طَوائل[1]
وقد سارَ ذكْري في البلادِ فمَن لهمْ ... بإخفاءِ شمسٍ ضَوْؤها مُتكام
يُهِمّ الليالي بعضُ ما أنا مُضْمِرٌ ... ويُثْقِلُ رَضْوَى دونَ ما أنا حامِل
وإني وإن كـــنتُ الأخيرَ زمانُهُ ... لآتٍ بما لـم تَسْتَطِعْهُ الأوائل
وأغدو ولو أنّ الصّباحَ صوارِمٌ ... وأسْرِي ولو أنّ الظّلامَ جَحافل[2]

ويصف المعريّ إبله الناجيات المسرعة في الليل الداجي وقد قدحت بأخفافها الحجارة كأنها أحرقت ثوب الظلام الذي كساها بسواده، وهذا المعنى موجود عند المتنبي؛ إذ يقول :

إذا اللّيلُ وَارَنَا أرَتنا خِفُافها ... بقَدحِ الحَصَى ما لا تُرينا المَشاعِلَ[3]

ويجعل المعريّ الليل والنهار كأنهما جيشان التقيا، فهزم جيش الليل جيش الصباح وأخذ البدر أسيراً وأوثقه، وغلب الليل على الأفق وتملكه، وصار النهار لا يرجى ظهوره، وهذه مبالغة في وصف الليل بالطول، كما قال امرؤ القيس :

كأنَّ الثَريّا عُلّقَت في مَصامِها ... بِأمراسِ كتانٍ إلى صُمّ جَندَلِ[4]

وقال البطليوسيّ: إن هذا المعنى مليح من المعريّ لم يسبق إليه أحد، وإن كان الشعراء السابقون ، قد ذكروا أمثله ولكنهم لم يوردوه على هذه الصفة[5]؛ إذ يقول المعريّ[6] :

سَرَتْ بيَ فيه ناجِياتٌ مِياهُها ... تَجِمّ إذا ماءُ الرّكائِبِ غارا
فخَرّقْنَ ثوْبَ اللّيْلِ حتى كأنّني ... أطَرْتُ بها في جانبيْه شَرارا
وباتَتْ تُراعي البدرَ وهْوَ كأنّه ... من الخَوْفِ لاقى بالكَمالِ سِرارا

---

(1) المعريّ، **ديوان سقط الزند**، مصدر سابق، ص106-107
(2) النائل: العطاء، ورضوى: جبل في المدينة المنورة، والصوارم: جمع صارم، وهو السيف، والسُّرى: المشي ليلاً، وجحافل: جمع جحفل، وهو الجيش العظيم، فهو يشبه الليل والظلام الكثيف الأسود بالجيش لسواد سلاحه، وكثافة غباره، كما يشبه النهار في بياضه بالسيوف اللامعة. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص ١٠٦-١٠٧.
(3) المتنبي، **ديوان المتنبي**، مصدر سابق، ص28.
(4) التبريزي، أبو زكريا يحيى بن علي(ت 502ه)، **شرح المعلقات العشر**، علق عليه محمد الخضر، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ب، ت، ص38
(5) التبيرزيّ، **شرح سقط الزند**، مصدر سابق، (٢/ ٦٢٥).
(6) المعريّ، **ديوان سقط الزند**، مصدر سابق، ص122-123

تأخّرَ عن جيْشِ الصّباحِ لضُعْفِه فأوْثَقَهُ جيشُ الظّلامِ إسارا[1]

ومن أجمل أبيات المعريّ في تصوير الفجر الكاذب والفجر الصادق وقت طلوع الصبح بصورة فنية رائعة تدلّ على تمكنه ومكانته الشعرية الراقية؛ إذ يجعل ضوء الفجرين: الكاذب والصادق عند تتابعهما دماً لأخوين، هما: العندم، والصبغ الأحمر، ثم يجيء الصبح بنوره وضوئه الأبيض فيغسل هذه الحمرة، ويحولها إلى بياض ناصع جميل مشرق، يقول المعريّ[2] :

كأنّ سَنا الفَجْرَينِ لمّا تَوالَيا دمُ الأخـــوَين زَعْفَرانٍ وأيْدَع

أفاضَ على تالِيهِما الصّبْحُ ماءهُ فغَيّرَ مِن إشراقِ أحْمَرَ مُشْبَع[3]

وترى الباحثة أن المعريّ استثمر عنصر الليل أجمل استثمار، فرسم له صورتين: إحداهما متشائمة مشبعة باللون الأسود؛ وذلك حين يشبهه بالغراب، فيجعلهما رمزا للتشاؤم والحزن، أو حين يجعله طويلا لا تتحرك نجومه من مكانها، فتثير الألم والمرارة في جوانحه، ويشبهه أيضا بالثياب السوداء(الطيلسان) رمزا للحداد، كما يربط بين الليل والصحراء الشاسعة المقفرة التي تسبب له السهر، فيبث لليل أحزانه، كما يصف لوحة الليل الفنية في بادية العراق القاتلة التي لا ينجو منها أحد، وقد انتشرت فيها الوحوش الضارية.

وفي المقابل يرسم المعريّ صورة جميلة لليل، فيجعله وقتا مريحا ومناسبا لأسفاره وترحاله، كما يشبه الخيل السوداء به، ويجعله موضوعا للمدح حين يربطه بمعارك الممدوح اليقظ الذي لا ينام الليل لحبه قتال الأعداء، ويجعل غبار المعركة كثيفا أسود والسيوف البيضاء اللامعة خلاله كأنه ليل دامس تتساقط خلاله النجوم البيضاء المتلألئة، كما يشبه حركة الليل والنهار وتعاقبهما بجيشين يقتتلان، فيهزم الليل جيش الصبح الضعيف، كما يشبه الليل في سعته واتساعه بأمواج البحر المتلاطمة، فيقارن هذه السعة بسعة كرم الممدوح، كما يشبه سعة طموحاته وآماله العريضة بسعة هذا الليل، ولا ينسى قيمة الليل في ستر زيارته لمحبوبته الجميلة، وهذا معنى موجود قديما.

ثانياً- الكواكب، والنجوم:

احتلت النجوم والكواكب مكانة مرموقة في موروثنا الشعريّ العربيّ قديما وحديثا؛ فقد ضمنها الشعراء عبر العصور قصائدهم؛ لأنها تتصف باللمعان، والعلو والارتفاع، والجمال، والاهتداء بها في الليل، فشبهت بها السيوف، والممدوحون في علو مكانتهم، والمحبوبات في

---

(1) الناجيات : الإبل السريعة، وتجمّ: تكثر، والركائب: جمع ركوب وهي الناقة، وغار: نقص، وثوب الليل: استعارة مكنية، والسرار: آخر الشهر، وأوثقة: ربطه وأسره. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص ١٢٣.

(2) المعريّ، **ديوان سقط الزند**، مصدر سابق، ص288

(3) الفجران: الصادق والكاذب، دم الأخوين: العندم، الأيدع: الصبغ الأحمر. المعريّ، حاشية **سقط الزند**، مصدر سابق، ص ٢٨٨.

جمالهن، وشبهت الحليّ والزينة بالنجوم والكواكب....إلى غير ذلك من المعاني والأغراض الشعرية.

والمعريّ من أكثر الشعراء اهتماماً وتوظيفاً للنجوم والكواكب في شعره، إذ يستثمر هذه الثقافة الفلكية الواسعة في شعره ليظهر براعته الفائقة في وصف هذه النجوم والكواكب، إضافة إلى ما يمتلكه من مخزون لغويّ واسع، فهو يعدد أسماء النجوم، مثل: الثريا، والشهب ، والمريخ، وسهيل، والجوزاء، ونبات نعش، والشعرى، والسماك، وزحل، إضافة إلى الشمس، والقمر، والبدر، والهلال، والشفق.

والمعريّ ملمّ بالنجوم والكواكب، وله اطلاع واسع عليها، فهو يصفها، ويذكر أسماءها، وصفاتها، ومواقعها، وأوقات طلوعها، وأفولها، والأفلاك التي تدور فيها، ومن ذلك ذكره للنجوم مفردة أو مجموعة بشكل عام للتشبيه، أو لإضافة معنى جديد، فهو مثلا يشبه نجوم الليل بالدرّ الأبيض اللامع في وسط الليل، أو ببقايا الذبال أو الشموع، وذلك في قوله:

أعَن وَخْدِ القِلاصِ كشَفْتِ حالا ومن عِند الظّلام طَلَبتِ مالا

ودُرّاً خِلْتِ أنْجُمَه عـــــــليه فـــــــهلاّ خِلْتِهِنّ به ذَبالا[1]

وكان يريد أن يقول لنفسه: حملك الظن الفاسد على توهم نجوم الليل دراً، فهلا توهمتها فتائل شموع مستقلة؟ فإن تشبيه النجوم بالدرّ ليس بأولى من تشبيهها بالذبال[2].

ويصف أحد الممدوحين الفرسان عندما لبس غمد السيف أو الثوب الموشى بأنه كنجوم الليل وينتعل الهلال لرفعته وسموّ منزلته؛ إذ يقول المعريّ:

مُحَلّى البُرْدِ تَحْسَبُهُ تَرَدَّى نُجُومَ اللّيْلِ وانْتَعَلَ الهِلالا[3]

وفي مقام آخر يفتخر المعريّ بنفسه أنه فوق النجوم رفعة، وأنه لا يفارقه خيال حبيبته في ذلك المقام العالي؛ إذ يقول:

لو حَطّ رَحْلِيَ فَوْقَ النجْمِ رافِعُه وجَدتُ ثَمّ خَيالاً منكِ مُنتظِري

يَوَدّ أنّ ظَـــلامَ اللّيْلِ دامَ له وزِيدَ فيهِ سَوَادُ القَلْبِ والبَصَرِ[4]

فهو يقول: خيالك لفرط شغفه بي يتمنى استدامة الليل، ويتمنى هذا الخيال زيادة سواد القلب والبصر، لأن القلب الحزين هو الذي يستدعي طيف الحبيب عادة[5].

---

(1) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص21

(2) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص21.

(3) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص32

(4) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص36

(5) عنت: بمعنى عرضت، والعَنان: السحاب. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص37.

وهكذا نجد أن المعريّ يستخدم لفظ النجوم للدلالة على رفعة الممدوح، وهذا من المبالغة المعقولة، يقول في مدح بني عديّ:

وعَنّتْ في سَماءِ بَني عَدِيٍّ نُجُومٌ ما يُغَّيبها عَنانُ[1]

فهو يقول: لما أبت العرب طاعتك نهضت إليهم بجيش من بني عديّ كأنهم نجوم لا يحجبها سسماء، والعرب كثيراً ما تشبه الجيش بالنجوم[2]،

ومن شعر الحكمة يقول المعريّ مستشهداً بالنجم في رفعته وكبر حجمه، مشبها به الممدوح الكبير على الرغم من الأعين التي تراه صغيراً[3]:

رأوْك بالعَيــنِ فاسْتَغْوَتْهُمُ ظِنَنٌ ولم يَرَوْكَ بفِكْــرٍ صادِقِ الخَبَرِ

والنّجْمُ تستصْغِرُ الأبصارُ صورتَه والذنْبُ للطّرْفِ لا للنجمِ في الصّغَرِ[4]

يقول: عرفك الأعداء بحواسهم التي تخطئ، ولم يسبروا غورك بفكرهم للحكم عليك، والبيتان من التشبيه الضمنيّ؛ إذ شبّه الشاعر حالة من استصغر الممدوح ببصره وحواسه دون إشغال فكره بحالة من يرى النجم البعيد صغيرا وهو عكس ذلك[5].

وفي مجال المدح لا يتوانى المعريّ عن ذكر الكواكب، فهو يدعو لممدوح تزوج أن يحفظه الله بنعمه مدى الحياة، وأن يبقى ملكه نافذاً، وأن تخضع له الكواكب والنجوم العلية، وتولي مواليك المحل الرفيع، ومعاديك ضده، يقول المعريّ:

إبْقَ في نِعْمَةٍ بَقاءَ الدّهــورِ نافِذَ الأمرِ في جميعِ الأمورِ

خاضِعاتٍ لكَ الكواكبُ تَخْتصْ مَوالِيكَ بالمحَلّ الأثيــــــــرِ[6]

وقد أمر هذا الممدوح الذي تزوج غلمانه بالخروج من الدار عند دخول حرمه إليها، فشبه المعريَّ الغلمان في جمالهم وبياض وجوههم بالنجوم والشهب التي تغيب عند طلوع الفجر، وكنّى بضوء الفجر عن زوجته، يقول المعريّ:

رَحَلَتْ من فِنائِهِ شُهُبُ الغِلْــمانِ خوْفاً من ضَوْء فَجْرٍ مُنيرِ

كانَ كالأفْقِ حين هَمّتْ به الشمسُ تَنَادَتْ نُجومُه بالمَسيرِ

يـا لها نِعْمَةً وليسَ ببِدْعٍ أن تَحُوزَ الشّموسُ رِقَّ البُدورِ[7]

---

(1) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص50.
(2) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص50..
(3) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص44.
(4) استغوتهم: بمعنى استجهلتهم، وهو من الغيّ وهو الجهل والضلال، والظن: جمع ظنة وهي الشبهة. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص 43-44.
(5) المعريّ، **حاشية سقط الزند**، مصدر سابق، ص 44.
(6) التبريزي، **شروح سقط الزند**، مصدر سابق، (224/1).
(7) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص55

جعل الزوجة هنا بالإضافة إلى المتزوج بمنزلة القمر من الشمس، وفي البيت المتقدم جعلها بالإضافة إلى الغلمان بمنزلة الشمس من النجوم[1].

ويفتخر المعريّ بنفسه، فيجعلها أعلى رفعة ومرتبة من النجوم العالية، فهو قانع بما رزقه الله، وأنه يجاهد نفسه؛ لأن الطمع يذلّ، والقناعة تعزّ، يقول المعريّ[2]:

قَنِعْتُ فخِلْتُ أنّ النجْمَ دوني وسِيّانِ التّقَنّعُ والجِهادُ[3]

ويصف المعريّ طلوع الفجر كأنه شخص استيقظ من نومه، وفوق جفونه جواهر لم يحرسها أحد، وهذه صورة فنية جميلة رسمها المعريّ لطلوع الفجر؛ إذ يقول:

ويطلُعُ الفجْرُ وفَوْقَ جَفنِهِ مِن النّجومِ حِلْيَةٌ لم تُحْرَزِ[4]

ويربط المعريّ بين همومه وطول الليل وثبات النجوم وبطء غروب هذه النجوم، ويتمنى زوال هذا الليل، ويشبه بعض النجوم الثابتة بالنسر الذي قصت جناحاه فلم يستطع الطيران، إذ يقول:

لعَمْري لقد وَكّلَ الظاعِنُونَ بقَلْبيَ نَجْماً بَطيءَ الغُرُوبِ

أقولُ وقد طالَ ليلي علَيّ أما لشَبابِ الدّجى من مَشِيبِ

أقُصَّتْ نُسُورُ نُجومِ السماءِ فلم تَستطِعْ نهْضَةً للمَغِيبِ[5]

كان الواجب أن يقول: لقد وكّل الظاعنون عيني بنجم، فقلب الكلام، ثم أقام القلب مقام العين؛ مشيراً بذلك إلى عماه، إذ يقول: أراعي النجوم بالقلب لا بالعين، وجعل الليل والظلام شبابا؛ إشارة إلى أول الليل والمشيب آخر الليل، والشيب والمشيب: جناس وطباق، وهما من البديع المولع به المعريّ، وعني بالنسور: يريد النسر الطائر والنسر الواقع، وهو كوكب منير بين كوكبين عن جناحيه فهي ثلاثة مصطفة[6]، ويشير المعريّ إلى هذا المعنى في مقام آخر؛ إذ يقول:

ولَيلَةٍ سِرْتُ فيها وابنُ مُزْنَتِها كَـــــمَيّتٍ عادَ حيّاً بَعْدَما قُبِضا

كأنما هيَ إذْ لاحَتْ كواكِبُها خَوْدٌ من الزّنج تُجلى وُشّحَتْ خَضَضَا

كأنما النّسْرُ قد قُصّتْ قوادِمُهُ فالضّعْــفُ يَكْسِرُ مِنه كلّما نهَضا[7]

---

(1) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص55.
(2) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص64
(3) سيان: من السيّ: وهو المثل والنظير. التبريزي، **شروح الزند**، مصدر سابق، (283/1).
(4) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص88
(5) المعريّ، **ديوان سقط الزند**، مصدر سابق، ص128
(6) التبريزي، **شروح سقط الزند**، مصدر سابق، (651/2).
(7) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص131.

لقد رأى الشاعر أبو العلاء المعريّ النجوم في ظلام عينيه، وهذا نوع من الإبداع الفنيّ، إذ أمكنه التعرف إلى عناصر الطبيعة المختلفة من خلال حاسة السمع التي ارتكز عليها في التفاعل مع الطبيعة وعناصرها، ثم ترك لخياله المجال ليظهر شاعريته، ويعوّضه عما حرمته الحياة من نعمة البصر، فالحرمان يذكي الخيال، والمعريّ يرسم بالكلمات لوحات فنية، ويجعل ضمن كل بيت قصة متكاملة، كما في قوله وهو يرسم صورة الليل التي سرى فيها الشاعر والنجوم تتلألأ فيها كأنها عروس زنجية سوداء اتشحت باللآلئ البيضاء، والجواهر الجميلة، وقد سطع فيها الهلال كأنه شخص مات ثم عاد إلى الحياة من جديد، ويصف طول الليل كأنه نسر أسود قصّت قوادم جناحه فلا يستطيع الطيران أو حتى النهوض[1]، إذ يقول المعريّ[2]:

وليلة سرتُ فيها وابن مزنتها كميت عاد حيا بعدما قبضـا[3]

كأنما هي إذ لاحت كواكبها خود من الزنج تجلى وشحت خضضا

كأنما النسر مقصوص قوادمه فالضعف يكسر منه كلما نهضا[4]

وكثيراً ما يعبر المعريّ عن طوال الليل بثبات النجوم في مكانها، أو ضعفها عن الحركة، كما في قوله[5]:

ومَنْهَلٍ تَرِدُ الجَوْزاءُ غَمْرَتَه إذا السِّماكانِ شطّرَ المغْرِبِ اعترَضَا

وَرَدْتُهُ ونُجومُ اللّيْلِ وانِيَةٌ تشكو إلى الفجرِ أنْ لم تَطعَمِ الغَمَضَا[6]

ويشبه المعريّ ممدوحيه من العلويين بالثريا، ويبالغ في مدحهم مبالغة شديدة حتى جعلهم من آل الثريا والفراقد العالية، وإن كانت أجسامهم أجسام بشر، وهم –أيضا كما يقول- نجوم الأرض، وإن ضوءهم منتشر بين الناس ولو أن هناك نجوما في السماء؛ إذ يقول:

فآلُ الـــثّرَيّا والفَراقِدِ أنْتُمُ وإنْ شَبّهَتْكُمْ بالـــعِبادِ جُسومُ

فإنّ نُجومَ الأرضِ ليس بغائبٍ سَناها وفي جَوّ السماء نُجومُ[7]

---

(1) عبد الله، **نجوم السماء وكواكبها**، مرجع سابق، ص 524-527.

(2) المعري. **سقط الزند**، مصدر سابق:ص131

(3) ابن مزنتها: يعني الهلال. ابن منظور، **لسان العرب**: مادة مزن.

(4) الخود: الفتاة الشابة، الخضض: خرز أبيض تلبسه الإماء، والقوادم : ريشات كبيرة في مقدم الجناح. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص131.

(5) المعريّ. **ديوان سقط الزند**، مصدر سابق، ص132

(6) المنهل: الغدير، والجوزاء: نجم عال في السماء، وغمرته: مجتمع مائة، يقول: من صفاء ماء هذا المنهل تتبين فيه النجوم، وانية: ضعيفة، والغمض: النوم، فهو يبالغ في وصف الليل بالطول. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص132.

(7) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص134

ويقارن المعريّ بين شعر أحد أصدقائه، وبين النجم في الارتفاع المكانيّ بعد أن شبهه بالمهر السريع الذي يسبق الخيول؛ إذ يقول[1]:

للهِ دَرُّكَ مِن مُهْرٍ جَرى وجَرَتْ عُنْقُ المَذاكي فخابتْ صَفْقةُ العُتُقِ

إنّا بعَثْناكَ تَبْغي القَولَ من كَثَبٍ فجِئْتَ بالنّجْمِ مَصْفوداً من الأفُقِ[2]

ويقصد المعريّ أن صديقه الشاعر جاء من الشعر بما هو بعيد المتناول، أو أنه جاء بالنجم مصفد الرأس من الأفق، كناية عن قوة الشاعر في نظم الشعر.

ويجعل المعريّ من النجوم السماوية المتلألئة قلائد، وأطواقاً، ونطاقاً لمحبوبته؛ لجمالها، وبياضها؛ إذ يقول:

زارَتْ عليها للظّلامِ رِواق ومِنَ النّجومِ قَلائِدٌ ونِطـــاقُ[3]

ويصف المعريّ الليل قليل الضياء شديد الظلمة بأن نجومه سكرى، أو محمومة مريضة، وهذا من التشخيص؛ إذ يقول[4]:

ولقد سَرَيْتُ الليلَ يُصْبِحُ نجمُه ثَمِلَ الضّياءِ كأنّه مَوْعوك[5]

ومن أبيات الحكمة لدى المعريّ دعوته إلى التوسط في كل شيء، حتى في العز والمجد؛ لأن كل شيء إذا يتم فلا بد أن يبدأ بالنقص، سواء في ذلك العمر، أو الحضارة، أو غير ذلك، وهذا صحيح وحقيقة، وهو يرى أن البدور تخشى النقص وهي ضعيفة في منزلة الهلال، لكنها عندما تكتمل بدراً تبدأ بالنقص، يقول لممدوحه، أو لنفسه:

فإن كُنْتَ تَبْغي العِزّ فابْغِ تَوَسّطاً فعندَ التّناهي يَقْصُرُ المُتطاوِل

تَوَقّى البُدورٌ النقصَ وهْيَ أهِـلّةٌ ويُدْرِكُها النّقْصانُ وهْيَ كوامل[6]

أ. الكواكب: ومن الكواكب التي ورد ذكرها عند المعريّ وهي:

1. زحل

اسم كوكب من الخُنّس، وقيل له زحل لأنه زحل، بمعنى بعد[7]. وفي قصيدة المعري الدالية التي يرثي فيها فقيها حنفياً يعزي المعريّ أهله بأن الموت حق، وأنه لا ينجو منه أحد حتى كوكب

ومراثٍ لو أنهن دمـــــوع لمحون السطور في الإنشاد

---

(1) المعري، **سقط الزند** ، مصدر سابق، ص135.

(2) المذاكي: مفردها مُذَكٍّ، وهو الذي بلغ القمة في الذكاء، والعتق: جمع عتيق، وهو الفرس السابق الأصيل المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص135.

(3) المعريّ. **ديوان سقط الزند** ، مصدر سابق، ص154

(4) المعريّ. **ديوان سقط الزند**، مصدر سابق، ص366

(5) الثمل: الذي غاب وعيه من شدة الخمر، والمحموم: الذي غاب وعيه من شدة الخمر. التبريزيّ، **شروح سقط الزند**، مصدر سابق، (1907/5).

(6) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص111.

(7) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة زحل.

زُحَلٌ أشرَفُ الكـــــَواكبِ داراً مِنْ لِقاءِ الرّدَى على مـــــــيعادِ
ولِنارِ المِرّيخِ مِن حَدَثانِ الدّهْ رِ مُطْفٍ وَإنْ عَلَتْ في اتّقادِ
وَالثَرَيّا رَهينـَةٌ بِافْتِراقِ الـشّمْلِ حَتّى تُعَدّ في الأفرادِ[1]

فأبعد الكواكب زحل لا يأمن الهلاك إذا جاء موعد هلاكه، فكيف بابن آدم والموت عليه حق؟ وكذلك المريخ ستنطفئ بعد اتقاد، والثريا الرهينة باجتماع الشمل ستتفرق فتعد مع الأفراد[2].

وترى الباحثة أن المعريّ استخدم صورة النجوم والكواكب في موضوعات جميلة شتى، فشبه بها قلائد وأطواق النساء في اللمعان، وكذلك السيوف، والأغماد، والثياب الموشاة بالحليّ اللامعة، كما شبه بها جمال وجوه الممدوحين في بياضها، وجمال محبوبته كذلك، وجعلها وسيلة للاهتداء بها في ظلمات الليل الموحش، وفي مجال المدح، والفخر بنفسه وبمنزلته الشعرية، والمقارنة، فجعل هذه النجوم والكواكب أقل منزلة من الممدوح، ومن ذاته حينما تفوق على أقرانه من الشعراء الذين حسدوه، ويضمنها كذلك في موضوع الحكمة، والتهنئة في الزواج، أو الشفاء من الأمراض، وعند الحديث عن الليل وهمومه يجسد المعريّ هذه الكواكب والنجوم فيجعلها مريضة، أو نائمة، أو سكرى.

2- **المريخ:**

والمريخ من الكواكب المشهورة العالية في السماء، يسمونه الكوكب الأحمر، وفي قصيدة المعري الدالية المشهورة التي يرثي فيها فقيهاً حنفياً، يذكر المريخ، وأن حوادث الدهر أثرت في لمعان هذا النجم واتقاده، وهذا يدل على ثقافة المعريّ الفلكية، يقول المعريّ[3]:

ولِنارِ المِرّيخِ مِن حَدَثانِ الدّهْـــرِ مُطْفٍ وَإنْ عَلَتْ في اتّقادِ[4]

وفي مقام آخر يخاطب صديقه أبا عبدالسلام بن الحسين البصريّ، فيصف الليل الذي أمضاه عنده في بغداد يكتب الأشعار بحبر الليل الأسود في الصحراء القاحلة التي ملّ نجم سهيل والقمر الأبرص من الظهور، وكان المريخ يمشي متثاقلاً الى الغروب كأنه قطعة نار، يقول[5]:

كتَبْنا وأعْرَبْنا بحِبْرٍ من الدّجى سُطورَ السُّرَى في ظَهْرِ بَيْداءَ بَلْقَع
يُلامُ سُهَيْلٌ تحْتَه مِن ســـآمةٍ ويُنْعَتُ فـــــيه الزِّبْرِقانُ بأسْلَع
ويُسْتَبْطَأ المِرّيخُ وهوَ كـــأنهُ إلى الغَوْرِ نارُ القابِسِ المُتَسرِّع[6]

---

(1) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص203
(2) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص203.
(3) المعري، **سقط الزند**، مصدر سابق،ص203
(4) مطف: بمعنى منطفئ، خفف الهمزة. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص203
(5) المعري، **سقط الزند**، مصدر سابق،ص288
(6) السرى: السير ليلاً، والبيداء البلقع: الصحراء المقفرة، والزبرقان الأسلع: القمر الأبرص، والغور: الغروب، والقابس: النار. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص288

وفي مقام آخر يصف الدرع بالحرارة الشديدة التي قبستها من المريخ، مع أنها في طباعها باردة كزحل، يقول[1]:

وُزِنَتْ بخالِصِ عَسجَد لا فِضّةٍ حَــقّاً لبائِعِها على مُبْتاعِها

خَلَعَتْ عليه أمُّ عُــثمانٍ ولم تَبْخَـلْ بحلّتِها ولا بقِناعِها

أخَذَتْ من المِرّيخِ وَقْــدَةَ شِرّةٍ إذْ ناسَبَتْ زُحَلاً ببَرْدِ طِباعِها[2]

ب- وأما النجوم:

فللمعريّ باع طويل في معرفة أسمائها، ومواقعها، وأوقات طلوعها، وأفولها، فيتأثر بها، ويبادلها همومه، ومشاعره، ومن هذه النجوم :

1- الشمس:

الشمس من أكبر نجوم السماء التي اهتم بها الشعراء قديما وحديثاً، وبخاصة المعريّ نظراً لعلو مكانتهما، وجمالهما، فوظف المعريّ هذين النجمين في شعره، ففي قصيدة للمعريّ يعنف فيها نفسه، فيقول: كم توهمت النجوم في الليل دراً، وكذلك توهمت الشمس في النهار ذهباً، وقد اجتلبت الظن المتخيل ثم أوقعته في صدري حتى توهمته حقيقة، يقول :

ودُرّاً خِلْتِ أنْجُمَه عــــــليه فـــــــــهلاّ خِلْتِهِنّ به ذَبالا

وقُلْتِ الشّمْسُ بالبَيْداءِ تِبْرٌ ومِثْلُكِ مَنْ تَخَيّلَ ثَمّ خالا[3]

فهو يستخدم الشمس والقمر في مجال التشبيه بالذهب والفضة بجامع اللون، ويهتم المعري بالشمس والقمر ليجعلها لونين لفرسه الاصيل الجميل، إذ يقول :

لكنْ يُقْبّلُ فُوهُ سامعَيْ فَرَسٍ مقابلَ الخَلْقِ بينَ الشمْسِ والقَمَرِ[4]

وعنى الشاعر بسامعي الفرس: أذنيه، وقوله مقابل الخلق بين الشمس والقمر: إن لون فرسه جمع بين الشقرة والبياض؛ لأن الشمس توصف بالشقرة، والقمر بالبياض، قال المتنبي :

وَما قُلتُ لِلبَدرِ أنتَ اللُجَينُ وَلا قُلتُ لِلشَمسِ أنتِ الذَهَب[5]

ويصف المعريّ وقعة (الروج) بين الروم والمسلمين في يوم سطعت فيه الشمس ببهائها، وجمالها كأنها امرأة شديدة الحياء، وقد لفّ غبار المعركة الجو فأصبح كاللثام على وجه تلك المرأة الحسناء، وهو من تشبيه التمثيل، يقول[6] :

---

(1) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص389

(2) العسجد : الذهب، وأم عثمان: الحيّة، والشرّة: الاتقاد والحرارة؛ إذ يوصف المريخ بالحرارة، وزحل بالبرودة. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص 389

(3) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص 21.

(4) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص٤١.

(5) المتنبي، **ديوان المتني**، مصدر سابق، ص431

(6) المعريّ. **ديوان سقط الزند** ، مصدر سابق، ص120

أيُوعِدُنا بالرّوم ناسٌ وإنّـــــما هُمُ النّبْتُ والبِيضُ الرّقاقُ سَـــوامُ
كتائِـبُ من شَرْقٍ وغرْبٍ تألّبَتْ فُرادَى أتاها الموتُ وهْيَ تُؤامُ
بيوْمٍ كأنّ الشمسَ فيه خَريدَةٌ علـــيها من النّقْعِ الأحَمّ لِثامُ[1]

ويظهر المعريّ براعته في علوم البلاغة والبديع، فمن التشبيه الضمني: ما يخاطب شاعراً صديقاً له مدح ملكاً ولم يكرمه، فقال له المعريّ: إن حالتك أيها الشاعر مع ذلك الأمير وشعرك الذي زاد الامير حسناً، ولولا شعرك هذا لما ظهر فضله كحالة الشمس التي تزين النهار، يقول[2] :

ولم تَلْفِظْكَ حَضْرتُه لزُهْدٍ ولكنْ ضاقَ عن أسدٍ وِجارُ
جَمالُ المَجْد أنْ يُثْنى عليه ولولا الشمسُ ما حَسُنَ النّهارُ[3]

ويعبر المعريّ عن لحظة فراق محبوبته، وكيف تغيرت ملامح ولون وجه هذه المحبوبة الأبيض كما يتغير لون الشمس عند غروبها ليصبح أحمر، يقول[4] :

وكُنتِ لأجلِ السنّ شمسَ غُديّةٍ ولكِنّها للبَيْنِ شمسُ أصِيل[5]

اتخذ المعري في وصف الشمس أثناء المعركة حيث صوّرها كالفتاة تسترت باللثام الذي حجب الغبار رؤيتها، إذ يقول:

بيوم كأن الشمس فيه خريدة عليها من النقع الأصم لثام[6]

ويصور الشمس في كبد السماء بالذهب، إذ يقول:

وقلت الشمس بالبيداء تبر ومثلك من تخيل ثم خالا[7]

ويمدح المعريّ شاعراً صديقاً له بعد أن فارق أحد الملوك ولم يجزه على شعره، بأن شعره قويّ التأثير، بالغ الأثر، يرفع الممدوحين إلى أعلى مقام، حتى الثريا لو مدحت بشعره لافتخرت على الشمس الكبيرة المشرقة، يقول:

وشِعْرُكَ لو مَدَحْتَ به الثّريّا لَصَارَ لها على الشمس افْتِخارُ
كأنّ بُيوتَهُ الشَّهْبُ السّواري وكـــــلّ قصيدةٍ فَلَكٌ مُدَارُ[8]

---

(1) السوام: الإبل السارحة في المرعى، والبيض الرقاق: السيوف، وتؤام: الشابة شديدة الحياء، والنقع الأصم: الغبار القائم الأسود، واللثام: ما يغطي الفم. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص١٢٠.
(2) المعريّ، **ديوان سقط الزند** ، مصدر سابق، ص162
(3) الوجار: جحر الضبع. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص ١٦٢.
(4) المعريّ، **ديوان سقط الزند** ، مصدر سابق، ص213
(5) الغُديّة : مُصفّر الغداة، والبين: الفراق، وشمس الأصيل: الغروب. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص٢١٣.
(6) المعري، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص120
(7) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص22
(8) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص162

2- القمر:

القمر من أشهر كواكب السماء لنوره الجميل في الليل، وعلو مكانته وارتفاعه، ولشكله المستدير الذي يشبه وجوه الحسان من النساء، ولأشكال مطالعه: من هلال إلى بدر إلى قمر، وعلاقة ذلك بهموم الشعراء، وما يرونه من تشبيهات لهذه الأشكال، وعندما تصطف حول بعض النجوم فتكون كالقلائد في جيد تلك الحسناوات، وكذلك ارتباط هذا القمر بالليل، وما يثيره من شجون في نفوس الشعراء قديماً وحديثاً.

ففي غرض المدح يستخدم المعريّ الهلال وهو أحد أشكال القمر المقوّس ليكون نعلاً في قدم الممدوح الذي رفع مكانته، إذ يقول :

مُحَلّى البُرْدِ تَحْسَبُهُ تَرَدَّى نُجُومَ اللّيْلِ وانْتَعَلَ الهِلالا[1]

فهو يقول: حُلّي غمد السيف للممدوح بحلية من فضة، فمن يراه يظن الممدوح قد لبس برداً من نجوم الليل، وجعل في أسفل الغمد نعلا من فضة، فمن يراه يظنه لبس نعلاً من الهلال[2].

ويزيد المعريّ في تهنئته الممدوح بكماله في المعالي والمكارم، ويبالغ في ذلك؛ ليجعله يعلّم القمر كيف يكتمل نوره وشكله وسط الشهر، يقول:

لِيَهْنِكَ في المكارِم والمعَالي كَمَالٌ عَلّمَ القَمَرَ الكَمالا[3]

ويتلاعب المعريّ بالألفاظ والمعاني عندما يصف غديراً صافياً ظهرت فيه صورة سوار تركته الجنيّات كأنه هلال مقوس، فشبه الهلال بنصف السوار، يقول[4]:

فَـــصِيمٌ نِصْفُهُ في الماء بادٍ ونِصْـــــفٌ في السّماء به تُزانُ

كأنّ اللّيلَ حارَبَهـــا ففِيهِ هِلالٌ مِثْل ما انعَطَفَ السّنـانُ[5]

والبدر يغيب ثم يأتي تماماً كالشريف أبي إبراهيم العلويّ الذي يشبه البدر، الذي يكون آخره كأوله، وكذلك الممدوح، فالفرع يتبع الصل كما يقول، والأقمار وإن تعددت فهي واحدة نيرة متجددة، يقول :

وما الـــبَدرُ إلاّ واحِدٌ غيرَ أنّه يَغِيبُ ويأتي بالضّياءِ المُجَدِّدِ

فلا تَحْسِبِ الأقْمارَ خَـلْقاً كثيرةً فـــــجُمْلتُها مِن نَيّرٍ مُتَرَدِّدِ[6]

---

(1) البُرد: الثوب الموشّى، وأراد المعري بالبّرد: غمد السيف، وتردّى: أي جعله رداء. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص32

(2) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص٣٢.

(3) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص٣٤.

(4) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص52

(5) الفصيم: المشقوق يعني السوار الذي تركته الجنيات في الغدير، وتزان: تجمل بنصف سوار بقي في الغدير بعدما تركته الجنيات. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص٥٢.

(6) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص75

وهذا المعنى نفسه قد ذكره المعريّ في مكان آخر؛ إذ يقول :

وافقتهم في اختلاف زمانكم والبدر في الوهن مثل البدر في السحر[1]

وقد يجعل المعريّ بياض قوائم خيله المحجلة مع سوادها كنور البدر في الليلة الظلماء إذ يقول[2]:

والبَدرُ قد مَدَّ عِمادَ نُورِه والليلُ مِثلُ الأدْهَمِ المُقَفَّزِ[3]

ويصف المعريّ حاله إبله السارية في الليل وقد أجهدها التعب والخوف ترتقب بزوغ الفجر، فأصبحت هزيلة بعد أن كانت سمينة مثل البدر الذي اكتمل ثم هزل، يقول: [4]

وباتَتْ تُراعي البدرَ وهْوَ كأنّه من الخَوْفِ لاقى بالكَمالِ سِرارا

تأخّرَ عن جيْشِ الصّباحِ لضُعْفِه فأوْثَقَهُ جيشُ الظّلامِ إسارا[5]

ويروي المعريّ حواراً عجيباً ومقنعاً دار بينه وبين محبوبته، لما رأت الشيب الأبيض في رأسه كأنه الصبح ومحبوبته الجميلة كأنها البدر، فقالت: إن الصبح عادة يطرد الأقمار، كما أن شيبك هذا يطرد الجميلات، فردّ عليها قائلاً: أنتِ لست بدراً، وإنما أنت شمس لا تظهر في الليل، وإنما تظهر في النهار الابيض مثل شيبه، فأقنعها، يقول:

حَـــيِّ مِن أجْلِ أهْلِهِنّ الدّيارَا وابْكِ هِنْداً لا النَّوْيَ والأحْـــجارا

هــيَ قالتْ لمـّا رَأتْ شَيْبَ رأسي وأرادَتْ تَنـــــــــكّراً وازوِرَارا

أنا بَـدْرٌ وقد بدا الصّبْحُ في رأ سِكَ والـــــــصّبْحُ يَطّرُدُ الأقْمارا

لسْتِ بَدْراً وإنّما أنْتِ شــمسٌ لا تــُرى في الدّجَى وتَبْدو نهارا[6]

فلما قالت له: أنا بدر وأنت لما بدا الشيب في رأسك صار كالصبح الأبيض، والبدر والصبح لا يجتمعان، قال لها: بل أنت شمس، والشمس لا تكون إلا بالنهار[7]. وهذا يدلّ على سعة أفقه، وقوة حجته، وحبه للطرافة والفكاهة.

---

(1) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص75.
(2) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص89
(3) والأدهم: الحصان الذي في يديه بياض يبلغ المرفقين، كأنه شبه القفاز. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص ٨٩
(4) المعريّ. **ديوان سقط الزند**، مصدر سابق، ص123
(5)والتاء في باتت تعود على الإبل، والسرار: آخر الشهر، والإسار: الأسر، و(جيش الظلام، وأوثقه إساراً) من الاستعارات الجميلة عند المعريّ. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص ١٢٣
(6) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص129
(7) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص ١٢٩

وفي مشهد حزين يرثي المعريّ أبا إبراهيم العلويّ، فيجعل الشمس ونجوم السماء تنعاه، وتتمنى لو تفدّته بأرواحها من الموت، وجعل الحمرة التي تعلو سطح القمر سببه كثرة اللطم على خدّه وصدره كما تفعل النساء عند الوفاة من النياحة واللطم؛ إذ يقول[1] :

نَعَيْناهُ حتى للغَزالَةِ والسُّهَى فكُلٌّ تَمَنّى لَوْ فَداهُ مِنَ الحَتْمِ

وما كُلْفَةُ البَدْرِ المُنيرِ قديمَةً ولكِنّها في وَجْهِهِ أثَرُ اللّدْمِ[2]

3. الثريا:

استخدم المعريّ- كعادته في المبالغة في المدح- النجوم بعامة، والثريا بخاصة، فهو يقول: إن الممدوح في هيبته وسطوته يتوقاه كلّ شيء حتى النجوم، وبخاصة الثريا، فهي إذا غابت في مغربها فقد أمنت الهلاك والاغتيال، يقول[3]:

ولكِنْ بالعَواصِمِ من عَدِيّ أمِيرٌ لا يُكَلّفُنا السّؤالا

إذا خَفَقَتْ لمَـــــــغْرِبِها الثّريّا تَوَقّتْ من أسِنّتِهِ اغْتِيالا[4]

وللثريا كفّان: إحداهما الجذماء، وهي كواكب أسفل من الشرطين متفرقة تتصل بالثريا، والثانية: الخضيب وتسمى المبسوطة، وهي خمسة كواكب بيض في المجرة حيال الحوت، ويريد أبو العلاء أن يقول: إن حال الثريا عند غروبها وكفها لجذماء في جهة المغرب كأنها أخذت رهنا، فقبضت عليه احتفاظاً به، وهذا من سعة ثقافته الفلكية[5]، إذ يقول:

وقـــد بَسَطَتْ إلى الغَرْبِ الثرَيّا يـــــــداً غُلقَتْ بأنْمُلِهَا الرّهانُ

كأنّ يَمـــــِينَها سَرَقَتْكَ شيئاً ومَقْطوعٌ على السَّرَقِ البَنانُ[6]

يصور المعريّ الثريا لما فاجأها الصباح بادرت بالهروب إلى المغرب متثاقلة في المشي وهي تظلع كالدابة، تريد الإسراع ولا تقدر؛ لأنها عييت بين طول السير، ولذلك شبهها بالذي سقط من الدواب، أو أصابها الظلَع وهو الغمز، فهي تتحامل على ما بها.

ويقول المعريّ[7]:

كأنّ الثرَيّا والصّباحُ يرُوعُها أخُو سَقْطَةٍ أو ظالعٌ مُتحامل[8]

---

(1) المعريّ. **ديوان سقط الزند**، مصدر سابق، ص194

(2) الغزالة: الشمس، والسهى: نجم من بنات نعش، والحتم: الموت، والكلفة: احمرار في الوجه، واللدم: ضرب المرأة على صدرها، ومنه: لدمتِ المرأة وجهَها: أي ضربته، والتدام النساء: ضربهن صدورهن ووجوههن في النياحة. ابن منظور، **لسان العرب**، مصدر سابق، مادة لدم

(3) المعريّ. **ديوان سقط الزند**، مصدر سابق، ص30

(4) العواصم: الحصون التي بين حلب وانطاكيا، وعديّ: قبيلة مشهورة، ولا يكلفنا السؤالا: كناية أن الأمير يعطي دون أن يسأله أحد، والأسنة: جمع سنان، وهي الرماح. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، 30

(5) المعريّ، **حاشية سقط الزند**، مصدر سابق، ص30.

(6) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص52

(7) المعريّ. **ديوان سقط الزند**، مصدر سابق، ص110

(8) الظالع: الدابة التي تغمز في مشيتها. التبريزي، **شروح الزند**، مصدر سابق، (547/2).

ويمدح المعريّ شاعراً صديقاً له بعد أن فارق أحد الملوك ولم يجزه على شعره، بأن شعره قويّ التأثير، بالغ الأثر، يرفع الممدوحين إلى أعلى مقام، حتى الثريا لو مدحت بشعره لافتخرت على الشمس الكبيرة المشرقة، يقول:

وشِعْرُكَ لو مَدَحْتَ به الثّريّا لَصَارَ لها على الشمس افْتِخارُ

كأنّ بُيوتَهُ الشَّهْبُ السّواري وكـــــلّ قصيدةٍ فَلَكٌ مُدَارُ[1]

ويضرب المعريّ المثل بالثريا التي اشتق من اسمها الثراء والنغمة التي لم تستفد الأرض من جودها، وهو يخاطب أمه، ويسألها عن فقدان درع أبيه العزيزة عليه، يقول[2]:

فلا الثّرَيّا بجُودِها ثَرِيَتْ أرضٌ ولا الفَرْغُ مُخْضِلُ الوَذَم[3]

4. الشهب:

وقد اهتم المعريّ بمواقع الشهب، وآثارها، فنظمها في قصائده؛ معبراً فيها عن سرعة انتقالها، وأحياناً يصفها بالشر كالحاسد، وأحياناً بالمقام العالي في السماء، ففي قصيدة له يصف الشهب الصغيرة أنها سريعة الانتقال في مقام الاعتذار لناقته كثيرة الانتقال التي تشبه تنقل صغار الشهب، يقول[4]:

رَمَاكِ اللّهُ مِنْ نُوقٍ بِرُوقٍ من السّنَواتِ تُشـــــكِلُكِ الإفالا

فقد أكْثَرْتِ نُقْلَتَنا وكانتْ صِغارُ الشَّهب أسْرَعَهَا انْتِقالا[5]

وفي مقام آخر يدعو المعريّ لممدوحه بأن يحفظ مجده العالي الرفيع من عيون الشهب العالية والحاسدة؛ لأن أعين البشر لا تدرك مقامه العالي الرفيع، يقول[6]:

أعـــاذَ مجْدَكَ عبْدَ اللهِ خالقُه من أعْينِ الشّهْبِ لا من أعْينِ البَشَرِ

فالعَيْنُ يَسْلَمُ منها ما رأتْ فنبَتْ عنه وتَلْحَقُ ما تَهْوَى من الصّورِ[7]

وفي مقام الفخر، يعتدّ المعري بنفسه؛ محتقراً أعداءه؛ إذ يقارن نفسه العالية بالسماء المرتفعة عن الأرض، وهو كالشهب التي يدانيها حجارة كبيرة، يقول[8]:

---

(1) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص162

(2) المعريّ. **ديوان سقط الزند**، مصدر سابق، ص351

(3) الجود: المطر الغزير، وثريت: نديت، والفرغ: الدلو، ومخضل: مبلل، والوذم: السير الذي بين آذان الدلو وعراقيها تشد به. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص351

(4) المعريّ. **ديوان سقط الزند**، مصدر سابق، ص22

(5) الروق: طويلة الأسنان، جمع الأروق، وفيها يدعو المعريّ على نوقه بسنوات مجدبة؛ لما تكبده من كثرة السفر دون أن يبلغ مرامه وهدفه، وصغار الشهب: عطارد، والقمر. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص22

(6) المعريّ. **ديوان سقط الزند** ، مصدر سابق، ص42

(7) أعاذ: حفظ، ونبا الشيء: حاد عنه.
المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص42

(8) المعريّ. **ديوان سقط الزند**، مصدر سابق، ص108

وطاوَلَتِ الأرضُ السّماءَ سَفاهَةً وفاخَرَتِ الشَّهْبُ الحَصَى والجَنادلُ[1]

وجعل المعريّ شهب الليل تباري خاله علي بن محمد بن سبيكة في سفره إلى المغرب، ويبالغ المعريّ –كعادته- فيجعل خاله يسبقها في سير الليل؛ داعياً الله عز وجل أنه يبلغ مراده، إذ يقول[2]:

إذا سارَتْكَ شُهْبُ الليل قالت أعانَ اللهُ أبْعَدَنا مُرادا[3]

وفي مشهد احتفاليّ يهنئ المعريّ بعض الملوك بعرس، فيشبه ما ينثر على العروس من الدر والجواهر كالشهب في السماء الخضراء، وقد عمّ هذا النثار الأرض والسماء، وبلغ عنان السماء، وجعل السماء وما فيها من نجوم: كالثريا، والمريخ، والجوزاء، والمزوم تطمع في غنيمة النثار من الدرر والجواهر على العروس؛ إذ يقول[4]:

زُفّتْ إلى داركَ شمسُ الضّحى وحوْلَها من شَمَعٍ أنْجُمُ

كأنّما الشَّهْبُ نِثارٌ عـــلى ال خَضْراء مِنْه الفَذّ والتّوْأمُ[5]

وكيف لا يَطْمَعُ في مَــغْنَمٍ مَن الثرَيّا بعضُ ما يَغْنَم

وكيف يَخفى نَفَلٌ بعضــــُه ال مِرّيخُ والجوْزاءُ والمِرْزَمُ[6]

وفي رثاء أبي إبراهيم العلويّ يجعل أبو العلاء أولاده السبعة شهباً في الجمال والرفعة، لا يتطاول إليهم ولا يدانيهم في المجد أحد، يقول[7]:

دعَا حَلَباً أختَ الـغَرِيّينِ مَصرَعٌ بِسيفِ قُوَيْقٍ للمَكارِمِ والحزمِ

أبي السّبعَةَ الشَّهْبِ التي قيلَ إنّها مُنَفِّذَةُ الأقدارِ في العُرْبِ والعُجْمِ

فإنْ كُنْتُ مَا سَمّيْتُهُم فنـــَباهةٌ كَفَتْنيَ فيهِمْ أنْ أعَرِّفَهم باسْمِ[8]

---

(1) السفاهة: الحمق والغباء، والجنادل: الحجارة الكبيرة، مفرده جندل.
المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص 108

(2) المعريّ. **ديوان سقط الزند**، مصدر سابق، ص156

(3) أفاد بمعنى استفاد، وسارتك: بمعنى بارتك. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص156

(4) المعريّ. **ديوان سقط الزند**، مصدر سابق، ص169

(5) الخضراء : السماء لخضرتها، وهي صفة غلبت على السماء غلبة الأسماء، وفي الحديث:" ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر". ابن منظور، **لسان العرب**، مصدر سابق: مادة خضر.

(6) الفذ: الفرد، والتوأم: الزوجان. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص170

(7) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص192

(8) الغريان: بناءان طويلان يقال: هما قبر مالك وعقيل نديمي جذيمة الأبرش، وسيف قوين: ساحل نهر قرب حلب، وكنّى بالحزم والمكارم نسبة إلى الممدوح أبي السبعة: بدلا من المكارم والحزم، والشهب هي: القمر والشمس وعطارد والزهرة والمريخ والمشتري وزحل، وجعل أولاد المرثيّ السبعة بمنزلة الشهب السبعة، وجعل شهرة هؤلاء الأبناء السبعة في النباهة تغني عن ذكر أسمائهم. التبريزي، **شروح سقط الزند**، (958/3).

5- سهيل:

وهو نجم يمانيّ لا يطلع بالشام، ويزعمون أنه إذا رآه البعير مات، ووقع فيه الوباء، ويوظف المعريّ نجم سهيل في أشعاره؛ مستندا إلى الأساطير العربية التي ترى أن البعير إذا رأى سهيلاً طالعاً أصابه الوباء ومات، يقول المعريّ:

لا تَحْسَبي إبِلي سُهَيْلاً طالِعاً بالشأمِ فالمَرْئِيُّ شُعْلَةُ قابِس[1]

يقول المعريّ مخاطبا الإبل: استمري في سيرك، فما رأيته ليس سهيلاً، وإنما هي شعلة نار[2].

وقال المعريّ على لسان امرأة توصي ابنها بلبس الدرع، والتأهب للقتال، وترك الزواج والغانيات، وأن هذه الدرع حليمة متزنة، على عكس النساء اللواتي يبكين ويندبن لأقل شيء، فهي تقارن الدرع بالنساء، وتغلب الدرع عليهن؛ إذ يقول[3]:

عليكَ السّابِـــغاتُ فإنّهُنّهْ يُدافِعْنَ الصّوارِمَ والأسِنّهْ
ومَنْ شَهِدَ الوَغى وعليه دِرْعٌ تَلَقّاهُ بنَفْسٍ مُـــطْمَئِنّهْ
ولم يَتْرُكْ أبُوكُ سِـــــوى قَناةٍ ودِرعِ آزِرٍ فَرَســاً وَجُنّه
فحِنّ إلى المَكارِمِ والمـــَعالي ولا تُثْقِلْ مَطـاكَ بعِبْءِ حَنّه
فإنّي قد كبِرْتُ وما كَعابٌ مُلائِمَةٌ عَجـــوزاً مُقْسَئِنّه[4]
تَـــرى تَنّومَها وتَرى ثَغامي فتَهْزَأ مِن مُنَهْبَلَةٍ مُسِـــنّة
رَزَانُ الحِلْمِ لو رُزِئَتْ سُهَيْلاً أوِ الشعرَى ما نَهَضَتْ مُرِنّه[5]

6- الجوزاء:

وهو مجموعة نجوم يقال إنه يعترض في جوز السماء، وهي بروج في السماء[6]. وكعادة المعريّ في إظهار قدرته الفائقة في الثقافة الفلكية، فهو يصف الجوزاء في شعره؛ ليدلّ على علو مكانة الممدوح؛ إذ يقول:

يرُومُكَ والجوْزَاءُ دون مَرامِه عَدُوٌّ يَعيبُ البَدْرَ عند تمامِهِ
فإن يكُ أضْحى القوْلُ جَمّاً طيورُهُ فما تَسْتَوي عِقْبانُه بحَمامه

---

(1) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص86
(2) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص 86
(3) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص397
(4) المقسئنة: الذي قد انتهى في سنة فليس به ضعف كبر ولا قوة شباب. ابن منظور، **لسان العرب**، مادة قسن.
(5) السابغات : الدروع ، وعليك: اسم فعل بمعنى الزم، والصوارم والأسنة: السيوف والرماح والوغى: الحرب، وحنّ: أمر من الحنين، وحنة الرجل: امرأته: ، والكعاب: الفتاة، والتنوم: شجرة سوداء في البادية، والثغام: نبت له زهر أبيض. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص397
(6) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة جوز.

وإن يَكُ وادينا من الشِّعْرِ نَبْتُهُ فغيْرُ خفِيّ أثْلُهُ من ثَمامهِ

فلا تُلْزِمَنّي مِن مديحكَ مَنْطِقاً يُقَصّرُ فِكري عن بُلوغِ التِزامهِ[1]

يقول: إن عدوك مع ما فيه من العناد قد سلّم لك بالكمال، فهو يجتهد أن يدرك في المجد شأوك، وهيهات أن يدركه. والأبيات من التشبيه الضمنيّ، إذ يؤكد صحة إدعائه بأن العقاب لا تستوي في المكانة والمهابة مع الحمام الضعيف مع كثرة الطيور، وكذلك لا يستوي شجر الأثل القويّ مع الثمام الضعيف[2].

ويصف المعريّ غدير ماء ورده ليلاً، ومن شدة صفائه انعكست صورة الجوزاء على سطحه في وقت كان السماكان في جهة الغرب، يقول[3]:

ومَنْهَلٍ تَرِدُ الجَوْزاءُ غَمْرَتَه إذا السِّماكانِ شطّرَ المغْرِبِ اعترَضَا

وَرَدْتُهُ ونُجومُ اللّيْلِ وانِيَةٌ تشكو إلى الفجرِ أنْ لم تَطعَمِ الغَمَضَا[4]

7. بنات نعش:

وهي سبعة نجوم، أربعة منها نعش، وثلاث بنات[5]. ويوظف المعريّ هذه الكواكب في قصائده؛ مظهراً براعته الفائقة في علم الفلك، فيصف إبله العطشى وهي تسير في قفار خالية من المياه، فالحصول على المياه القليلة فيها بمنزلة ورود بنات نعش المستحيل، إذ يقول[6]:

وقد اثْبَتُّ رِجلي في رِكابِ جَعَلتُ مِن الزَّماعِ لَهُ بِدَادا

إذا أوطَأتُها قَدَمَي سُهَيل فلا سُقِيَت خُناصِرَةُ العِهادا

كأنّ ظِماءَهُنّ بناتُ نَعْشٍ يَرِدْنَ إ ذا وَرَدنا بِنا الثَمادا[7]

وفي مقام آخر يتغزل المعريّ بمحبوته زينب التي غادرته، فتركته ثابتاً كبنات نعش، وقلبه يخفق مثل قلب العقرب، وهو من منازل القمر كوكب أحمر ملتهب خفاق، ويوصف بالنحس، يقول:

بِتَيهاءَ قَفرٍ والمـــطِيّ كَأنَها قَطَا الحَزنِ قَد كَانَت فِرَاخا بُيُوضُهَا[8]

---

(1) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص97

(2) التبريزي، **شروح سقط الزند**، (477/2).

(3) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص132

(4) المنهل: غدير الماء، والغمر: مجتمع الماء، ووانية: ضعيفة، والغمض: النوم، فهو يبالغ في شدة طول الليل، ويكني له بالنجوم الضعيفة. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص132

(5) الفيروزآباديّ، **القاموس المحيط**، مصدر سابق، مادة نعش.

(6) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص115

(7) الزماع: العزم، والبداد: لبد السرج، وقدما سهيل: نجمان وراءه، خناصرة: بلدة بحلب ، والظماء: الإبل العطاش، والثماد: المياه القليلة. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص115

(8) الجاحظ، **الحيوان**، مصدر سابق، (303/5).

إن كُنتَ مُدعِياً مَوَدّةَ زَينَبِ فاسكُب دموعَكَ يا غَمامُ ونَسكُبِ
غادَرْتني كبَنَاتِ نَعْشٍ ثـابتاً وجَعَلْتِ قلبي مِثْلَ قلْبِ العَقْرَبِ[1]

8. الشعرى:

وهما العبور، والغميصاء أختا سهيل[2]. وهو نجم نيّر يقال له المرزم، يطلع بعد الجوزاء، وطلوعه في شدة الحر، تقول العرب: إذا طلعت الشعرى جعل صاحب النحل يرى، قال تعالى:

{وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى} [النجم: 49][3]

ويوظف المعريّ نجم الشعرى في مقام وصفه لإبله عندما أشرفت على رؤوس الجبال كأنها أنوف لها تنازعها الشعرى الحديث لعلوّ تلك الجبال الشاهقة، يقول[4]:

سَرَت بيَ ناجِـــياتُ مِياهَها تَــجِمّ اذا ماءُ الرّكائِبِ غارا
وباتَتْ تُراعي البدرَ وهْوَ كأنّه من الخَوْفِ لاقى بالكَمالِ سِرارا
تأخّرَ عن جيْشِ الصّباحِ لضُعْفِه فأوْثَقَـــهُ جيشُ الظّلامِ إسارا
ووافَتْ رِعاناً للرِّعانِ كأنّــما تُحادِثُها الشّعْرى العَبُورُ سِرَارا[5]

ويجد المعريّ في العلاقة الحميمة بين الشعرى اليمانية والشعرى الشآمية شبها لعلاقته مع خاله علي بن محمد بن سبيكة الذي سافر إلى المغرب، فإن المعريّ يتفاءل برؤية الشعرى اليمانية وطلوعها وشوقها إلى الشعرى الشامية كما هو حاله مع خاله، يقول:

فإن تَجِد الدّيَار كما أراد الغَريُب فما الصّديقُ ارادا
إذا الشِّعْرَى اليَمانِيَةُ استَنارَتْ فجَدِّدْ لـــــــلشّآمِيَةِ الوِدادا[6]

كما يجعل المعريّ لتوقد الشعرى ولهيبها شبها بنار أبي القاسم التنوخيّ حين أوقدها لإكرام ضيوفه، وجعلها في مقام تهنئة أبي القاسم التنوخيّ بمولوده محمد، وجعل الكون كله يتغنى فرحاً بقدومه، فإهلال المولود حين قدوم جعل القدم يضجون بالشكر والتكبير، وقومه مشهورون بالكرم وطلب المعالي، يقول:

---

(1) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص230
(2) الفيروزآباديّ، **القاموس المحيط**، مادة شعر.
(3) ابن منظور، **لسان العرب**: مادة شعر.
(4) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص123
(5) السرى : المشي ليلا، والركائب والناجيات: الإبل السريعة، تجم: تكثر، وغار: نقص، والسرار: آخر الشهر، والرعان الأولى: الإبل، والرعان الثانية: أنوف الجبال، واحدها رعن، أي صارت لأنوف الجبال أنوفاً، والمسارّة: الكلام الخفيّ. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص123
(6) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص155

متى نَزَلَ السّماكُ فحَل مَهداً تُغَذّيه بـــــدِرّتِها الثّدِيُ
أهَلّ بَصوتِه فأهَلّ شُكراً به الأقوامُ وافتَخَرَ النّديّ
بيومِ قُدومِه وَجَبت علينا النّ ذُور وسِيَق للبيتِ الهَديّ
كَنِيَّ محمدٍ: نَسَبي مُفِيدي وِدادَكَ والهَوَى أمرُ بَديّ[1]
كأن ضُيوَفُهم والنارُ تُذكَى لهم بَتَوقّد الشِّعرى صُلِـــيُّ
سَمَوا في الجاهليُةِ بالمعالي وزادُوا بَعدما بُعثِ النبيّ
فعاشَ مَحمدُ عُمرَ الثَريا فإن ثرى الكرام به ثريّ
وبُلّغَ فيه والِدُهُ أمـــــوراً عَذُوُّهُما بها شَرَقُ رَديّ[2]

9. السماك :

وهي سماكان: نجمان نيران، أحدهما السماك الأعزل، والآخر: الرامح، ويصف بعض العلويين بالخلود كالسماك في السماء، فهم لا يخافون الموت، يقول:

إذا أدركَ البَيْنُ السِّماكَ ظعَنْتُمُ وخُوضوا المَنايا والسِّماكُ مُقيمُ[3]

فجعل المعريّ السماكين خالدين، وهما يشبهان الممدوح في الرفعة والخلود وعدم الخوف من الموت، كما شبه مولودا لأبي القاسم التنوخيّ بالسّماك في جمال الوجه، مع أن العادة جرت بتشبيه الوجه بالشمس، وربما شبه المعريّ المولود بالسماك الرامح فيكون قد تنبأ بأن يكون هذا الغلام فارساً، يقول المعريّ[4]:

متى نَزَلَ السَّماكُ فَحل مَهداً تُغَذّيه بدِرّتِها، الثّديُّ[5]

ثالثاً -الغيوم، والأمطار:

احتفى المعريّ بالطبيعة المائية، ورسم لها لوحات فنية رائعة متعددة الأشكال والألوان، وكانت له معها حكايات ماتعة: هي حكايات الريشة الملهمة، والحس الموهوب، والمشهد المطرز، والمعنى الذائب نغما في إطار اللوحة، وقد مال الشاعر إلى هذه الطبيعة، وتفاعل معها، ورسمها بدقة عالية، فوصف بردى، والفرات، وخلع عليهما التشبيهات البديعة، والألوان المتعددة، فماؤهما في نقائه كالفضة المذابة، والنخل يحفّهما،

(1) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق ص258
(2) شبه المولود بالسماك: وهو كوكب نجمان نيران أحدهما الأعزل والآخر الرامح، والنديّ: المجلس، ونسبي مفيدي: أي هما من قبيلة التنوخي، وبديّ: عجيب، وصليّ: مصطلون، وثري: كثير. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص258.
(3) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص134
(4) المعري. **سقط الزند**، مصدر سابق، ص258
(5) المهد: السرير، وتغذيه: ترضعه، الدّرة: المدرار، والثُدي: جمع ثدي. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص258.

والقمريات تغني وتهتف، أو تبكي فيرتجع الصدى في جنباته ويظهر شغف المعريّ الكبير بالطبيعة المائية في وصفه البارع للسحاب الماطر[1].

ولا شك أن المطر والماء من أهم عناصر الطبيعة؛ إذ ترتبط به حياة الكائنات، قال الله تعالى: { وَجَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ } {الآية الأنبياء:30}، وكان لزاماً على الشعراء قديماً وحديثاً أن يهتموا بهذا العنصر الحيويّ، والغيوم والأمطار لها دلالات عند الشعراء، وبخاصة المعريّ ليوظفها في شعره للتعبير عن معان جديدة في المدح، والحكمة، والفخر، والتعبير عن مشاعره وهمومه، فالمعريّ كعادته في استخدام التشبيهات والمقارنات في مدحه، فهو يرى أن السماء إذا سقت الأرض دلواً من ماء فالممدوح أكرم من السماء؛ لأنه سقى من دم أعدائه دلاء كثيرة،وذكر السماء من المجاز المرسل، وعلاقته السببية، يقول[2]

إذا سقَتِ السماءُ الأرْضَ سَجْلاً اها من صَوارِمِهِ سِجالا

ولعل المعريّ أخذ المعنى من قول المتنبي في قصيدة الحدث الحمراء:

هَلِ الحَدَثُ الحَمراءُ تَعرِفُ لَونَها وَتَعلَمُ أيُّ الساقِيَينِ الغَمائِمُ
سَقَتها الغَمامُ الغُرُّ قَبلَ نُزولِهِ فَلَمّا دَنا مِنها سَقَتها الجَماجِمُ[3]

ويوظف المعريّ الغيم والمطر في قصائد المدح كثيرا، ويبالغ فيها، ليجعل البلاد تتكل على عطاء الممدوح وبّره في السنين التي لا ينزل فيها المطر، فيقول :

إذا ما الغَيْمُ لم يُمْطِرْ بِلاداً فإنّ له على يدِكَ اتّكالا[4]

وهذه المبالغة غير مقبولة في مجال العقيدة الإسلامية؛ لأن الاتكال لا يكون إلا على الله وحده.

وفي قصيدة أخرى يستسقي المعريّ السحاب والبرق الذي يسبق نزول المطر أن يوقظا أشجار العضاة والطلح الذابل، فلعلّ بني مطر يسهرون معه، فهم يسكنون في حيّه جانب الوادي، وهذا السحاب الذي استسقاه المعريّ كان براقاً لا يهدأ، وهو يستثارون لمشهد البرق، فيضطرون للسهر، ويترقبون نزول المطر لماهم فيه من الجدب، يقول[5]:

يا ساهِرَ البَرْقِ أيقِظْ راقِدَ السَّمُرِ لعَلّ بالجِزْعِ أعواناً على السّهَرِ

---

(1) خليل شرف الدين، **الموسوعة الأدبية الميسرة**، مكتبة الهلال، بيروت، 1996م، ص98.
(2) السجل: الدلو الممتلئة، والصوارم: جمع صارم، وهي السيوف، والسجالا: جمع سَجل، وهي الدلو. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص٢٦.
(3) المتنبي، **ديوان المتنبي**، مصدر سابق، ص375.
(4) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص٣١.
(5) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص36

وإنْ بخِلْتَ عن الأحياء كلّـــهِمِ فاسْقِ المَواطِرَ حَيّاً من بَني مَطَرِ[1]

ويبالغ المعريّ في مدحه كعادته؛ إذ جعل ممدوحه يقتل القحط، فما يبدو في آفاق السماء من اللون الأحمر ما هو إلا دم المحل والقحط، وذلك أن السماء تحمر آفاقها في السنين المجدبة، إذ يقول[2]:

القاتِلُ المحْل إذ تبْدو السماءُ لنا كأنها من نَجيعِ الجَدْبِ في أزُرِ[3]

ولما جعل ممدوحه يقسم الأرزاق بين الناس لا يفرق بين سيد أو وضيع، تماماً كالمطر الذي لا يفرق في نزوله على شجر له ساق، أو ما لا ساق له، يقول المعريّ :

وقاسِمُ الجُودِ في عالٍ ومنخفِضٍ كقِسْمةِ الغيثِ بين النّجم والشَجَرِ[4]

والنجم: النبات الذي لا ساق له(الطحالب)، قال تعالى: { وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدانِ } {الرحمن:6}.

وفي مجال الدعاء على أعدائه أن لا ينزل عليهم غيث، ولا يمرّ بها سحاب ماطر، دون كان ما ينزل عليهم من الموت الزؤام فاجعله عليهم كالمطر، يقول المعريّ[5]:

فـــيا رَبّ لا يَمْرُرْ بدارٍ يحُلّها مـــن المُزْنِ إلا خالِياتُ جَهامهِ

وإن كان غَيْثٌ فاعْدُهُ عن بلادهِ وإن كان موْتٌ فاسْقِها من زُؤامهِ[6]

ومن قصائد الفخر للمعريّ داليته الرائعة؛ إذ يعبّر فيها عن إنسانيته، وصفة الإيثار عنده بأن لو خيّر أن يكون خالداً وحده من دون الناس لأبى، وكذلك لا يريد أن تهطل الأمطار والسحب بأرضه وحده إذا لم تعمّ البلاد كلها، يقول :

ولو أنّي حُبِيتُ الخُلْدَ فَرْداً لمَا أحبَبْتُ بالخُلْدِ انفِرادا

فلا هَطَلَتْ عَلَيّ ولا بأرْضي سَحائبُ ليسَ تنْتَظِمُ البِلادا[7]

فهو يقول: لا أرغب في الاستئثار بشيء دون إخواني حتى ولو كان جنة الخلد، وإذا لم يعمّ المطر البلاد فلا سقيته[8].

---

(1) السمر: شجر الطلح، جمع سمرة، والجزع: جانب الوادي، والمواطر: السحب. التبريزيّ، **شروح سقط الزند**، (١/ ١١٥).
(2) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق ، ص39
(3) المحل: القحط، والنجيع: الدم، والأزر: جمع إزار، وهو الثوب. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص٣٩.
(4) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص٣٩.
(5) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق ، ص104
(6) المزن: المطر، وجهامه: السحاب الذي أراق ما فيه من الماء، والزؤام: الموت السريع. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص١٠٤.
(7) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص114
(8) حبيت: بمعنى أعطيت، وهطل: بمعنى انسكب، وتنتظم: تعمّ المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص١٤٤.

ومن أبيات الحكمة الجميلة للمعريّ ما يرويه وينظم شعراً خالداً للبشرية قصيدته في وداع خاله ابن سبيكة مستمداً من عقيدته الإسلامية هذه المعاني الجميلة، فالرزق والأجل محدودان، وإنه لا ينفع فيهما الحرص مهما تعب الإنسان وشقي، وأن القناعة كنز لا يفنى، وأن السحاب لو كان له عقل يميز به لما سقى الشوك مع النخل؛ لأن الشوك ضارّ، على عكس النخل، يقول[1] :

وليس يُزادُ في رِزْقٍ حَريصٌ ولو رَكِبَ العَواصِفَ كي يُزادا
فما يَنْفَكُّ ذا مـــالٍ عَتِيدٍ فتىً جَـــعَلَ القُنوعَ له عَتادا
ولو أنّ السّحابَ هَمَى بعَقْلٍ لَمَا أرْوى مع النّخْلِ القَتادا[2]

ويجعل المعريّ المزن الذي يحمل الخير يشاركه الحزن على وفاة والده (عبدالله التنوخيّ)، وحوّله من مزن ضاحك ذي برق لامع إلى غيم أسود مكفهر؛ إذ يقول:

نَقمتُ الرّضَى حتى على ضاحكِ المُزْنِ فلا جادَني إلا عَبوسٌ منَ الدَّجنِ
فَلَيتَ فَمي إن شامَ سِنّي تبَسُّمي فمُ الطّعنةِ النّجْلاءِ تَدْمى بلا سِنِّ[3]

يقول المعريّ: كرهت الرضى على كل ضاحك حتى على المزن البارق لعظم رزيتي، ولا أرضى إلا بالسحاب العابس المكفهرّ، وإذا أظهر تبسمي سنّي بعد رزية والدي رددت أن يكون فمي مثل فم الطعنة الدامية[4].

وحتى في مواطن الغزل لا ينسى المعريّ الغمام ليشاركه أحزانه ودموعه التي يسكبها على فراق حبيبته زينب، فهناك شبه بين بعض الغمام والسحب التي يتدلى منها الماء والعيون السود التي لها أهداب تبكي، يقول[5]:

إنْ كنتَ مُدّعِيـاً مَوَدّةَ زَيْنَبِ فاسْكُبْ دموعَكَ يا غَمامُ ونَسْكُبِ
فمِنَ الغَمائمِ لو علِمْتَ غَمامةٌ سَوداءُ هُدْباها نَظيرُ الهَيْدَبِ[6]

وفي مقام الرثاء-أيضاً- يدعو المعريّ لقبر والده بالسقيا، والرحمة من السحب والغيوم المطيرة والثرة كالبحار؛ لأنه لا يرضى بقطرات ماء من بعض الغيوم، يقول[7]:

---

(1) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق ، ص160
(2) العتيد: الجسيم، همى: هطل، القتاد: الشوك. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص ١٦٠.
(3) نقمت: بمعنى كرهت، وضاحك المزن: السحاب ذو الماء، واحده مزنة، والضاحك من السحاب كالعارض إذا برق، وجادني: الإكثار، والدجن: ظل الغيم، المعريّ. **سقط الزند**، مصدر سابق، ص181
(4) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص١٨١.
(5) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق ، ص230
(6) هدب العيون: شعر الجفون، والهيدب مايتدلى من السحاب إذا تراكم بعضه فوق بعض، وأراد بالغمامة السوداء: السواد في العين. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص٢٣٠ .
(7) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق ، ص280

سقَتْكِ الـــغادياتُ فما جَهَامٌ أطَـــــلّ على محَلّكِ بالجَهامِ

وقَطْرٌ كالبِحارِ فلسْتُ أرْضَى بقَطْرٍ صابَ مِن خَلَلِ الغَمامِ[1]

رابعاً- البرق، والرعد:

البرق والرعد يلهمان الشعراء الخوف، وأحيانا الأمل والبشرى، كذلك يدفعان الشعراء إلى السهر وانتظار المحبوبة، والمعريّ من الشعراء الذين اهتموا بهذين العنصرين من الطبيعة، ووظفهما في شعره أجمل توظيف، فقد جعل البرق مشاركاً له في همومه وأحزانه من كثرة السفر والترحال من بلدة المعرة إلى بغداد، يقول :

سَرَى بَرْقُ المَعَرّةِ بَعدَ وَهْنٍ فباتَ بَرامَةٍ يَصِفُ الكَلالا

شَجَا رَكْباً وأفْراساً وإبْـــلاً وزاد فكاد أنْ يَشْجو الرّحالا[2]

يقول المعريّ: بعد أن صرت برامة لمع برق المعرة في الشام منتصف الليل، فوصل إلينا البرق ضعيفا لبعد المسافة، فإذا كان البرق ضعيفاً فكيف بنا نحن وقد قطعنا هذه المسافة التي قطعها البرق، ولما لمع البرق ذكّر الركب والخيل والإبل بأوطانهم فأحزنهم، ويبالغ المعريّ فيجعل البرق يحزن حتى الرحال التي لا تحسّ شاركته هذا الحزن[3].

والبرق عند المعريّ يوظفّه ليلاً ليعبّر عن معاناته وهمومه وأشجانه، إذ يشبه البرق بتتابع اللمعان برجل يريد النوم فوجد جفنه قريحاً فلم يقدر على إطباق عينيه، ولم يستطع أن يبقي عينيه مفتوحتين، لذا يبقى ساهراً باستمرار، كما يشبه البرق عندما يشتد فتصبغ حمرة لمعانه وسط الليل بزنجيّ جريح، ثم يصل إلى موضوعه الرئيس وهو الوجد والشوق إلى وطنه وأحبائه؛ لكثرة أسفاره ومعاناته، يقول[4] :

ألاحَ وقد رأى بَرْقاً مُـلِيحـاً سَرَى فأتَى الحِمى نِضْواً طَليحا

كما أغْضَى الفَتى ليَذوقَ غُمْضاً فصادَفَ جَفْنُه جَفْناً قَريحا

إذا ما اهْتَاجَ أحمَرَ مُستَطِيراً حَسِبْتَ اللّيلَ زَنْجيّاً جرِيحـا

أقُولُ لصـاحِبي إذْ هامَ وَجْداً ببَرْقٍ ليسَ يُثْبِتُه نُزُوحـا

وهاجَتْهُ الجـَنُوبُ لوَصْلِ حَيّ أقامَ ويَمّموا داراً طَرُوحـا

سفاه لوعة النـــجدي لمـــا تنسم من حيال الشام ريحـا

---

(1) العاديات: السحب المطيرة، الجهام: الذي اهريق ماؤه، يقول: كل سحابة تمر بقبرك فستسقيه، فإذا كانت جهاما- أي غير ممطرة- فستصبح ممطرة. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص٢٨٩ .

(2) السرى: المشي ليلاً، والمعرة: بلد المعريّ، والوهن: طائفة من الليل، ورامة: جبل لبني دارم، أو قرى بيت المقدس، والكلال: الضعف، وشجا: أحزن وأثار الهموم. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق ، 28

(3) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص٢٨.

(4) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق ، ص57-58

وَغَيٌّ لَمْحُ عينـــكَ شَطّرَ نجْدٍ إذا ما آنسَتْ بَرْقاً لَمُوحا[1]

يقول لصاحبه: إنه من الغيّ والسفه إذا كنت نجدياً ورأيت البرق اللائح من الشام لوعتك لأجله.

ودائماً يثير البرق مشاعر المعريّ ليرسم منه لوحاته الفنية الرائعة ومشاهد الطبيعة الخلابة، فيشبه البرق في لمعانه وسط السحاب الأسود بالسيوف المهزوزة المسلولة وسط المعركة وغبارها، يقول[2] :

أهاجَكَ البرْقُ بذاتِ الأمْعَزِ بينَ الصَّراةِ والفراتِ يَجْتَزي

مِثْلَ السّيوفِ هَزّهُنّ عارِضٌ والسّيفُ لا يَرُوعُ إنْ لم يُهْزَزِ[3]

وإبل المعريّ تتأثر بمشاهدة البرق، فتنشط وتغذّ السير بعد التعب حتى تصل إلى هدفها، يقول[4]:

أطَلّتْ على أرجاء أزرَقَ مُتْرَعٍ تَنُوشُ بَريراً حوْلَه وبَهارا

يَمِدْنَ إذا أسْقِينَ منه كأنما شَرِبنَ به قَبْلَ الضّياء عُقارا

إذا خفقَ البرْقُ الحِجازِيُّ أعْرَضَتْ وتَرْنو إذا برْقُ العِراقِ أنارا[5]

وأحياناً يكون البرق البرق اللامع بلا مطر كالسراب، أو كالخداع ، فيضرب به المثل لمن تؤهم شيئاً مفيداً ونافعاً وهو غير ذلك، والمعريّ يوظف هذا المعنى في شعره، فهو ينصح أن لا يغتر الإنسان بكل ما يرى أو يلمع، ولا يصدق كل ما يسمع، فيقول[6] :

لا يَخْلُبَنَّكَ بارِقٌ مُتَلَمِّعٌ إنّ البُروقَ تَخونُ في تَلْماعِهـــا

تُلْفى لها ثِقَةُ الحَمائمِ أنها في مَرْبَعٍ فتَهيجُ في تَسْجاعها[7]

خامساً- الرياح، والنسيم:

الرياح والنسيم والهواء لها أثر كبير في حياة الكائنات بعامة، والإنسان بخاصة، فهي تسوق السحب والغيوم، وتلطف الجو نسبيا، وهي تعمل على تلقيح الأزهار، وتسوق السفن، وتحمل

---

(1) ألاح: بمعنى أظهر الإشفاق والجزع، وألاح البرق: لمع، والحمى: موضع، والنضو: الذي أضعفه السفر، والطليح: المُتعَب، واهتاج: أي لمع البرق، ومستطيراً: منتشراً بكثافة، وهام: عشق. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص ٥٧ – ٥٨.

(2) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق ، ص124

(3) الأمعز: الحجارة الصلبة، والصراة: موضع بين دجلة والفرات، ويجتزي: اذا رعى النبات. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص٨٨.

(4) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق ، ص124

(5) الأزرق المترع: الغدير الملآن، تنوش: تتناول، البرير: ثمر الأراك، والبهار: نبات ربيعيّ أصفر طيب الرائحة، ويمدنَ: يملنَ كالسكران، والعُقار: الخمر، وترنو: تديم النظر. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص ١٢٤.

(6) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق ، ص390

(7) يخلب البرق: البرق الذي لا غيث فيه، كأن يومض حتى تطمع في مطره فيخلفك، والبروق: جمع البرق، والتلماع: الوميض، وتلفى: تجد، والمَربَع: المكان الخصيب، فتهيج في تسجاعها: تزداد فيها الحنين فتغني. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص390.

الطائرات، والطيور، وقد تدمر المنازل، وتقتل البشر، وكانت سببا في نصر المسلمين يوم الأحزاب، كما دمّر الله بها قوم عاد، وثمود، وأصحاب مدين.

أما من الناحية الشعرية الفنية فهي تبعث في نفوس الشعراء الحنين والشجون إلى الأوطان، والأحبة، فيحملونها –أحيانا- تحاياهم الرقيقة، ومشاعرهم الفياضة، وسلاماتهم إلى الأحبة والأوطان، فهذا ابن زيدون الأندلسيّ يخاطب نسيم الصباح أن يبلغ حبيبته ولادة بنت المستكفي تحياته، فيقول:

فيا نَسيمَ الصَبا بَلِّغ تَحِيَّتَنا مَن لَو عَلى البُعدِ حَيّا كانَ يُحَيّينا[1]

أما المعريّ فيوظف الريح والنسيم لنقل مشاعره وحنينه إلى وطنه وأحبائه، واحيانا يجعله مطية يركبها ليدل على شجاعته وفخره بنفسه، وأحيانا يجعلها عواصف هوجاء تدمّر المنازل والبساتين، وأحيانا يجعلها تقاتل معه، وتثني عليه، إلى غير ذلك من المعاني.

ففي مجال المدح يجعل المعريّ الرياح طوع بنان الممدوح، تنفذ أوامره، فهو قويّ شجاع، تخافه الاعادي، وكثير من الكائنات، ومنها: الريح، والشمس، والخيل؛ إذ يقول :

ولكِنْ بالعَواصِـــــم من عَدِيّ أمِيرٌ لا يُكَلِّفُنا السّؤالا
إذا خَفَقَتْ لمَـــــغْرِبِها الثّريّا تَوَقّتْ من أسِنّتِهِ اغْتِيالا
ولو شمْسُ الضّحى قَدَرَتْ لعادتْ مُشَرِّقَةً إذا رأتِ الزّوالا
ولو أنّ الرّياحَ تَهُـــبّ غَرْباً وقُلْتَ لها هَلا هَبّتْ شِمالا[2]

وهلا: كلمة زجر وحث.[3] والرياح لها أسماء، وأنواع، وحوادث، فمنها ريح الجنوب، والتي تحمل الرسائل، فيضمنها المعريّ في قصائده؛ إذ يقول[4] :

وهاجَتْهُ الجَنُوبُ لوَصْلِ حَيّ أقـــامَ ويَمّموا داراً طَرُوحا[5]
سِفَاهٌ لَوْعَةُ النّجْدِيّ لمّا تَنَسّمَ من حِيالِ الشأمِ رِيحا

يقول: إذا كنت نجديا وتنسمت الريح على جبال الشام فمن السفه لوعتك لأجلها[6].

وفي مجال المدح أيضا يجعل المعريّ أحد الأمراء يركب العواصف مع الرياح، ويقصد بها الخيل، فهو يرى بأن أفراس الممدوح بمنزلة الرياح العاصفة، يقول :

أَلِفْتَ الحَرْبَ حتى قال قَوْمٌ أمَا لصَلاحِ بينكُما فسادُ

---

(1) ابن زيدون، **ديوان ابن زيدون**، بيروت: دار القلم، شرح عمر فاروق الطباع، ب،ت، ص227
(2) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق ، ص31
(3) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص٣١.
(4) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق ، ص57
(5) هاج: بمعنى أحزن، والجنوب: ريح تخالف الشمال، مهبها من مطلع سهيل إلى مطلع الثريا. الفيروزابادي، **القاموس المحيط:** ماده هبب.
(6) التبريزي، **شروح سقط الزند**، (234/1).

تموتُ الدّرْعُ دونَكَ حَتْفَ أنْفٍ ويَبْلى فوْقَ عاتِقِكَ النّجادُ

ركِبْتَ العاصِفاتِ فما تُجارَى وسُدْتَ العالَمِينَ فما تُسادُ[1]

المعريّ مغرم بالمبالغة، وألوان البديع من: جناس، وطباق، مثل: ساد وتساد .

ويجسّم المعريّ الريح، فيجعلها إنسانا تكتم أنفاسها وصوتها من هول الصحراء المقفرة، وهي سمة مميزة لشعره، يقول :

بخَرْقٍ يُطيلُ الجُنحُ فيه سُجودَه وللأرضِ زِيّ الراهِبِ المُتَعَبِّدِ

ولــو نَشَدَتْ نَعْشاً هناكَ بَناتُه لماتتْ ولم تَسْمَعْ لَـــه صَوْتَ مُنشِدِ

وتكْتُمُ فيهِ العاصِفاتُ نُفُوسَها فلو عَصَفَتْ بالنّبْتِ لــم يَتَأوّدِ

ولم يَثْبُتِ القُطْبانِ فيهِ تحَيّراً وما تلكَ إلاّ وقْفَةٌ عنْ تَبَلّدِ[2]

الخرق: الأرض الواسعة التي تنخرق فيها الريح، الجنح: الليل، وقوله للأرض زيّ الراهب المتعبد: يعني اسودادها من شدة الظلام، فهو يشبه الليل الأسود في هذه الصحراء بالساجد الذي يطيل سجوده، وكأن الأرض لبست زيّ الرهبان الأسود، ولشدة اتساع هذه الصحراء فإن نجوم بنات نعش لو ضلت فيها لماتت قبل أن يجدها أحد، وأن هذه الأرض الصحراوية المهولة لا يقدم فيها أحد على رفع صوته ترفقا على نفسه، فإذا مرت الرياح العاصفة خفضت أصواتها[3].

ويجعل المعريّ الريح العظيمة المهولة تخفق وتهبّ في مدح شعره كلما هبّت؛ لعظم شاعريته وفحولته التي تغيظ أعداءه؛ إذ يقول :

وَرَائي أمامٌ والأمامُ وَراءُ إذا أنا لم تُكْبِرْنيَ الكُبَرَاءُ

بأيّ لِسانٍ ذامَني مُتَجَاهِلٌ علَيّ وخَفْقُ الرّيحِ فيّ ثَناءُ[4]

فهو يقول: كيف استطاع الجاهل أن يعيبني وكل شي يمجدني ويعترف لي بالفضل حتى الريح العاصفة، و(ذام، وثناء) طباق بديعيّ[5].

وفي قصيدة يمدح فيها أبا القاسم علي بن الحسين بن جلبات يجعل المعريّ النسيم يحمل أشواق الممدوح، وغرامه وحنينه إلى وطنه كعادة الشعراء ، يقول [6]:

وكم بلــد فارقته متلهفا عليك غداة البين قلب همامه

يكاد نسيم الريح من نحو أرضه يخبّرنا عن وجده وغرامه[7]

---

(1) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص68.

(2) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص79

(3) - التبريزي، **شروح سقط الزند**، (377/1).

(4) - وذام: بمعنى عاب، المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص83

(5) - المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص38.

(6) - المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق ، ص99

(7) - والبين: الرحيل، والهمام: الملك، والوجد والغرام:العشق والحنين. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص99.

وأحيانا يشبه المعريّ خيله السريعة في المعركة بالريح الشديدة؛ لسرعتها، وهذا معنى مشهور عند الشعراء لتقريب صفة السرعة عند الخيل التي تشبه أحيانا بالبرق، فيقول:

وقد أغْتَدي والليلُ يَبكي تأسُّفاً على نفْسِهِ والنَّجْمُ في الغرْبِ مائل
بِريحٍ أعيرَتْ حافِراً من زَبَرْجَدٍ لها التّبرُ جِسْمٌ واللّجَيْنُ خَلاخل
كأنّ الصَّبا ألقَتْ إليَّ عِنانَها تَخُبّ بسَرْجي مَرّةً وتُناقِل[1]

فالمعريّ متأثر في هذا المقطع الشعريّ بامرئ القيس في وصفه رحلة الصيد على حصان سريع ضخم، يقول امرؤ القيس :

وَقَد أغتَدي وَالطَيرُ في وُكُناتِها بِمُنجـــــرِدٍ قَيدِ الأوابِدِ هَيكَلِ
مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقبِلٍ مُدبِرٍ مَعاً كَجُلمودِ صَخرٍ حَطّهُ السَيلُ مِن عَلِ[2]

والمعريّ يغدو صباحا للصيد قبل طلوع الشمس على فرس تسابق الريح سرعة، لها حوافر من زبرجد أخضر صلب، وهذا الحصان أشقر، محجل القوائم والخلاخل، وكأن نسيم الصبا السريعة سلمت المعريّ قيادها، فأخذت تثقل ميامنها جميعا مرة والمياسرة مرة أخرى[3].

وفي مقام المدح يضمّن المعريّ صوت الريح؛ ليبالغ في وصف الممدوح بشدة الكرم على ما يعرفه وما لا يعرفه؛ لحبه إغاثة الملهوفين، وتنفيس كرب المكروبين، وهي صفة إسلامية حميدة، يحبها الله جل جلاله، قال تعالى" **{** وَيُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً **}** **{الآية** الإنسان:8**}**، يقول المعريّ مادحا[4] :

ومهما يكن يحسبْه حشاً على الندى فيغدو على أمواله بالـــــغوائل
فما ناح قمريّ ولا هب عاصف من الريح إلا خاله صوت سائل[5]

ويصف المعريّ حاله في بغداد متنعما، ومتمتعا بمناظرها الجميلة وهوائها العليل، مستخدما الكنايات وألوان البديع؛ ليرسم صورة فنية جميلة معبرة ، يقول[6]:

بمَحِلّةِ الفُقَهاءِ لا يَعْشُو الفَتى ناري ولا تُنْضي المَطِيَّ عَزائمي
ولقد أبِيتُ مع الوُحوشِ ببَلْدَةٍ بيْنَ النَّعائمِ في نَسيمِ نَعـــائِم[7]

---

(1) - المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق ، ص108-109
2 - التبريزي، **شرح المعلقات**، مصدر سابق، ص40-41
(3) - المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص109.
(4) - المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق ، ص219
(5) - والغوائل: المهالك، والقمريّ: الحمام، وخاله: يظنه ويحسبه متسولا. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص219.
(6) - المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق ، ص282
(7) - ومحلة الفقهاء: بغداد، والنعائم الأولى: جمع نعامة، والثانية: جمع نعامى، وهي ريح الجنوب. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص282.

ويستمر في وصف بغداد بالجمال، والروائح العطرة الزكية، وأنها بلد الإسلام لكل سنيّ وشيعيّ، يقول[1]:

وهل يوجِسُ الكَرْخيَّ والدارُ غَرْبَةٌ ... من الشأمِ حِسُّ الراعِدِ المُتَرَجِّع

سلامٌ هوَ الإسـلامُ زارَ بلادَكمْ ... ففاضَ علـى السّنّيّ والمُتَشَيِّع

يفوحُ إذا ما الرّيحُ هَبّ نسِيمُها ... شآمِيَةً كالـعَنْبَرِ المُتَضَـــوِّع[2]

ب-الطبيعة الأرضية (الجامدة):

أولا-فصول السنة

اهتم الشعراء قديما وحديثا بفصول السنة التي تمثل الطبيعة الأرضية؛ إذ يحلّ في كل فصل مواسم، وتغير في الطقس، وينعكس ذلك على حياة البشر صيفاً، وشتاءً، وربيعا، وخريفا، والمعريّ من الشعراء الذين وظفوا فصول السنة في قصائد (**سقط الزند**)، وبخاصة فصل الربيع الجميل بأزهاره، وطقسه المعتدل، ومياهه العذبة، ولوحة الخير التي تعقب فصل الشتاء الماطر، حيث اللون الأخضر، والألوان الزاهية الجذابة.

والربيع عند الشعراء موسم خير وجمال، فيستبشرون بقدومه، فيهنئون به الممدوحين، والمعريّ يجعل فصل الربيع الجميل الخيّر عبدا مملوكا لأحد الأمراء في حفلة زواجه، فقد زيّن الربيع الأرض بالحرير الأخضر، ما جعل الارض تختال بالألوان الزاهية من الورود، كأنها لؤلؤ منثور، وأصبحت الروابي والجبال ترقصان طربا، يقول المعريّ :

إبْقَ في نِعْمَةٍ بَقاءَ الدّهورِ ... نافِذَ الأمرِ في جميعِ الأمورِ

قد أتاكَ الرّبيعُ يَفعلُ ما تـــــــأ ... مُرُهُ فِعْلَ عبدكَ المأمورِ

وكسا الأرضَ خِدْمَةً لكَ يا مَـوْلاهُ ... دونَ المُلوكِ خُضْرَ الحريرِ

فهْيَ تَخْتَالُ في زَبَرْجَدةٍ خَضْـراءَ ... تُغْدى بلُؤْلُؤٍ مَنْثورِ

وغدَتْ كلُّ رَبْوَةٍ تشتهي الرّقْـصَ ... بثَوْبٍ من النّباتِ قَصيرِ

ظَلّ للنّاس يوْمَ عَقْدِك هذا الأمـرَ ... عِيدٌ سمّوه عِيدَ السرورِ[3]

ويستخدم المعريّ فصل الربيع الجميل في مقام المدح كثيرا، كما يستخدم المبالغة على عادته ليصل إلى منتهى الكرم، أو الشجاعة، وغيرها من الصفات الحميدة، إذ يمدح البدو في صحرائهم المقفرة أنهم أهل جود وكرم، حتى أن فصل الربيع عندهم يصبح جمادا؛ لكثرة ما ينفقون، ولا يبقون شيئا لهم للفصول الأخرى، يقول :

---

(1) - والقيظ: شدة الحرّ وقت الظهيرة، وجمارا: جمع جمر، والمقيل والمضجع: النوم، والكرخ: بغداد، والمتضوع: الرائحة الزكية. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق ، ص291

(2) - المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص291.

(3) - المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص55.

تذكَّرْتُ البِداوَةَ في أناسٍ تَخالُ رَبيعَهُمْ سَنَةً جَمادا
يَصيدونَ الفَوَارِسَ كلَّ يومٍ كما تَتَصَيّدُ الأسْدُ النِّقادا
طَلَعْتُ عليهِمْ واليوْمُ طِفْلٌ كأنّ على مَشارِقِهِ جِسادا
إذا نَزَلَ الضّيوفُ ولم يُريحُوا كرامَ سَوامِهِمْ عَقَروا الجِيادا[1]

السنة الجماد: التي لا مطر فيها، يريد أنهم أهل كرم، ويتوسعون في قرى الأضياف، فهم دائما في إقلال[2].

ويأخذ المعريّ اللون الأخضر من فصل الربيع ليجعله لونا للسيف الذي يوصف بالخضرة، يقول:

أقَلَّ عَمُودُهُ شَهْرَيْ رَبيعٍ وقَيْظاً للمَنِيةِ في احْتِدَامِ[3]

فالسيف متنه أخضر كأنه شهرا الربيع، وهو كالصيف في حرارته عند اشتداد المعركة، ويرمز أحيانا المعري للمطر بالربيع؛ لأنهما مصدر الخير؛ إذ يقول[4] :

أجارَتَنَا أنْ صابَ دارَةَ قوْمِنا رَبِيعٌ فأضْحى من مَنازِلنا السَّنْط[5]

ثانياً-النباتات

اهتم أبو العلاء المعريّ بالنبات والأشجار في ديوانه(**سقط الزند**)؛ نظرا لأثرهما البالغ في حياة الإنسان والحيوان، فذكر أسماء بعض النباتات التي تكثر في الصحراء ذات الرائحة الزكية، والتي يتغذى منها الإنسان أوالحيوان، أو يجعلها حطبا لناره فهو - مثلا- يصف إبله كيف أنها وردت غديرا صافيا من الماء، وأخذت في طريقها تلتهم نبات(البرير): وهو ثمر الأراك، (والبهار): وهو نبت أصفر طيب الرائحة، يظهر في فصل الربيع؛ إذ يقول[6]:

أطَلّتْ على أرجاء أزرَقَ مُتْرَعٍ تَنُوشُ بَريراً حوْلَه وبَهارا[7]

ويهنئ المعريّ بعض الأمراء بعرس له، فيشبه عروسه بالثريا وما عليها من القلائد بنجم المريخ، والجوزاء، والمرزم، وما على يديها من الخضاب بنبات العندم الأحمر، فكأنها روضة حسناء، يضحك ويزهو فيها شجر الآس الطويل، والخرّم: وهو نبات كاللوبيا بنفسجيّ، يقول:

وكيف لا يَطّمَعُ في مَغْنَمٍ مَن الثرَيّا بعضُ ما يَغْنَم
وكيف يَخفى نَفَلٌ بعضُه ال مِرّيخُ والجوْزاءُ والمِرْزَمُ

---

(1) - المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق ، ص116
(2) - المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص116.
(3) - المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص 279.
(4) - المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص300
(5) - صاب: بمعنى نزل، وأراد بالربيع مطره. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص300.
(6) - المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق ، ص124
(7) - والأزرق: الغدير، والمترع: الملآن، وتنوش: تتناول. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص124.

ما شَفَقُ التغْريب من بَعده إلا مَلابٌ طابَ أو عَنْدَمُ

كأنها مِن حُسْنِها رَوْضَةٌ يَضْحَكُ فيها الآسُ والخُرّمُ[1]

ويصف المعريّ مقامه في بغداد الجميلة التي ينتشر في أرجائها نبات الخزامى، الذي كانت تشمه ابله مع رائحة الخزائم التي تربط في أنف البعير؛ فتثير اللوعة في قلبه، يقول[2]:

ولقد أبِيتُ مع الوُحوشِ ببَلْدَةٍ بيْنَ النَّعائمِ في نَسيمِ نَعائِم

وتَسوفُ رائحةُ الخُزامى أيْنُقي فتَقُودُها ذَلْلاً بِغيرِ خَزائم[3]

ثالثاً. الأشجار

ويذكر المعريّ أشجار السنط التي تنبت في الصعيد، وهي حطبهم، وهي أجود حطب يستوقد به الناس، ويزعمون أنه أكثره نارا وأقله رمادا[4]، ويتمنى نزول المطر لينبت هذا الشجر، يقول:

كتابِعِ أَمٍّ تَبْتَغي تَبَعاً لـــــه وما ضَاعَها نَجْلٌ سواه ولا سِبْط

إذا شَرِبَ الأرْفِيَّ مالَ به الكَرى إلـــــى سِدْرَةٍ أفْنانُها فَوْقَهُ تَغْطو

أجارَتَنَا أنْ صابَ دارَةَ قوْمِـــــنا رَبِيعٌ فأضْحى من مَنازِلنا السَّنْط[5]

ويشبه المعريّ إبله بالنخيل التي تحمل عناقيد التمر، فهي سمينة، فلما كثر سفرها هزلت، وأصبحت نحيلة كعرجون النخل اليابس، يقول[6]:

وكانت كالنخِيل فظَلّ كلُ ومُشبِهُة من الضُّمرِ الإهان[7]

ويشبه الشاعر المعريّ شعره الأصيل بشجر الأثل الصحراويّ ذي الأغصان القوية، على عكس شعر غيره الضعيف الهزيل الذي يشبه نبت الثمام، يقول :

وإن يَكُ وادينا من الشِّعر نَبتُهُ فغيرُ خفِيّ أثلُهُ من ثَمامه[8]

رابعا. الأزهار :

والمعريّ من الشعراء الذين وظفوا الأزهار الجميلة في شعرهم، وبخاصة في مجال الحكمة، ففي مجال النصح والإرشاد ينصح المعريّ ممدوحه ألا يغتر بابتسامة الآخرين التي تظهر على شفاههم؛ فكم من زهر بلا ثمر؛ إذ ليس كلّ إزهار شجرة دليلا على إثمارها، فهي كذلك ابتسامات مصطنعة متكلفة، يقول:

---

(1) - المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص170.

(2) - والنعائم الأولى: جمع نعامة، وهي الطير المعروف، والنعائم الثانية: ريح الجنوب، وهو جناس، وتسوف بمعنى تشمّ، المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص282.

(3) - والخزامى: نبات زهره أطيب الأزهار نفحة وتبخيرا، ويذهب كل رائحة منتنة، وشربه مصلح للكبد، والطحال، والدماغ البارد. الفيروزابدي، **القاموس المحيط**: مادة خزم.

(4) - ابن منظور، **لسان العرب** : مادة سنط.

(5) - المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص300.

(6) - المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص47

(7) - والضمر الهزال، والإهان: العرجون. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص47.

(8) - المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص97.

فلا يَغُرّنْكَ بِشْرٌ مِن سِواه بَدا ولو أنار فكمْ نَوْرٍ بلا ثَمَرِ[1]

وأحيانا يوظف المعريّ لون الأزهار ليجعلها في سيف الممدوح المخضب بالدم وغمده أخضر، يقول:

رَوضُ المَنايا على أن الدماءَ به وإن تَخالَفنَ أبدالُ من الزّهَرِ[2]

فقد شبه المعريّ سيفه بالروض المزهرة لخضرته ومائيته، وشبه الدماء المختلفة التي تسفك به بمختلف أنواع الزهر التي توجد في الرياض.

خامساً- الأنهار، والبحار:

الماء أصل حياة الكائنات، قال تعالى: {وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ} [الأنبياء: 30]، والمعريّ كغيره من الشعراء يهتم بمصادر المياه، والجداول، والأنهار، والبحار، وما يرتبط بها من جبال، وقد وظف المعريّ الماء في مجال الحكمة في ديوانه(**سقط الزند**)، فقد شبه الأصدقاء المتلونين ذي الوجهين بالماء تارة يبدو لك صافيا، لكنه يخفي المكر في حالة الكدر، يقول المعريّ:

لا تَطّوِيـــا السّرّ عنّي يَومَ نائبةٍ فــإنّ ذلك ذَنْبٌ غيرُ مُغْتَفَرِ

والخِلُّ كالماء يُبْدي لي ضمائرَه مع الصّفاء ويُخْفيها مع الكَدَرِ[3]

الخلّ: بمعنى الصديق، والصفاء: عكس الكدرة، وهي طباق يديعيّ، وكذلك الطباق في(يبدي ويخفي)، فهو يقول: إن الماء إذا صفا يبدي ما تحته، وإذا كدر يخفيه، وكذلك صديق السوء[4].

كما أن المعريّ مولع بوصف الإبل، ورحلتها، وما تكابده من جوع وعطش في الصحراء المقفرة، فقد كانت لشدة عطشها تظن الصباح لصفائه ماءً، فخاب ظنها، ولم يكذبها عيانها في تشبيهها بالماء، يقول[5]:

تخَيّلتِ الصّبَاحَ مَعِينَ مَاءٍ فما صَدَقَتْ ولا كذَبَ العِيانُ

فكــاد الفَجْرُ تَشْرَبُه المَطَايا وتُمْلأ منه أسْقِيةٌ شِنانُ[6]

ويستغل المعريّ طول الجبال وسموقها ليمدح بها الأمير سعيد بن شريف بن أبي الهيجاء، ويكنيه بأبي الفضائل، يقول[7]:

---

(1) - المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص40.
(2) - المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص43.
(3) - المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق ، ص39
(4) - المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص 39.
(5) - المعري. **سقط الزند**، مصدر سابق، ص47
(6) - والمعين: الجدول أو الغدير، والعيان : المشاهدة، والشنان: أوعية من الجلد. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص47.
(7) - المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق ، ص53

ويُكْنَى باسْمِهِ عن كلّ مجْدٍ وكلُّ اسْمٍ كِنايَتُهُ فُلانُ
إذا سَمَيْتَهُ في أرْضِ جَدْبٍ نَزَلْتَ وكلُّ رابيَةٍ خِــوانُ
تَطاوَلَتِ الوِهادُ هوىً وشــوْقاً إليه كما تَقَاصَرَتِ الرِّعانُ
ستَفْديكَ المكارِمُ راضِياتٍ وما مِنها بفِدْيتِكَ امْتِنانُ[1]

يقول المعريّ في البيت الأول: إنه قد اجتمع في الممدوح جميع الفضائل: في كنيته، واسمه، واسم آبائه: السعد، والشرف، والعلو، والشجاعة.

ومن الأنهار التي يكثر المعريّ ذكرها في شعره فهو(نهر قويق) في حلب، وكذلك (جبل ثبير في مكة)، ففي قصيدة للمعريّ يمدح فيها أحد الأمراء الذين سكنوا حلبا، وقد تزوجوا منها، ويعظم المعريّ حلبا، ونهر قويق، ويجعلها جنة عدن في حالة السلم، ونارا على الأعداء والغادرين، ويقول:

ابْـــــقَ في نِعْمَةٍ بَقاءَ الدّهورِ نافِذَ الأمرِ في جميعِ الأمورِ
خاضِعاتٍ لكَ الكواكبُ تَخْتــصّ مَوالِيكَ بالمـــــحَلّ الأثيرِ
حَلَبٌ لــلَوليّ جَنْةُ عَـــــدْنٍ وهْيَ لــلغادرينَ نارُ سعيرِ
والعَظيمُ العظيمُ يَكبُرُ في عَيْنَيْ هِ منها قَدْرُ الصّغيرِ الصغيرِ
فقُوَيْقٌ في أنْفُسِ القَوْمِ بَحْرٌ وحَصــاةٌ منها تَطِيرُ ثَبِير
عِشتَ حتى يعُودَ أمْسِ لعِلْمي أنّــه لا يَعُودُ بَعْدَ المُــــــرُورِ
فادّعاءُ الــــمُلوكِ غيْرِك إدرا كَ المَعالي دعْوى شِقــاقٍ وزُورِ[2]

فنهر قويق في حلب رغم صغر حجمه إلا أنه كبير كالبحار، وحجر صغير منه يساوي مثقال(جبل ثبير) العظيم في مكة؛ لأن الممدوح ساكن في حلب التي يوجد فيها هذا النهر[3].

وفي مقام المدح أيضاً يبالغ المعريّ حتى يجعل غور الماء يفيض غراماً، وشوقاً، وحباً لأبي إبراهيم ابن إسحق، حتى يبلغ فيضانه أنوف الجبال، ثم يسيل، إذ يقول:

يَفيضُ إلَيْكَ غَوْرُ الماءِ شَوْقاً ويُظْهِرُ نَفْسَهُ حتى يَسيحا[4]

وهذا مثل قوله في المقام السابق:

تَطاوَلَتِ الوِهادُ هوىً وشوْقاً إليه كما تَقَاصَرَتِ الرِّعانُ[5]

---

(1) - والرابية: بمعنى التلة، والخوان: إناء الطعام، والوهاد: المواضع المنخفضة، واحدها وهدة، والرعان: أنوف الجبال واحدها رعن. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص 53.
(2) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص54.
(3) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص56.
(4) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق ، ص61
(5) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق ، ص53

وفي مشهد حربيّ عسكريّ يرسم المعريّ لجيش الشريف أبي إبراهيم العلويّ، فكثافة هذا الجيش كأنه بحر متلاطم أخضر لشدة سواده، والعرب تطلق الخضرة على السواد، يقول[1]:

إليكَ تَنَاهـــى كلُّ فَخْرٍ وسُؤدَدٍ فأبْلِ اللّيـــالي والأنامَ وجَـــــــدِّدِ
لجَـدّكَ كان المَجْدُ ثمّ حَوَيْتُه ولابْنِكَ يُبْنَـى منه أشرَفُ مـــــقْعدِ
ولـولاكَ لم تُســـئَمْ أفامِيّةُ الرّدى وقد أبصَرَتْ مِن مِثْلِها مصرَعَ الرّدي
فـــأنْقَذْتَ منها مَعقِلاً هَضَبَاتُه تَلَفّعُ من نســجِ السّحابِ وتــرْتَدي
بأخضَرَ مثلِ البحرِ ليس اخضرارُه مـــن الماء لكنْ من حديدٍ مُسَرَّدِ[2]

ومن الأنهار التي كثر ذكرها في شعر المعري (نهر الفرات) في العراق، ويربطه المعريّ بالبرق اللامع في الليالي السوداء، فكأنه سيف يهتز في غبار المعركة الأسود، يقول[3] :

أهاجَكَ البرْقُ بذاتِ الأمْعَزِ بينَ الصَّراةِ والفراتِ يَجْتَزي
مِثْلَ السّيوفِ هَزّهُنّ عارِضٌ والسّيفُ لا يَرُوعُ إنْ لم يُهْزَزِ[4]

والمعريّ مغرم بذكر السيوف والدروع الحربية على طريقة المتنبي، ولا يتوانى عن تشبيهها بالجداول المائية والغدران الصافية؛ لاستطالتها، وعمقها، وصفائها، يقول:

وإذا الأرضُ وهيَ غَبراءُ صارتْ من دَمِ الطّعْنِ وَرْدَةً كالدّهانِ
أقْبَلوا حامِلي الجَداوِلِ في الأغْـ مادِ مُسْتَلْئِـــــــــــمينَ بالغُدْرانِ[5]

فالأرض الغبراء السوداء تصبح حمراء من دم الأعداء؛ مشيرا إلى قوله تعالى: {فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّماءُ فَكانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهانِ}، {الرحمن:27}، والدّهان :الجلد الأحمر، وقيل الأملس، فقد شبه الأرض في اختلاف الوانها بالدهن واختلاف ألوانه، ويقال: الدهان الأديم الاحمر؛ أي صارت حمراء كالأديم[6]. والمستلئم: الذي يلبس اللأمة، وهي الدرع، وشبه السيوف بالجداول لاستطالتها والدروع بالغدران لعمقها[7].

---

(1) الأفامية: حصن كان للممدوح دور في سلامته من الهلاك، والردي: الهالك، والمعقل: موئل في رأس الجبل، والهضبات: القطع العظيمة من الجبل، تلفع: تكتسي، المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق ، ص77
(2) بأخضر مثل البحر: أي جيش أخضر لكثافته، يقال: كتيبة خضراء إذا غلب عليها لبس الحرير، ويشبه سواده بالخضرة، وفي حديث فتح مكة:"مرّ رسول الله **(صلى الله عليه وسلم)** في كتيبة خضراء" ابن منظور، **لسان العرب**: مادة خضر.
(3) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص 88.
(4) هاجك: بمعنى شاقك، والأمعز: الأرض الصلبة ذات الحجارة، ويجتزي: يرعى النبات ولم يرد الماء. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص 88-89.
(5) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق ، ص94
(6) ابن منظور، **لسان العرب** : مادة دهن.
(7) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص94-95.

ومن الأنهار التي خلد المعريّ ذكرها (نهر المخاض) بالقرب من معرة النعمان، قرب بلدة حارم من أعمال حلب، وقعت فيها معركة الروج بين المسلمين والروم أيام العزيز بالله، يقول[1]:

لقـــد آنَ أنْ يَثْني الجَموحَ لِجامُ وأنْ يَمْلِكَ الصّعْبَ الأبيَّ زِمامُ
أيُـــوعِدُنا بالرّوم ناسٌ وإنّما همُ النّبْـــتُ والبِيضُ الرّقاقُ سَوامُ
كأنْ لم يكُن بينَ المَخاضِ وحارِمٍ كتائِـــــــــبُ يُشجِينَ الفَلا وخِيامُ
ولـــــم يَجْلِبُوهَا من وَرَاءِ مَلَطّيَةٍ تَصـــــدَّعُ أجْبَالٌ بها وإكامُ
كتائب من شرق وغربٍ تألّبت فرادى أتاها الموت وهي تؤام[2]

والمنهل الصافي العذب يشدّ المعريّ ليجعله مرآة صافية تظهر على سطحه نجوم السماء كالجوزاء والسماكين جهة المغرب في لوحة فنية معبرة ، يقول[3]:

ومَنْهَلٍ تَرِدُ الجَوْزاءُ غَمْرَتَه إذا السِّماكانِ شطّرَ المغْرِبِ اعترَضَا
وَرَدْتُهُ ونُجومُ اللّيْلِ وانِيَـــــةٌ تشكو إلى الفجرِ أنْ لم تَطعَمِ الغَمَضَا[4]

ويجمع المعريّ الأنهار العربية: كالنيل، والصراة، ودجلة، والفرات، وقويق؛ ليجعلها معبرا لخاله عليّ بن محمد الذي رحل إلى المغرب، تاركاً وطنه وأحباءه، ويرى المعريّ أن التنقل بين هذه الأنهار يغني خاله عن هجرانه شرق الأرض العربية إلى المغرب، يقول[5]:

علامَ هَجَرتَ شرقَ الارضِ حتى أتَيتَ الغَربَ تَختَبرُ العِبادا؟
وكانتْ مِصْرُ ذاتُ النيلِ عَصْراً تُـــــنافِسُ فِيكَ دِجْلَةَ والسّوادا
وإنّ مِن الصَّراةِ إلـــى مَجَرّ الفُـــراتِ إلى قُوَيْقٍ مُسْتَرَادا
مِياهٌ لو طَرَحْـــــتَ بها لُجَيْناً ومُشْبِـــــهَهَا لَمُيّزَتِ انْتِقادا[6]

وكثيراً ما يشبه الدرع بالغدير الذي يبدو وشيه ثابتاً سواء هبت الريح أم سكنت، يقول[7]:

وما بَرِحَت في ساحة السّهلِ يرتمي بها موجُها حتى نَهتها حزونها

---

(1) - المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص119
(2) - والجموح: الفرس الشرس، والصعب من الإبل غير المروّض، والمراد به الروم، والسوام: الإبل السارحة أو الماشية التي ترعى، فشّبه الروم بالنبت والسيوف الإسلامية بالإبل ترعاهم وتقتلهم، والمخاض: نهر بالمعرة، وحارم حصن قرب انطاكية. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص119.
(3) - المعري. **سقط الزند**، مصدر سابق، ص132
(4) - والغمر: مجتمع الماء، والمنهل: الغدير، وانيه ضعيفة، الغمض: النوم. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص132.
(5) - المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص158
(6) - عصراً: دهراً، والسواد: أرض العراق من القرى في الكوفة والبصرة، والصراة: نهر في بغداد، وقويق: نهر في حلب، ودجلة والفرات : نهران في العراق، والنيل نهر في مصر. المعري، **سقط الزند**، المصدر نفسه، ص158.
(7) - المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص179

غَديرٌ وَشَتْهُ الرّيحُ وَشيةَ صانعٍ فلم يتَغَيّرْ حينَ دامَ سُكونها[1]

ويذكرُ المعريّ الأنهار، ويعظمها في مقام المدح، أو الرثاء إذ دفن لشاطئها أبو إبراهيم العلويّ، كنهر قويق في حلب التي سميت (أخت الغريين)؛ لتعظيم قدر المرثيّ، يقول:

دعَا حَلَباً أختَ الغَرِيّينِ مَصرَعٌ بِسيفِ قُوَيْقٍ للمَكارِمِ والحَزمِ[2]

يقول: لما دفن المرثيّ بشاطئ نهر قويق دعيت حلب أخت الغريين؛ لانطواء كلّ واحد منها على سيد عظيم الشأن، والسيف: ساحل البحر، واستعير السيل لنهر قويق لتعظيم قدر المرثي، والغريان: هما قبر مالك وعقيل نديمي جذيمة الأبرش[3].

(1) - والحزون: عكس السهول، وهي الجبال، وهذا من الطباق، وهو لون بديعيّ، والغدير: الدرع، ووشته: بمعنى زيّنته. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص179.
(2) - المعري. **سقط الزند**، مصدر سابق، ص191
(3) - المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص191.

الفصل الثالث

الدراســــــــة الفنيـــــة

يتناول هذا الفصل القضايا الفنية في ديوان (سقط الزند) للشاعر أبي العلاء المعريّ، وبالتحديد القضايا الأربع الآتية:

أولا: اللغة الشعرية

ثانيا: بنية القصيدة

ثالثا: الصورة الشعرية باعتبار الحواس

رابعا: الموسيقا الشعرية

أولا : اللغة الشعرية

اللغة العربية لغة حيّة، نامية، ومتطورة، تتأثر بعوامل التطور والتجديد في كل عصر ومصر، وتتفاعل مع شتى معطيات العصر: التكنولوجية، والحضارية، والسياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والدينية، والأدبية، والثقافية....، فتنشأ ألفاظ جديدة، وتندثر أخرى، وبذلك يضطر الدارس لها إلى استخدام معاجم لغوية، تفصح عن دلالات تلك الألفاظ في عصرها ومصرها في نتاج الشعراء؛ إذ يفرض الغرض الشعريّ أسلوبه الخاص، وألفاظه المناسبة؛ (فلكلّ مقام مقال).

وتعدّ اللغة عنصرا أساسا لربط ثقافة الماضي بالحاضر، فاللغة وسيلة للتفاهم بين الناس والشعوب، ولنقل التراث الشعريّ من جيل إلى جيل، فقد عبّر ابن جنيّ عن ذلك بقوله:" اللغة أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم[1]"

وترى أسماء التكريتيّ أن:" اللغة شريك الشاعر، فمهمته أن يرتقي باللغة التي ينظمها في إثراء الأشكال الأدبية؛ مستثمرا دلالاتها، وأصواتها، وعلاقات بنائها، وموسيقاها في خدمة الشعر"[2].

ويرى عزالدين إسماعيل أن اللغة:" هي الظاهرة الأولى في كل عمل يستخدم الكلمة أداة للتعبير[3]".

أما، حاتم الضامن فيرى أن:" اللغة وعاء الفكر، تحفظه، وتعبّر عنه، وترقى لرقيه[4]".

واللغة العربية تتميز عن غيرها من اللغات الأخرى بفصاحتها، وقوة تعبيرها، وتطور ألفاظها، وتعدد دلالاتها وأساليبها، ويكمن السرّ في ذلك أنها لغة القرآن الكريم الذي ينطق به مليار

---

(1) - ابن جنيّ، أبو الفتح عثمان بن جني الموصليّ (المتوفى: 392هـ)، **الخصائص**، بيروت، المكتبة العلمية، 2003م، (33/1).

(2) -التكريتي، أسماء صابر، **المضامين التراثية في شعر أبي العلاء المعريّ**، عمان، دار غيداء، الطبعة الاولى، 2012م، ص169

(3)- إسماعيل، عزالدين ، **الشعر العربيّ المعاصر وقضاياه**، بيروت، دار العودة، 1988م، ص173

(4) - الضامن، حاتم صالح، **علم اللغة** ، الموصل، مطابع التعليم العالي، 1989م، ص145

مسلم، ولها خصائص أخرى جعلتها لغة خالدة، قوية مرنة، تتكيف مع الظروف، والأزمنة، والأمكنة كافة، وتعبّر عن الأحوال والوظائف بأساليب تعجز عنها باقي اللغات الأخرى، فهي فصحى، وفصيحة[1].

يقول الثعالبيّ النيسابوريّ:" من أحبّ الله أحبّ رسوله المصطفى(صلى الله عليه وسلم)، ومن أحب النبيّ العربيّ أحبّ العرب، ومن أحبّ العرب أحب اللغة العربية التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب[2]"

وهذه شهادة كافية من أعجميّ لغويّ أديب، عرف قدْر اللغة العربية، وتذوق بلاغتها، واطلع على فنونها وأساليبها، وعلم سرّ إعجازها، وخلودها، فهي لغة تحمل صبغة دينية مقدسة، وهي شعيرة من شعائر الإسلام، يجب تعلمها وإتقانها، قال تعالى: {ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ} [الحج: 32] ، وللشعر العربيّ لغته الخاصة، وأسلوبه الذي يمتاز به عن غيره من الفنون الأدبية، فقد حددها النقاد كما يأتي:

1- **لغة القصيدة:**

لقد فرق النقاد القدماء بين لغة القصيدة بخاصة ولغة الشعر بعامة، فللشعراء ألفاظ معروفة، وأمثلة مألوفة لا ينبغي للشاعر أن يتعداها، ولا أن يستعمل غيرها إلا في مجال التظرف، أو الملح، ويرى بكار أنه يجب على الشعراء ألا يتبعوا المتقدمين في استعمال وحشيّ الكلام، واللغة القليلة النادرة في العربية، فلا بد أن يكون اللفظ الشعريّ سهلاً جزلا، لا يشوبه شيء من كلام العامة، ولا الألفاظ الحوشية؛ ولهذا المذهب القديم نظير في النقد الحديث[3].

فالشعر ليس تسجيلا للأفكار فحسب، لكنه عرض جميل لها، وتسجيل له وسائله الخاصة به، فخصوصية اللغة الشعرية مقوّم أساس من مقوماته، ولولاها لانهارت الحواجز بين لغة الفن ولغة الحياة[4].

وقد طالب نقادنا القدامى والمحدثون بضرورة ترتيب الألفاظ ترتيبا صحيحا، يقدم فيه ما يحسن تقديمه، ويؤخر ما يحسن تأخيره، إلا إذا اضطر الشاعر إلى وزن أو قافية، وألا يكون هناك حشو يمكن الاستغناء عنه، وهناك قضية أخرى دار حولها الجدل بين النقاد، وهي استعمال بعض مصطلحات علم الكلام في الشعر، فقد استنكرها النقاد، إلا ما كان منها على سبيل التظرف

---

(1) التكريتي، المضامين التراثية، مرجع سابق، ص169.
(2) - الثعالبيّ، **فقه اللغة وأسرار العربية**، مصدر سابق، ص19.
(3) - بكار، يوسف حسين، **بناء القصيدة في النقد العربيّ القديم في ضوء النقد الحديث**، بيروت: دار الأندلس، 1982، ص 142.
(4) -بكار، **بناء القصيدة**، المرجع نفسه، ص 143

والتملح، ويرى د. بكار أن هذا القيد ثقيل، فقد يكون الشاعر غير عامد، وهذا القيد لا يتفق مع الشروط الكثيرة التي حددها النقاد القدماء، ومنهم ابن رشيق[1].

ويؤكد النقاد اهمية تجانس لغة القصيدة، فلا يستعمل الفصيح مع المولّد، أو ما سهل من ألفاظه بألفاظ جزلة، بل لا بد من تناسق لغة القصيدة مع موضوعها، يقول قدامة بن جعفر:" ولما كان المذهب في الغزل إنما هو الرقة واللطافة والدماثة كان مما يحتاج فيه أن تكون الألفاظ لطيفة مستعذبة، فإذا كانت جاسية مستوخمة كان ذلك عيبا"[2].

كذلك، فإن النحويين وعلماء الصرف لا يقرّون الشعراء أن يأتوا باستعمالات لا تقرها قواعد اللغة والنحو والصرف، فلا بد من سلامة اللغة، وهو ما أكده النقاد المحدثون، ومنهم: نازك الملائكة، وأحمد الشايب[3]

2- أسلوب القصيدة:

عرّف أحمد الشايب أسلوب القصيدة أنه :" الضرب من النظم والطريقة فيه[4]"، ويعرّفه د. بكار أنه:" المنوال الذي تنسجم فيه التراكيب، أو القالب الذي يفرغ فيه[5]" وعبّر القدامى عن ذلك بأن هناك نوعين من القصائد:

إحداها: ذاتية يعبر الشاعر فيها عن نفسه، ومشاعره، وتجربته الخاصة.

والثانية: غيرية عامة يعبر الشاعر فيها عن غيره من البشر، ولكلّ منها أسلوبها الخاصّ، ويختلف الأسلوب من غرض إلى غرض، وعلى الشعراء أن يراعوا مطابقة الكلام لمقتضى الحال[6].

وقد اشتُهر المعريّ باطلاعه الواسع على علوم العربية، ومفرداتها، وأساليبها، وقدرته على التعامل والنظم بتراكيبها المختلفة للتعبير عن غرضه الشعريّ، وعمق تجربته النفسية، فهو يمتلك موهبة لغوية، وثقافة واسعة، إضافة إلى ذاكرته القوية، وذكائه المتقد، وخياله المحلّق، فقد استطاع من خلالها أن يصور الطبيعة بعناصرها المختلفة رغم فقدانه البصر، وقد رأى بعض الدارسين أن لغة المعريّ تميزت بالتوليد، واختراع المعاني، حتى عدّوه شاعر العقل، وكان أبو العلاء غزير العلم، عالما باللغة، حسن الشعر، جزل الكلام.

---

(1) - بكار، **بناء القصيدة**، مرجع سابق، ص145

(2) - ابن جعفر، قدامة، **نقد الشعر**، مصر، دار النهضة، 1978، ص 224

(3) -بكار، **بناء القصيدة** ، مرجع سابق، ص147

(4) - الشايب، أحمد، **الأسلوب**، مصر، مكتبة النهضة، 1967م، ص44.

(5) - بكار، **بناء القصيدة**، مرجع سابق، ص148.

(6) - بكار، **بناء القصيدة**، مرجع سابق، ص148.

فالمعريّ إذاً شاعر لغويّ، كان ظاهرة نادرة في تاريخ الشعر العربيّ، ليس سهلا على الباحث اقتحام عوالمه الواسعة[1]، وقد مرّ نظم ديوان (سقط الزند) وما يتضمنه من قصائد شعرية في مرحلتين، هما:

المرحلة الأولى: تأثر المعريّ فيها بشاعرين كبيرين، هما: المتنبي، وأبو تمام بشكل واضح، ولم يكن التأثر سطحيا، بل ظهرت قدرة المعريّ اللغوية في أسلوب وصياغة تلك القصائد، وفي بنائها، ولغتها.

والمرحلة الثانية: فهي ناتجة عن نضجه الفنيّ، سواء في أدواته التعبيرية، أو وسائله وأساليبه الفنية واللغوية، وذلك من خلال استخدامه للألفاظ والتراكيب.

ولا يخفى على الدارس لديوان (سقط الزند) شخصية المعريّ المثقفة، وتنوع معارفه في اللغة، والفلك، والفلسفة، فضلا عن ذكائه المفرط ، وسعة حافظته التي ألمت بكلّ ما وقع تحت يده من علوم، وما سمعه من مشايخه، إضافة إلى لقاءاته المتعددة بأهل الفن والعلم والسياسة، فقد كان بحق معجما لغويا، وظفه المعريّ توظيفا مبدعا في نسج قصائده الرائعة[2].

ويرى زهير غازي زاهد أن ديوان (سقط الزند) أجمعت قصائده في فترة سبقت رحلته إلى بغداد سنة 398 هـ ، وقرئ عليه هناك، ثم زيد فيه بعد عودته إلى المعرة، وقراره الاعتزال[3].

أما عنوان الديوان(سقط الزند) فكان معبرا عن موقف المعريّ عن تجربته الشعرية، فقد أشار تلاميذه وشارحو سقط الزند إلى ذلك، قال التبريزيّ- وهو أحد تلاميذه- عنه:" وكان لقب هذا الديوان لأن السقط أول ما يخرج من النار من الزند، وهذا أول شعره، وما سمح به خاطره، فشبهه به"[4]، وقال أبو الفضل الخوارزميّ في مقدمة شرحه:" سماه بسقط الزند لأن السقط ما يسقط من الزند عند القدح، ولا يكاد يخرج من الزند إلا بتكلف شديد، والزند هنا مجاز من الطبع، وهذا الديوان أول شعر لفظه طبعه في غرة عمره، وهو قليل متكلف إلى بقية شعره[5]"

وترى الباحثة أن المعريّ لم يكن راضيا كل الرضا عن ديوانه(سقط الزند)، فقد كان مصمما على أن يكون شعره كالنار في التأثير، وأن هذا الديوان سيكون بمثابة أول تجربة شعرية له، وسيلحقها ما يكون أشد تأثيرا منه، فالمعريّ كان يحسّ أن قصائده لم تستوعب كل مشاعره

---

(1) - زاهد، **لغة الشعر عند المعريّ**، مرجع سابق، ص9

(2) - زاهد، **لغة الشعر عند المعريّ**، مرجع سابق، ص11.

(3) - زاهد، زهير، **لغة الشعر عند المعريّ**، مرجع سابق، ص12.

(4) - التبريزيّ، وآخرون، **شروح سقط الزند**، مصدر سابق، (103/1).

(5) -السقطيّ، **أثر كف البصر على الصورة عند المعريّ**، مرجع سابق، ص 93.

وأحاسيسه، لذا فهي كالسقط من الزند، وبعبارة أخرى فإنه كان يحسّ أن اللغة التعبيرية مهما اتسعت ثقافته قد قصرت عن هذا الاستيعاب.

ويلاحظ مما سبق أن من أهمّ خصائص أسلوب المعريّ أنه كان لغويا واسع الدلالة، يبني قصيدته بشكل محكم، فهو حاذق باللغة والنحو، يعرف غريب الألفاظ، ويحسن تفسير المعاني، وهو لبق في توضيح الإشارات، وحسن العبارة في تحرير ذلك[1].

وترى الباحثة أن ديوان (سقط الزند) للمعريّ يعدّ معجما لغويا بما حواه من ألفاظ جزلة، وتراكيب لغوية قوية، وأساليب بلاغية رائعة، جعلت منه شاعرا ذا مكانة رفيعة بين الشعراء.

ثانياً : بنية القصيدة.

وأما بناء القصيدة لدى المعريّ فيرى التبريزيّ - وهو أحد تلاميذه- :" أنها لم تختلف عما سلكه شعراء عصره، والسابقون كذلك؛ إذ يقول التبريزيّ:" وشعره كثير في كل فنّ، وهو أشبه بشعر أهل زمانه مما سواه؛ لأنه سلك فيه طريق حبيب ابن أوس الطائيّ، وأبي الطيب المتنبي، وهما في جزالة اللفظ، وحسن المعنى[2] "

فأبو تمام والمتنبي كانا نموذجيه المفضلين، بل كان يتعصب للمتنبي، والمطلع على ديوانه (سقط الزند) يلاحظ لأول وهلة مدى تأثر المعريّ بالشاعر المتنبي في كثير من الصور، والأفكار، والموضوعات، وقد أشار شراح (سقط الزند) إلى ذلك في كثير من قصائده، وبخاصة في شعر المرحلة الأولى من حياته الفنية، فقد حاكاه في فخره بنفسه، وبالمبالغات الكثيرة في مدائحه، على الرغم من أن المعريّ لم يكن يتكسب شعره، بل كان يقصد المحاكاة لا أكثر، ومن ذلك قول المعريّ في التهنئة:

ابقَ في نِعَمةٍ بقاء الدّهورِ نافِذَ الأمرِ في جميعِ الأمورِ[3]

فكأن المعريّ جعلها معارضة لقصيدة المتنبي في تهنئة كافور الإخشيديّ، إذ يقول:

إنّمَا التّهنِئَاتُ للأكفاءِ ولَمن يَدَّني مِنَ البُعَدَاءِ

وكذلك قصيدة المعريّ التي مطلعها:

ألا في سبيلِ المَجدِ ما أنا فاعلُ عَفُاف وإقدامُ وحَزمُ ونائِلُ[4]

فكأنها معارضة لقصيدة المتنبي التي مطلعها:

قِفَا تَرَيَا وَدقي فَهَاتَا المَخايِلُ وَلا تَخشَيا خُلفاً لِما أنَا قائِلُ

---

(1) -أبو مصلح، **أبو العلاء المعريّ**، مرجع سابق، ص18

(2) - التبريزيّ، وآخرون، **شروح سقط الزند**، مصدر سابق، **(**1/ 2381)، و (2/ 777**).**

(3) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص54

(4) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص106

فيلاحظ من القصيدتين اتفاق الغرض الشعريّ وهو: التهنئة، والفخر بالنفس، والكبرياء، والشكوى من كثرة الحساد للشاعرين، وكذلك يلاحظ ذكرهما كثرة الترحال والأسفار، وعدم الاكتراث بالمخاطر، وذكر الركوبة من خيل وإبل، وذكر السيف وأدوات الحرب الأخرى، بل ذهب د. طه حسين إلى أبعد من ذلك حين رأى أن بذور فلسفة المعريّ كانت منبثة في شعر المتنبي، وتسربت إليه، فوسّعها، وأكثر منها، ثم قصر شعره عليها: كموقفه من النسل، وتشاؤمه من الحياة، وشكوكه في الناس، وقد كان المعريّ في قصائد مرحلة المحاكاة مترددا في موقفه منها، أما في مرحلة النضج الفنيّ فقد أصبحت قصائده تحمل سمة أسلوبه الخاصّ، ومن هذه القصائد الفنية التي تحمل طابعه الفنيّ الناضج القصيدة الدالية في رثاء الفقيه الحنفيّ أبي حمزة[1]، والتي مطلعها:

غَيرُ مُجدٍ في مِلّتي واعتِقادي نَوّحُ باكٍ ولا ترنّمُ شادي[2]

والقصيدة العينية في وداع بغداد، والتي مطلعها:

نَبِيٌّ من الغِربانِ ليس على شَرعِ يُخَبّرَنا أنّ الشَّعوب إلى صَدعِ[3]

والقصيدة الدالية في رثاء جعفر بن عليّ المهذّب، والتي مطلعها:

أحسَنُ بالوَاجِد من وَجدِهِ صَبرٌ يُعيُد النارَ من زَندِهِ[4]

ولاميته في إجابة الشاعر محمد بن فورجة، والتي مطلعها:

كفَى بشُحوبِ اوجُهنِا دلِيلا على إزماعِنا عنك الرّحيلا[5]

والتائية في مخاطبة أبي القاسم علي بن المحسن القاضي، والتي مطلعها:

هاتِ الحَديثَ عن الزّوراءِ أو هِيتا ومَوقِدِ النارِ لا تَكرى بتَكريتا[6]

وقصيدته الطائية في مخاطبة خازن دار العلم ببغداد، والتي مطلعها:

لمن جيرة سيموا النوال فلم ينطوا يظللهم ما ظل ينبته الخط[7]

وقصيدته النونية مجيبا الشريف أبا إبراهيم موسى بن اسحاق، ومطلعها:

عللاني فإن بيض الأماني فنيت والزمان ليس بفاني[8]

وقد سمّى زهير زاهد قصائد سقط الزند(بالقصيدة الأفقية)؛ وتعني: القصيدة التي تتضمن موضوعات ومحاور عدة يتصل بعضها بالآخر بروابط تتسم بحسن المطلع، ثم حسن التخلص

---

(1) زاهد، **لغة الشعر عند المعريّ**، مرجع سابق، ص 15
(2) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص 196
(3) المعري، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص 260
(4) المعري، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص205
(5) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص268
(6) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص 292
(7) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص 298
(8) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص90

بالانتقال من موضوع إلى آخر، وهناك بعض الموضوعات التي اتسمت بالوحدة الموضوعية، كما في قصائد الدرعيات، والقصائد الأفقية لا تشعرك بانتهائها إلا إذا أشعرك الشاعر بإشارات توحي بذلك. ولقد أحسن المعريّ مطالع قصائده كما أحسن نهايتها؛ إذ إن حسن المطلع ثم حسن التخلص ثم حسن النهاية ثلاث سمات كونت بناء القصيدة الجيدة، وهيكلها المتناسق في الشعر العربيّ القديم، أما الوحدة العضوية في شعرنا القديم فقد تمثلت في البيت، أما القصيدة فتنتظم فيها وحدة الوزن العروضيّ والقافية، ويجد القارئ لبعض قصائد (سقط الزند) اضطرابا أو عدم ارتباط في هيكل القصيدة وبنائها العامّ، كأن يأتي المعريّ بتغيير مفاجئ في الموضوع دون تمهيد، أو حسن تخلص، أو رابط ، ويمكن إرجاع ذلك إلى أن المعريّ كان يحذف أو يغيّر في موضع من قصائده، التي قالها في المدح في مرحلة نضجه الفنيّ، أو يرجع إلى ميل المعريّ إلى الاستطراد في محاور القصيدة الأفقية، ويتضح هذا الاستنتاج من خلال قصيدته اللامية في المدح[1]، والتي مطلعها:

أعَن وَخدَ القِلاص كشَفتِ حالا ومن عِند الظّلام طَلَبتَ مالا؟[2]

ففي مقدمتها خطاب للنفس ومعاتبة لها، ويستمر حتى البيت الخامس، ثم ينتقل إلى خطاب الإبل، ويمضي في وصف النياق والرحلة لينتقل إلى الممدوح بتخلص حسن في قوله[3]:

سألنَ، فقلتُ: مَقصِدُنا سعيدُ فكانَ اسمُ الأميرِ لهُنّ فالا[4]

فذكر شجاعته وصورها وأسبابها من قسيّ وسيوف وخيول، ثم يستطرد في مدح هذه الخيول التي تربّت في الصحراء منذ صغرها مع أفراخ النعام، وتعودت على السرعة، ثم يعود مرة أخرى إلى المدح في البيت الخامس والعشرين، فيصفه بالذكاء، والكرم، والعدل، ثم ينتقل إلى وصف الليل في البيت الرابع والثلاثين، ثم يتحدث عن الطيف والخيال، ثم يستطرد في وصف جواده، وأنه أيقظ الركب بصهيله، ووصف إحساسه ورهافة سمعه، ثم ينتقل إلى برق المعرة فيستطرد في الحنين إلى الوطن، يذكر أصحابه، من البدو في الصحراء في الأبيات، السادس والأربعين والسابع والأربعين، فهم أشرار، ثم يعود إلى الممدوح، ويصف شجاعته حتى البيت الثاني والستين، والذي يتضمن ذكر السيف، فيستطرد في وصفه، فهو سليل النار، وأنه محلى بالذهب والجواهر، فتحسبه نجوم الليل المتساقطة، ثم يعود إلى الممدوح فينهي القصيدة بذكر نهاية مناسبة للموضوع الرئيس، وهو التهنئة[5]، بقوله:

---

(1) زاهد، **لغة الشعر عند المعريّ**، مرجع سابق، ص17
(2) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص 21
(3) زاهد، **لغة الشعر عند المعريّ**، مرجع سابق، ص17
(4) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص 23
(5) زاهد، **لغة الشعر عند المعريّ**، مرجع سابق، ص18.

وأنتَ أجَلّ من عِيدٍ تهنى بِعَودَتِهِ فُهنّيتَ الجَلالا

ومر بفِرَاقِ شِيمتها الليالي تُجِبكَ إلى إرادِتكَ امِتثالا[1]

وبذلك يعلن المعريّ انتهاء قصيدته اللامية المكونة من واحد وثمانين بيتا، فقد انتقل من غرض لآخر، وقد حاول بحسن تعليله أحيانا أن يجد رابطا بينها، وأحيانا يستطرد منطلقا من محور الموضوع، ثم يعود إليه[2].

أدوات المعريّ التعبيرية في بناء القصيدة:

يلاحظ الدارس لديوان سقط الزند أن أبا العلاء المعري قد تعمق في علوم العربية، وأبحر فيها من مفردات وتراكيب لغوية، وأساليب بيانية، ما جعله شاعراً لغوياً يجذب إليه أنظار الأدباء والنقاد والدارسين بحافظته الواسعة وقدرته الفائقة على التصرف بالمفردات والاساليب اللغوية، كما يأتي:

1- المفردات:

استمدّ المعريّ مفرداته ولغته من البادية العربية التي تفاعل مع ساكنيها في العراق والشام، فهو– كما رأيناه – عربيّ تنوخيّ الأصل، كما تأثر بالثقافة الإسلامية، وعلومها، وبخاصة القرآن الكريم، وتبرز في أشعاره مفردات قديمة تأثر بها من شعراء سابقين: كعنترة بن شداد، وامرئ القيس، والنابغة الذبيانيّ، والمتنبي، وأبي تمام، ومن ذلك مثلا: لفظ(الحدأ، العقال، الرعال) التي ظهرت في المعاجم القديمة[3]، إذ يقول المعريّ[4]:

كأنّ عليه قَيداً أو عِقـــــــالاً ولا قَيدُ هُنـــاك ولا عِقالُ

تصاهل حوله الحدأ الغـــوادي كما تتصاهل الخيل الرعالُ[5]

كما استعمل المعري مفردة العيس التي هي من المفردات القديمة في الشعر الجاهلي والتي تطلق على الإبل التي تسير في الفلاة، يقول:

إذا حَمَلَتكِ العيسُ أودى بأيدِها جَلالكِ، حتى ما تكادُ به تَخطو

خَدَت بسِواكِ الناقِلاتُكِ بالضّحى بَمشيٍ سِواكٍ لا تَجِدُّ ولا تَمطو[6]

(1) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص 35.
(2) زاهد، **لغة الشعر عند المعريّ**، مرجع سابق، ص21-23
(3) ينظر، التكريتي، **المضامين التراثية**، مرجع سابق، ص173.
(4) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص306
(5) والحدأ: وصف للخيل استعملها العرب القدماء لكثرة ترحالهم،وهي أصوات الخيل، والرعال: الجماعات، وكذلك العقال: وهو ما يعقل به البعير. التبريزي، **شروح سقط الزند**، مصدر سابق (1667/4).
(6) والوخد: المشي السريع، والأيد: القوة. المعري، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص300

ولقد تركت بعض المفردات الموروثة التي برزت في أشعار أبي العلاء أثرها في ذاكرته؛ ليؤكد عمق اتصاله العربيّ بأرضه روحا وجسدا، مثل كلمة: (السبيخ)[1]؛ إذ يقول:

على عشر كالنخل أبدى لغامها جنى عشر مثل السبيخ الموضّعِ[2]

ففي هذا البيت يصور المعريّ الحياة في الصحراء من خلال كلمة (السبيخ)، فقد كان العرب يشبهون لعاب الإبل(لغامها) بجنى العشر، والمعريّ شبهه (بالسبيخ) الذي هو القطن[3].

كما استخدم أبو العلاء مفردات انعدم استخدامها في لغة ابناء العربية لتغير طبيعة الحياة لديهم، مثل كلمة: (الغلفق) والتي تعني الخضرة على رأس الماء[4]، فهو يقول:

وملتثم بالغلفق الجعد غرّست عليه فلم تكشف خفيّ لثامهِ[5]

فقد وصف المعريّ سرعة الإبل واجتيازها الماء غير شاربة منه لوجود الطحلب(الغلفق)، وشبه اختفاء وجه الماء واستتاره بهذه الخضرة بالتلثم، فجعل الغلفق لثاما فقد كانت هذه الألفاظ انعكاسا لشعوره بالغربة عما يحيط به[6].

وكذلك استخدم المعريّ المفردات الفلكية، ومصطلحات علم الفلك؛ لاعتماده عليها في رحلته الطويلة، فقد شبه العساكر بالنجوم، وشبه النصال بالنجوم الساقطة من السماء، فهو يقول:

فجاش عليها البحر وهي كتائب وخرّت إليها الشهب وهي نصالُ[7]

ومن المفردات الفلكية في شعر المعريّ(الغمام، الجهام، المطر)[8]، كما في قوله:

سقتك الغاديات فما جهامُ أطل على محلك بالجهامِ

وقطر كالبحار فلست أرضى بقطر صاب من خلل الغمامِ[9]

وتلاحظ الباحثة أن المعريّ يوظف مفردات النوء والفلك في الرثاء على طريقة العرب القدماء الذين يدعون للميت والقبر بالسقيا، وغرضهم أن يعم الخير حوله على البلاد والعباد.

2- محاور قاموسه اللغويّ:

لقد امتلك المعريّ معجما لغويا لمفردات اللغة العربية واستخداماتها، حتى قال التبريزيّ – وهو أحد تلاميذه- عنه: " ما أعرف أن العرب نطقت بكلمة لم يعرفها المعريّ[10]".

---

(1) التكريتي، **المضامين التراثية**، مرجع سابق، ص171.
(2) المعري، **سقط الزند**، المصدر نفسه، ص286
(3) التكريتي، **المضامين التراثية**، مرجع سابق، ص172.
(4) ابن منظور، **لسان العرب**: مدة غلفق
(5) المعري، **سقط الزند**،مصدر سابق، ص102
(6) التكريتي، **المضامين التراثية**، مرجع سابق، ص 172
(7) المعري، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص214
(8) التكريتي، **المضامين التراثية**، مرجع سابق، ص175.
(9) والغاديات السحب الماطرة، والجهام الذي أهريق ماؤه، يقول: كل سحابة غير ماطرة تمر بقبرك يا أماه تصبح ماطرة. المعري، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص280
(10) السقا، **تعريف القدماء**،مرجع سابق، ص551.

ولقد اتسع المعجم اللغويّ عند أبي تمام لكنه انشغل في إبداع الصورة وتوليد المعاني، فاستخدم اللفظة في مجال المجاز حتى الإغراب، وكذا المتنبي، إلا أن المعريّ فاقهما بصورة لافته، وكأنه كان يريد إظهار تفوقه[1]، قال البطليوسيّ شارح (سقط الزند):" إنه أكثر فيه من الغريب والبديع ومزج المطبوع بالمصنوع، فتعقدت ألفاظه، وبعدت أغراضه[2]".

ومما قد يفسر هذه الغرابة في شعره الذي لازمه منذ المرحلة الأولى شعوره بالغربة، إضافة إلى غرابة مزاجه وطبعه، وقد أحسّ شرّاح (سقط الزند) بهذا، كما يغلب على صوره وألفاظه طابع البداوة، لاسيما في وصفه للناقة، والخيل، والصحراء، والسيف، والرمح، والدرع، والماء، والغراب، والليل، والموت، والحياة، وهذه المفردات تعدّ محاور لمعجمه الشعريّ(سقط الزند) ،إذا جاز التعبير، فقد كان المعريّ نفسه يحسّ ببداوته، وغرابة طبعه، ويعلن عن ذلك في شعره[3]، كما في رثاء والد الشريفين؛ إذ يقول[4]:

وأنا الذي أهدي أقلّ بهارة حسنا لأحسن روضة مئناف

أوضعت في طرق التشرف ساميا بكما ولم أسلك طريق العافي[5]

فالمعري يريد أن يقول: إن قصيدته هذه تمثل نبتة صفراء ربيعية طيبة الرائحة كهدية لقوم اشتهروا بالحسن والأخلاق الفاضلة كالروضة المئناف، ولقد أسرعت للتشرف بأن ألقي هذه القصيدة بين أيديكما، ولم أسلك طريق المتسولين.

ظواهر بديعية

1-التضمين:

التضمين ظاهرة أدبية موجودة في قصائد الشعراء السابقين؛ ليظهروا قوة ارتباطهم بتراثهم الأدبيّ، والدينيّ، ويعني التضمين: أن يضمّن الشاعر شيئا من شعر غيره مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهورا عند البلغاء.[6]

وقد استخدم الشعراء التضمين لتقوية قصائدهم بالتراكيب والمفردات اللغويّة؛ للتعبير عن المعنى المراد بقوة وجمال، والتأثير في ذهن السامع، فقد عرفه ابن الإصبع بأنه:" إدراج كلام الغير في الشعر لتأكيد المعنى أو ترتيب النظم"[7]

---

(1) زاهد، **لغة الشعر عند المعريّ**، مرجع سابق، ص22.
(2) التبريزيّ وآخرون، **شروح سقط الزند**، مرجع سابق، (15/1).
(3) زاهد، **لغة الشعر عند المعريّ**، مرجع سابق، ص22.
(4) - المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص257.
(5) البهار: نبت أصفر طيب الرائحة يظهر في الربيع. المئناف: الروضة التي لم يرعها أحد، أوضعت: أسرعت، العافي: السائل. شرح سقط الزند، مصدر سابق، ص257
(6) القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، (ت: 739هـ)، **الإيضاح في علوم البلاغة**، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، بيروت: دار الكتاب، 1988م، (580/2).
(7) المصريّ، ابن أبي الإصبع(ت654ه)، **بديع القرآن**، القاهرة، دار المعارف، 1975م، ص 52.

ولم يعدّ ابن رشيق التضمين سرقة أو تقليدا، وإنما رأى أن الشاعر يريد إضافة التضمين إلى قصيدته من خلال تجربته الشخصية وانفعالاته النفسية، ويتلاعب بالألفاظ؛ ليعطي معنى جديدا، ولعل أجود التضمين أن يصرف الشاعر المضمن وجه البيت المضمن عن معنى قائله إلى معناه.[1]

ومن خلال، ديوان(سقط الزند) يظهر أن المعريّ ضمن شعره بعض نتاجات الشعراء القدماء المشهورين، ومن الشعراء الذين ضمن المعريّ شعرهم الفرزدق، حين يمدح أهل نجد بأنهم أهل فصاحة وبلاغة، لكن (أهل دياف) قوم تميزوا باختلال النطق وعدم الفصاحة والبيان، يقول الفرزدق:

وَلَكِن دِيَافيٌّ أبُوهُ وأمهُ بحَورَانَ يَعصِرنَ السّليطِ أقاربُه[2]

فقد استخدم المعريّ كلمة (دياف) مضمنا هذه الكلمة ومعناها من شعر الفرزدق في قوله:

رُزِقَا العَلاَءَ فَأهلُ نَجدٍ كُلما نَطَقَا الفَصَاحةَ مِثلُ أهلِ دِيافِ[3]

ومن أكثر الشعراء الذين تأثر بهم المعريّ وضمن أقوالهم ومعانيهم هو المتنبي؛ إذ حفظ المعريّ ديوانه، وشرحه، وتتلمذ على يديه، وأعجب به، وكان المتنبي والمعريّ يحملان الهموم النفسية ذاتها، والطموحات، وحب الذات، فقد كانا متقاربين في نظرتهما إلى الحياة إلى حد بعيد، وكان أبو العلاء يتعصب للمتنبي، وإذا نظم شيئا على شاكلة المتنبي يأخذ الغريب منه والفصيح ويضمنه شعره[4]، ومن ذلك قول المعريّ:

غِرَاراهُ لِسانَا مَشرَفِيّ يَقُولُ غَرَائبَ المَوتِ ارتِجالا[5]

فقد شبه المعريّ حدّي السيف بلسانين ينطقان بغرائب الموت ارتجالا دون روية[6].

وهذا تضمين لقول المتنبي:

وَلّي صَوَارِمَهُ أكذابَ قَولهِمِ فَهُنّ ألسِنةٌ أفوَاهها القِمَمُ

نَوَاطِقٌ مُخبِرَاتُ في جَمَاجِمِهِم عَنُه بما جَهِلُوا مِنهُ أو علمِو[7]

فالشاعران كلاهما جعلا السيف لسانين ينطقان ، لكنهما استعارا القول للقتل[8].

---

(1) ابن رشيق، أبو علي الحسن القيرواني الأزدي (ت 463 هـ)، **العمدة في صناعة الشعر وآدابه**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: دار الجيل، الطبعة: الخامسة، 1401 هـ - 1981م، (85/2).

(2) الفرزدق(ت110ه)، **ديوان الفرزدق**، بيروت، دار صادر، 1991م، (46/1)

(3) المعري، سقط الزند، مصدر سابق، 255.

(4) الخواجا، زهدي، **موازنة بين الحكمة في شعر المتنبي والحكمة في شعر أبي العلاء**، بيروت، دار الثقافة، 1976، ص594.

(5) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق،ص 32

(6) التبريزي، **شروح سقط الزند**، (102/1).

(7) المتنبي، **ديوان المتنبي**، مصدر سابق، ص417

(8) التكريتي، أسماء، المضامين التراثية في شعر أبي العلاء، مرجع سابق، ص180

2-**التجنيس:**

الجناس لون من ألوان المحسنات البديعية، والمعريّ اهتم كثيرا باستخدامه بشكل أثار انتباه مترجميه، ويحس القارئ لقصائد(سقط الزند) بانعكاس مشاعره في الرضا والسخط بتلاعبه في الألفاظ وإظهار الصنعة فيها، وبعبارة أدق قدرته اللغوية والتفوق بالتعبير في أكثر الأحيان، فلو قرأنا قصيدة في هذا الديوان**(سقط الزند)** لوجدنا حشدا من التجنيس اللفظيّ التي تشغل بال القارئ فيما وراء هذه المجانسة من المعنى والصورة[1]، ففي قصيدته الأولى في الديوان، والتي مطلعها:

أعَن وَخدِ القِلاصِ كَشفتِ حالا ومن عِند الظَلام طَلَبت مالا[2]

استخدم المعريّ الجناس كثيرا، مثل: نوق بروق، عقول عقال، سل انسلال، الآجال الأجل، الحجول الحجال...الخ، أما القصيدة الثانية التي مطلعها:

يا ساهِرَ البَرقِ أيقظ راقِد السمرِ لعلّ بالجِزع أعواناً على السهرِ[3]

فقد استخدم المعريّ التجنيس، مثل: ساهر السهر، والسمر السهر، ومواطر مطر، وسرت سرى، واختصرتم خصر...، وهذا يدلّ على أن المعريّ كان يعنى بالجانب الموسيقيّ لقصائده عناية كبيرة، وغير ذلك من الطباق والتورية، ما أضفى على شعره حسن الجرس الصوتيّ، ووقع الألفاظ على الأسماع والأذواق، وهذا ينعكس على موسيقى الإيقاعات الداخلية والخارجية[4].

3- **الطباق والمقابلة:**

وهذا لون آخر من ألوان المحسنات البديعية التي يؤدي استخدام تركيبها غرض الشاعر، وله أثر كبير في الإيقاع الموسيقيّ الداخلي للقصيدة، فقد استخدمه المعريّ لتوضيح المعنى؛ ولإضفاء لون من الموسيقى حين يتم الطباق، وليتم التداعي في سياق التعبير[5]، والأمثلة على ذلك كثيرة، منها قوله:

يا ساهِرَ البَرقِ أيقظ راقِد السَمرِ لعل بالجِزع أعواناً على السهرِ[6]

فالجمع بين (ساهر وراقد) وهما صيغتان مختلفتان في المعنى لكنهما يحدثان لونا من الانسجام الصوتيّ، ما يصحبه من التبادر الذهنيّ؛ ليعيش القارئ في صورة البيت دون عناء، والأمثلة على هذا كثير[7].

---

(1) زاهد، **لغة الشعر عند المعريّ**، مرجع سابق، ص28.
(2) المعري، **سقط الزند**، مصدر سابق،ص 21.
(3) المعري، **سقط الزند**، المصدر نفسه، ص36.
(4) أنيس، إبراهيم، **موسيقى الشعر**، القاهرة ، مكتبة الأنجلو، 1985م، ص45.
(5) زاهد، **لغة الشعر عند المعريّ**، مرجع سابق، ص30.
(6) المعري، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص 36
(7) زاهد، **لغة الشعر عند المعريّ**، مرجع سابق، ص30

4- **الإلغاز والإيهام :**

ويقصد به المحاجاة للدلالة على الحجا كما يقول ابن رشيق[1]، وقد يلتبس بالكناية، وقد يجمع بينه وبين الإيهام(التورية)، وقد حدد ابن الأثير معنى الإلغاز بأنه:" كل معنى يستخرج بالحدس والحزر لا بدلالة لفظية عليه حقيقة ولا مجازا[2]"، ففي شرح قول المعريّ:

فهل حُدثتَ بالحِرباءِ يَلقىَ برأس العَير مُوضِحَةَ الشِّجاج[3]

قال البطليوسيّ:" وأبو العلاء يلغّز كثيرا بالأسماء المشتركة، فيوهم أنه يريد معنى وهو يريد معنى آخر، يصف أحد الاسمين المشتركين بصفة الآخر[4]".

وترى الباحثة أن هذا اللون من استخدام الألفاظ يعدّ من أسباب التعقيد في شعر(**سقط الزند**)؛ ليختبر أذهان الناس، أو أنه كان يريد إظهار تفوقه اللغويّ، أو أنه كان ينظم شعره لطبقة خاصة من الناس.

أما الإيهام فقد استخدمه المعريّ بكثرة لإظهار قدرته على حفظ النوادر والشوارد اللغوية، ويكون باستخدام لفظة من الألفاظ المشتركة التي تحمل معانيَ محتملة، بحيث يوهم أنه يريد معنى معينا وهو يريد معنى آخر، وقد أكثر المعريّ منه في (**سقط الزند**)، ما أدى إلى التعقيد في شعره، لكن شراح ديوان(**سقط الزند**) استحسنوه[5]، ومن ذلك قوله[6]:

تَوهَّمَ كلَّ سابغَةٍ غَديراً فَرَنَّق يَشربُ الحَلَقَ الدِّخالا[7]

فالإيهام هنا في كلمة (الدخال) لاحتمالها المعنيين مع القرائن المذكورة .

ومنه - أيضا - قوله:

رَوضُ المَنايا على أنّ الدّماءَ به وإن تَـــخالَفنَ أبدالُ من الزّهَرِ

ما كنتُ أحَسبُ جَفناً قبلَ مسكنِه في الجفنِ يُطوَى على نارٍ ولا نَهَرِ

ولا ظَنَنتُ صِغارَ النّملِ يُمكِنَها مَشيٌ على اللّجّ أو سَعيٌ على السُّعُرِ[8]

---

(1) ابن رشيق، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه**، مصدر سابق، (277/1).

(2) ابن الأثير، ضياء الدين(ت637ه)، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، مصر: دار نهضة مصر، د.ت. (224/2).

(3) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص 323

(4) التبريزيّ، وآخرون، **شروح سقط الزند**، مصدر سابق: (1723/4).

(5) زاهد، **لغة الشعر عند المعريّ**، مرجع سابق، ص32.

(6) .ابن منظور، **لسان العرب**: مادة دخل

(7) والسابغة: الكاملة من الدروع، ورنّق بمعنى رفرف كالطير، والحلق حلقات الدرع، والدخال لها معنيان: الأول مداخلة المفاصل بعضها في بعض، والثاني: الدخال في ورود الإبل إذا سقيت قطيعا حتى إذا شربت جميعا حملت على الحوض ثانية لتستوفي شربها. المعريّ، **سقط الزند**،مصدر سابق، ص 34

(8) المعريّ ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص 43

فقد شبه المعريّ السيف بالروض لما فيهما من الخضرة، وزاد على ذلك بأن جعله روضا للمنايا، وجعل الدم فيه بدلا من الزهر في الروض، فأوهم المعريّ السامع أن الزهر للروض، لكنه عاد فأوضحه في البيت الثاني والثالث حينما شبه السيف بالنهر وبالنار المستعرة لما فيها من التوقد واللهب، وشبه ما فيه من الوشي بآثار النمل إذا سارت على التراب، وتعجب كيف يمشي النمل على اللهب[1].

ظواهر لغوية وتركيبة في شعر (سقط الزند):

تتسم اللغة العربية بسعة معجمها، وتعدد أساليبها البلاغية، وكثرة قواعدها النحوية والصرفية، فلم يستقر النحويون على قواعد مطردة، فما يقرره البصريون يخالفه الكوفيون، والعربية في تطور مستمر؛ لتواكب متطلبات ومعطيات الحياة الحضارية، لذا فمن الطبيعيّ أن تتطور أساليبها وفنونها البلاغية.

والشعراء في كل العصور يميلون إلى خرق العادة اللغوية في أساليبهم، وعندما يقرر النحويون قواعدهم النحوية الثابتة يحاول بعض الشعراء كسر هذه القواعد، فالنحو قد حدد نظام الجملة وأركانها، وما خرج من هذا النظام وصف بالشذوذ أو الخطأ القياسيّ، وقد وجدت أساليب الشعر من وقف إلى جانبها من النحويين[2]، وقد رأى ابن جنيّ أن استخدام هذه الأساليب ليس دليلا على ضعف اللغة، بل هو تفنن في أساليب التعبير، وتنويع في فنون القول يقتضيها موقف شعريّ معين أو مذهب في التعبير يختصّ به قائله[3].

وكان المعريّ مطلعا على اللغة وأساليبها بشكل واسع، فقد وصفه مترجموه باللغويّ الشاعر؛ إذ تعمق في فصيح الكلام، وأتى من اللغات بما لا يتيسر لغيره، وأودعها كلامه أحسن إيداع، وأبرزها في النظم البديع والأسجاع، ومن هذه الظواهر اللغوية:

أ- **التخفيف(التسهيل):**

وهي ظاهرة لغوية صوتية لدى المعريّ تتم بحذف الحركة أحيانا، أو حذف المقطع، أو حذف جزء من الجملة؛ وذلك ليناسب بين ألفاظ القصيدة والوزن العامّ والموسيقى[4]، وهذه الظاهرة - في رأي ابن جنيّ – دليل على قوة تداخل هذه اللغة وتلاحمها واتصال أجزائها، وتناسب أوضاعها[5]، ومن ذلك إسكانه ياء المنقوص في حالة النصب، كما في قوله:

يهمّ الليالي بعضُ ما أنا مضمرُ ويثقِل رضوَى دون ما أنا حاملِ[6]

(1) التكريتي، **المضامين التراثية**، مرجع سابق، ص 192
(2) زاهد، **لغة الشعر عند المعريّ**، مرجع سابق، ص38
(3) ابن جنيّ، **الخصائص**، مصدر سابق،(311/1).
(4) زاهد، **لغة الشعر عند المعريّ**، مرجع سابق، ص39
(5) ابن جني، **الخصائص**، مصدر سابق، (312/1).
(6) المعري ، **سقط الزند**،مصدر سابق، ص106

وقد حذف حذف نون جمع المذكر السالم من كلمة الخادعي في قوله:

أعيدي إليها نظرة لا مريدة لها البيع واعصمي الخادعي لك بالحال[1]

ب- **الغريب الوحشيّ:** وهو محدود قياسا لاستخدامه النادر والمشترك، ومن ذلك لفظة(المشمعلّ[2]، حمّاء[3]، العلاط[4]، الجعجاع[5]، الغلفق[6]). واستخدامه لصيغة لغوية مكان أخرى، واستخدامه لاشتقاق نادر، أو جمع غير مسموع، كاستخدامه المكِر بدلا من الماكر في قوله:

يحسّ وطء الرزايا وهي نازلة فينهب الجري نفس الحادث المكِرِ[7]

فقد فسره البطليوسيّ على أنها: مبالغة تعني كثير المكر، وقال الخوازميّ: "إني لم أسمعه إلا هنا"[8].

أما محاور معجمه اللغويّ فيمكن أن يكون الليل من أكثر المحاور ذكرا، ومردّ ذلك أن المعريّ فقد بصره في سن الرابعة، فلم يكن يعرف غير اللون الأحمر، كما صرح هو نفسه بذلك، فإحساسه الحادّ بالليل والسواد وفقد البصر ثم في النهار والضوء والبصر أكثر ما يتردد في شعره، وأما صوره الشعرية فكانت ترديدا لآثار قراءاته، وتوليدا لما استخدم قبله، وتزداد حيرته التي انعكست على حيرة النجوم بمحاولة وصفها بدقة، مثل: شكلها، وبريقها، وأسمائها، وأحوالها، وسيرها ومطالعها؛ ليثبت تفوقه رغم فقده بصره[9].

وشعور المعريّ بمصيبة فقد البصر جعل أكبر محاور قاموسه اللغويّ الليل والنهار، وما لازمهما من مفردات، ومن ذلك: إكثاره من ذكر الطيف والخيالات؛ لصلتهما بالليل، حتى تصور نفسه بمستنّ الخيالات[10]، كما في قوله:

ونحنُ بمسُتَنّ الخَيالاتِ هُجّدٌ وهن مواضٍ من بطيءٍ ومُسرعِ[11]

فالليل وتوابعه وصفات وألوانه وحالاته، ثم النهار ولوازمه كانت المحاور الرئيسة في معجمه اللغويّ، فما ذكر الليل وتوابعه إلا ويذكر ما يقابلها من نهار أو لمعان، وكأنه يريد أن يخرج من ليله ولو بخياله، كما في قوله:

---

(1) التبريزي، **شرح سقط الزند**،المصدر نفسه، (981/3).
(2) - تعني السريع يكون في الناس والإبل، انظر: ابن منظور، **لسان العرب**: مادة شمعل.
(3) - تعني الفداء، انظر: ابن منظور، **لسان العرب**: مادة حما.
(4) - تعني سمة في عرض عنق البعير والناقة، انظر: ابن منظور، **لسان العرب**: مادة علط.
(5) - تعني الأرض، انظر: ابن منظور، **لسان العرب**: مادة جعع.
(6) - تعني الخضرة على رأس الماء ، انظر: ابن منظور، **لسان العرب**: مادة غلفق
(7) المعريّ، **سقط الزند**، المصدر نفسه، ص41
(8) التبريزيّ، وآخرون، **شروح سقط الزند**، مصدر سابق: (412/1).
(9) - زاهد، **لغة الشعر عند المعريّ**، مرجع سابق، ص 25
(10) زاهد، لغة الشعر عند المعري، مرجع سابق، ص25-26
(11) – المعري، سقط الزند، مصدر سابق، ص285

أفَوقَ البِدرِ يُوضَعُ لي مِهّادُ أم الجوزاءُ تحتَ يدي وسادُ[1]

فالمحور الرئيس: الليل، الدجى، وتوابعه: النجم، البدر، الجوزاء، الكواكب، وصفاته المقارنة: الظلام، السواد، الحِداد، وما يلحق به: النقع، الرماد، تورّي، الضمائر، أما المحور المقابل الرئيس: الصبح، الصباح، الإصباح، ولوازمه: الضحى، الشمس، الضوء، وصفاته المقارنة: أغرّ، غرّ، البياض، وما يلحقه: النار، نار الزند، الدرّ، الذهب، وهناك كلمات محايدة لا تنضوي أحيانا تحت هذه المحاور في قصيدة أو عدة قصائد، مثل: السبع الشداد، السموات، الأفلاك، وهي تأتي للدلالة على الفخر، والرفعة فقط، ونجد أحيانا محاور قاموسه اللغويّ تتداخل في قصائده، فيكون في القصيدة أكثر من محور، ففي محور الرثاء – مثلا – الذي يكون فيه الموت والحياة محورين رئيسين نجد الحمامة والغراب وصفاتهما وحالاتهما تدخل في مجال المقارنة والتشبيه[2]، ففي قصيدته الدالية التي مطلعها:

غير مجدٍ في ملتي واعتقادي نوحُ باكٍ ولا ترنّمُ شادي[3]

نجد الحمامة تدخل في صورتها وحالاتها وألوانها في الرثاء وإظهار الجزع والتشاؤم من الحياة[4].

ج- الضمير واستخداماته:

وهذا موضع خلاف بين النحويين، ويجوزونه في الشعر للضرورة، كأن يعود الضمير على متأخر، أو قيام الظاهر مقامه، أو ذكره دون ذكر ما يعود عليه، أو استخدام المتصل مكان المنفصل، أو العطف على المتصل، وهذا موجود في الشعر العربيّ بعامة، وسقط الزند بخاصة، فمن عود الضمير على متأخر[5] قول المعريّ:

رُوَيدا عليها إنها مُهَجَاتُ وفي الدهرِ مَحياً لامرئٍ ومَماتُ[6]

فعاد الضمير في (عليها) على(مهجات) المتأخرة، وهذا موجود في القرآن الكريم في قوله تعالى: {فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسى} {الآية" طه:67}، فعاد الضمير في نفسه على موسى المتأخر رتبة، ومنه قول المعريّ أيضا:

تَعَبٌ كلها الحياة فما أعجـــــبُ إلا من راغبٍ في ازدِيادِ[7]

وقد استخدم الضمير دون ذكر ما يعود عليه، وإنما هناك قرائن سياقية دالة عليه، كقوله:

---

(1) - المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص64
(2) - زاهد، **لغة الشعر عند المعريّ**، مرجع سابق، ص27
(3) - المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق،ص96
(4) - زاهد، **لغة الشعر عند المعريّ**، مرجع سابق، ص28
(5) زاهد، **لغة الشعر عند المعريّ**، مرجع سابق، ص43.
(6) - المعري، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص212
(7) - المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص198

فقل لمُجِيلها فوق الأعادي إذا ما لم يَجِد فَرَسَ مَجَالا[1]

فالضمير في مجيلها يعود على الخيل، ولم يرد ذكر لها، وإنما جاءت في وصف الحرب[2].

د- **إضافة الصفة إلى موصوفه:**

وهو أسلوب في التعبير استخدمه المعريّ، كقوله:

يا ساهرَ البرَقِ أيِقِظَ راقد السّمُر لعلّ بالجِزع أعواناً على السّهرِ[3]

وقوله:

ولو تَقدّمَ في عَصر مضى نزلَت في وَصفِهِ مُعجِزاتُ الآي والسّوَر[4]

وأصله: آي وسور معجزات.

وقوله:

به غرقى النجوم فبين طافٍ وراسٍ يستسرّ ويستبانُ[5]

وأصله: النجوم الغرقى.

ز -**استعمال المعريّ للأدوات:**

اللغة العربية غنية بالأدوات المستخدمة لشتى المعاني، فهي بالإضافة إلى أثرها في التركيب فإنها تؤدي معانيَ جديدة وضرورية لفهم الجملة، ومن هذه الأدوات ما هو للوصل والربط، ومنها أدوات للجر، وأخرى للإضافة، ومنها للعطف، وأبو العلاء المعريّ له تصرف واسع في أساليب اللغة وبخاصة الأدوات، ومما استخدمه المعريّ من الألفاظ التي أعطيت حكم غيرها: استخدامه عسى بمعنى لعلّ[6]، في قوله:

عساك تعذر إن قصّرت في مدحي فإن مثلي بهجران القريض عسي[7]

واستخدام لعل مكان عسى في قوله:

لعلك أن تشنّ بها مغارا فتنجح أو تجشمها طرادا[8]

واستخدم المعريّ الكاف مع الضمير المتصل مكان مثل[9]، في قوله:

فأقسم ما طيور الجوّ سحما كهنّ ولا نعام الدوّ روحا[10]

---

(1) - المعريّ، **سقط الزند**، المصدر نفسه، ص 30
(2) زاهد، **لغة الشعر عند المعريّ**، مرجع سابق، ص45
(3) - المعريّ، **سقط الزند**، المصدر نفسه، ص36
(4) المعري، **سقط الزند**، المصدر نفسه، ص39
(5) - التبريزي، **شروح سقط الزند**، مصدر سابق، (209/1).
(6) زاهد، **لغة الشعر عند المعريّ**، مرجع سابق، ص61.
(7) عسي: أي جدير به. المعريّ، **حاشية سقط الزند**، مصدر سابق، ص 142
(8) التبريزي، **شروح سقط الزند**، مصدر سابق (555/2).
(9) زاهد، **لغة الشعر عند المعري**، مرجع سابق، ص63
(10) المعريّ، **سقط الزند**، المصدر نفسه، ص61

فجعل البطليوسيّ شارح السقط ذلك ضرورة؛ لأن سيبويه لا يجوّزها[1].

ع- **الغموض، والتعقيد:**

وقد تجلت هذه الظاهرة من خلال سبيلين متلازمين ومتداخلين، هما:

أحدهما: استخدامه الغريب من الألفاظ وشواردها.

وثانيهما: استخدامه المشترك اللغويّ وما يرد من الألغاز والإيهام، فقد كان المعريّ مولعا باستخدام المشترك اللغويّ، وكذلك استخدامه الصور الغريبة والتراكيب الغامضة التي يكثر فيها التأويلات[2].

وقد تأثر المعريّ بهذا الغموض والتعقيد بأشعار أبي تمام والمتنبي، إضافة إلى استخدامه اللغة متوسعا في أساليبها، ولهجاتها، وقد كان لاتساع خياله وتزاحم الصور الذهنية في نفسه ما يدفعه إلى استخدام أساليب غامضة، ولم يكن للنقاد العرب موقف واحد من هذا الغموض، فمنهم من ذمّه سواء في مجال الألفاظ أو الغموض الفنيّ في فهم الصورة الشعرية، ودقيق المعنى، ومنهم من عدّه من الشعر الجيد[3].

فقد وقف شرّاح سقط الزند إزاء صور وأساليب في شعره، واختلفوا في تفسير ذلك، ففي قول المعريّ:

يا ساهر البرق أيقظ راقد السمر لعل بالجزع أعوانا على السهرِ[4]

ففي صدر هذا البيت يوجد غموض، يمكن أن يفسر على عدة مذاهب–كما ذهب شراحه- (راقد السمر)، فالسمر له معنيان: السمر بمعنى السهر والمسافر في الليل، والآخر: السمر وهو شجر ورقوده: يُبْسُه، فهو يسأل البرق الذي يبشر بالمطر ان يوقظ الشجر اليابس بالأخضرار. فساهر البرق شرحه المعريّ والتبريزيّ من قول العرب: ليل نائم؛ أي ينام فيه، فإذا قيل: برق ساهر؛ أي يسهر عليه من رآه، أو أن تكون حركة البرق ولمعانه يقظة وسهرا[5].

وهكذا يكون الغموض المتأتي من تركيب الألفاظ دون تعقيد إلا أنها تؤدي إلى صورة يمكن أن تؤدي إلى عدة تفسيرات، وهذا اللون من تحصيل المعنى هو ما قصده الجرجانيّ حين قال عن المعنى:" وما كان منه ألطف كان امتناعه عليك أكثر، وإباؤه أظهر، واحتجابه أشدّ"[6].

---

(1) التبريزيّ، **شروح سقط الزند**، مصدر سابق (265/1).
(2) زاهد، **لغة الشعر عند المعري**، المصدر نفسه، ص76
(3) زاهد، **لغة الشعر عند المعريّ**، مرجع سابق، ص79.
(4) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص36.
(5) التبريزيّ، **شروح سقط الزند**، مصدر سابق، (114/1).
(6) الجرجانيّ، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد(ت: 471هـ)، **أسرار البلاغة**، دار المطبوعات العربية، مصر، ب، ت، ص 126.

ويرى شوقي ضيف أن المعريّ كان يُعنى عناية شديدة بجمع الأفكار والصور القديمة، وحشوها في أشعاره، وكان يؤلف شعره للمثقفين خاصة، فهو يجمع لهم كل ما يعرفونه من ضروب الثقافات، وبخاصة الفنية منها، وما يطرأ فيها من صور غريبة، ولفظ غير مألوف؛ حتى يستولي على أفئدتهم بهذه الطرائف النادرة، التي كانت تعدّ بدعا جديدا؛ ليتوصل النقاد بها إلى مهارة الشاعر، وإبداعه، إضافة إلى أنه كان مرهف الحسّ، سريع الحفظ.[1]

وقد بدأ أبو العلاء حياته الفنية في الشعر بتقليد المتنبي؛ إذ كان يتعصب له تعصبا شديدا، وديوانه(سقط الزند) خير ما يفسر هذا الطور من تقليده هذا، فتراه ينظم على طريقة المتنبي، إذ يعتدّ بالغريب الشاذ في التراكيب، كما يعتدّ بالتصنع لألفاظ الثقافات المختلفة، والتغني بالفيافي، والإكثار من الحكم والأمثال، وأشعار الفخر بذاته، وذمّ الدهر، وكثرة الشكوى من صروفه ومحنه على نحو ما رأيناه عند المتنبي، وكان لا يضيف جديدا إلا عنايته بالجناس، وبقي أبو العلاء على هذه الحال حتى استوى عوده، وتبيّن نفسه، واستقل عن المتنبي، فألف لزومياته.[2]

وهكذا أفنى أبو العلاء خمسين عاما في عزلته بالبحث والدرس، وربما كان لضيقه من الحياة أثر كبير في طموحه للتفوق، وذلك عن طريق تعقيد فنه بمهارات فائقة، وإنه كان يفزع إلى ضروب من العبث في فنه؛ للهروب من واقعه المرير، فهو يسرف في استخدام الغريب، وأوابد الكلام، والأمثال، والإشارات التاريخية، فقد تحوّل أبو العلاء من مذهب التصنيع إلى مذهب التصنّع، فتراه يخرج أساليبه موشاة بطرائف جديدة لا صلة بينها وبين التصنيع، مستخدماً ألفاظا غريبة مهجورة، كما يؤصّلها على اللفّ والدوران، وبسط الأساليب؛ حتى تتسع لأكثر ما يمكن من الألفاظ[3].

غ- مصطلحات العلوم والفلسفة والرموز التاريخية:

فقد امتلك المعريّ معارف متعددة، وظفها في قصائده من خلال: الإشارات، والإيحاءات، والتلميحات، والرموز، حتى جعل البطليوسيّ - أحد شراح سقط الزند- يذهب إلى القول:" إن المعريّ سلك في شعره غير مسلك الشعراء، إذ ضمن شعره نكتا من النحل، والآراء، وأراد أن يظهر معرفته بالأخبار ، والأنساب، وقدرته على التصرف في جميع أنواع الآداب[4]"

وقد نضجت لدى أبي العلاء المعريّ تجربتا المتنبي وأبي تمام في تطويع اللغة، فجعلها تتسع للأفكار، والفلسفة، والتأمل، ما جعله يكثر من هذه المصطلحات في ديوانه(سقط الزند)؛ حتى لنجد القصيدة مثقلة بالمصطلحات النحوية، والصرفية، والفقهية، والعروضية، والرموز الدينية،

---

(1) ضيف، شوقي، **الفن ومذاهبه في النثر العربي**، مرجع سابق، ص379.
(2) ضيف، **الفن ومذاهبه في النثر العربي** ، مرجع سابق ، ص380.
(3) ضيف، **الفن ومذاهبه في النثر العربي** ، مرجع سابق، ص 268- 269.
(4) التبريزيّ، **شروح سقط الزند**، مصدر سابق، (15/1).

والتاريخية، والأسماء، والإشارات، والأساطير، والأمثال، ما جعل شراح (سقط الزند) يطيلون في شرح البيت الواحد، فيستغرق هذا الشرح صفحات في بيان ما تضمنه من: قصة، أو مثل، أو الإشارة إلى مصطلح نحويّ، أو عروضيّ، فربما صرح بالشيء تصريحا، أو يلمح إليه تلميحا، والمعريّ يتعامل مع اللغة تعاملا وجدانيا وعقليا؛ حتى لا يبقى جزء منها خافيا عليه؛ مستفيدا من ذكائه المفرط، وسعة حافظته، ودقة إحساسه، وسعة خياله، فلم يستطع أن يعلن كل ما في نفسه؛ لذلك اتخذ من اللغة أقنعة لأفكاره وخواطره[1].

ص- **الصيغ والتراكيب:**

اهتم المعريّ بألفاظه، وتراكيبه، وصيغه اللغوية، وكان يستخدم أحيانا صيغا نادرة في الاستعمال ليظهر قدرته على الإبداع والتخيل، وكان يجيد اختيار الألفاظ الخاصة ليوجد إيحاءات شعورية قوية لدى المتلقي، ومن ذلك قوله لأحد الممدوحين:

وتحسدك البيض الحوالـي قلادة بجيدك فيها من شذا المسك تمثالُ

ظلمن وبيت الله كم من قلائد تؤازرها سـور لهن وأحجالُ[2]

فقد استخدم لفظة الجمع(سورٌ) بدلا من الجمع أساور للمفرد سوار للدلالة على الحالة النفسية وغرض القصيدة؛ إذ وصف أبو العلاء طوق حبيبته بأنه يشبه طوق الحمامة الأسود الذي رائحته كالمسك، ويقول: إن النساء ذوات الحلي قد ظلمن حبيبته حين حسدنها على قلادتها التي لا تملك غيرها مع أنهن يتزينّ بالقلائد والساور وهذا يغنيهن عن الحسد[3].

ومنه استخدام المعريّ صيغة (فُعال) بدلا من (فعيل) عند وصفه الغراب بالخفة فقال (خفاف) بدلا من خفيف؛ إذ يقول[4]:

لا خاب سعيك من خُفاف أسحمِ كسحيم الأسديّ أو كخفافِ[5]

ظواهر فنية في تركيب سقط الزند الشعريّ:

لم يقف فقدان البصر حاجزا أمام تفوق المعريّ شعريا، فقد أوى إلى محراب اللغة بعد أن أكمل بناءه الثقافيّ والعلميّ، كما وعى وحفظ كل ما وصلت إليه يده، أو سمعته أذنه من معارف وثقافات، وبخاصة اللغوية منها، لذا يمكن القول: إن تجربة القصيدة عند المعريّ ذهنية ثقافية، وقد تأثر المعريّ بالشاعرين الكبيرين المجيدين: أبي تمام والمتنبي، وكان المتنبي أقرب إلى روحه، فقد كان طموح المتنبي في الحياة عاليا، وواجه الحياة بنفس كبيرة، فتعبت الأيام من مراده،

---

(1) - زاهد، **لغة الشعر عند المعري**، مرجع سابق، ص83- 84.

(2) - المعري، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص 246.

(3) – التكريتي، المضامين التراثية، ص185-186.

(4) - والخفاف: الخفيف، والأسحم: الأسود، وسحيم الأسديّ هو الشاعر عبد من بني الحسحاس، وخفاف: ابن ندبة أحد فرسان العرب وشعرائها. المعري، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص 252.

(5) المعري، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص 252.

فاصطدم بالحساد والظالمين حتى سقط قتيل كبريائه، وأما المعريّ فقد واجه الحياة بفكره، واصطدم بالحساد والمتحكمين فازداد تمردا، فكثرت جولاته الفكرية، ومعاركه العقلية في عالم غير عالم الواقع[1].

وأما الحديث عن الظواهر الفنية في تركيبه الشعريّ وبناء القصيدة لديه فقد كان كثير الاعتماد على مخزونه الثقافيّ الواسع في الصور، والمجازات، وألوان المعارف الأخرى؛ ساعيا إلى التفوق على أستاذه المتنبي القائل:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صممُ[2]

فظنّ المعريّ أن المتنبي قد عناه بقوله ذلك، فأجابه بما يفوق هذا القول:

وإني وإن كنت الأخير زمانه لآت بما لم تستطعه الأوائلُ[3]

وفعلاً، فقد وفّى المعريّ، وصدق في وعده، فجاء بما لم تستطعه الأوائل من الظواهر الفنية، والتراكيب الشعرية[4]، ومن ذلك:

1- **التكرار:**

للتكرار دور في الشعر القديم والحديث، فللشاعر موقف عاطفيّ ووجدانيّ يدفعه إلى التكرار لتوكيد هذا الموقف، ولما للتكرار من دور في استمرارية الموسيقى.

وقد اهتم المعريّ بلغته الشعرية، كما اهتم باللفظة وتصريفها، ودلالاتها، ومخارج أصواتها، فضلا عن اهتمامه بالجملة والتركيب في شعره، لذا جاءت لغته الشعرية قوية معبرة موحية، وكان المعريّ يتبع أساليب لغوية مختلفة لتقويتها، والتكرار أحد الأساليب التي استخدمها المعريّ، فقد كان يكرر اسم حبيبته، أو المكان الذي يرتحل إليه ليدل على منزلتهما في وجدانه، وقد تحدث النقاد القدماء عن التكرار لانعكاسه على العمل الأدبيّ والفنيّ والإبداعيّ[5].

والشاعر المجيد هو الذي يعبر بالألفاظ التي توحي له بالمشاعر الجياشة والحالة النفسية التي يعيشها، والتكرار يسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة، ويكشف عن اهتمام المتكلم بها وهو بهذا المعنى ذو دلالة نفسية قيمة، تفيد الناقد الأدبيّ الذي يدرس الثر ويحلل نفسية كاتبه[6].

ولقد استخدم المعريّ التكرار بكثرة؛ ليقوي لغته الشعرية، وليؤكد الموضوع الذي يتحدث عنه، وكان يراعي في تكراره أثر اللفظة المكررة في المجانسة بين اللفظة وإيقاعها الداخليّ للقصيدة، وأثرها في الوزن العامّ، ومن ذلك تكرار حرف العين في قصيدته الدرعية[1]؛ إذ يقول:

---

(1) زاهد، **لغة الشعر عند المعري**، مرجع سابق، ص 70
(2) االمتنبي، ديوان المتنبي، مصدر سابق، ص323.
(3) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص 106
(4) زاهد، **لغة الشعر عند المعريّ**، مرجع سابق، ص70.
(5) التكريتي، **المضامين التراثية**، مرجع سابق، ص180
(6) -نازك الملائكة، **قضايا الشعر المعاصر**، مصر ، دار النهضة، 1967م، ص242.

ما فَعَلَت دِرعُ والِدي، أجَرَت في نَهَرٍ أم مَشَت على قَدَمِ؟
أم استُعيرَت من الأراقِمِ فارتَـدّت عواريها بنو الرقِم؟[2]

فقد جاء تكرار حرف العين ليعطي القصيدة قوة، وخيالا واسعين، فهو صوت مجهور يعدّ متوسطا بين الرخاوة والشدة[3]. وقال الخليل بن أحمد الفراهيديّ :" إن العين والقاف لا تدخلان في بناء إلا حسنتاه؛ لأنهما أطلق الحروف وأضخمهما جرسا[4]"، وكرر المعريّ في تلك القصيدة حرف الميم، والنون كثيرا، وقد أشعرنا بأهمية هذه الدرع، ويعود ولع تكراره (حرفي الميم والنون) إلى أن هذين الحرفين من أكثر الحروف ارتباطا بالصوت وتلطيفه[5]، فهما حرفان يصاحبان الغنة، وهي نغم شجيّ تعشقه الأذن، وتلذّه النفس، ولذلك يكرّر دخوله في تركيب ألفاظ اللغة تطريبا وتشجية[6].

ومن ألوان التكرير عند المعريّ تكراره الكلمة الواحدة لتأكيد هذه اللفظة، والرباط الوثيق الذي يجمعها مع الألفاظ والتراكيب الأخرى، فكان أبو العلاء يوجد نوعا من التجنيس اللفظيّ البديعيّ الذي هو سمة بارزة لشعره، كما في قوله:

تَوَدّ غِرار السيف من حبها اسمه وما هي في النوم الغرارِ بطَمّعِ
مَطا، يا مَطايا وجدَكَن مَنــازلُ مَنًى زَلّ عنها ليس عنّي بمُقلِع
تُبينُ قراراتِ المِيــــاهِ نواكزاً قَواريرُ في هامـــــاتِها لم تُلَفَّعِ[7]

فقد كرر لفظة(الغرار) مرتين، وكلمة الغرار لفظة مشتركة سمى المعريّ بها حدّ السيف، كذلك أطلقها على النوم القليل الذي تقاسيه تلك الإبل المتعبة، وكرر كلمة(مطا، يا مطايا) مرتين للتجنيس، وكذلك(منى زلّ، منازل) للتجنيس، و(قرارات، قوارير) جناس ناقص، والقوارير عيون الإبل شبهها بالقوارير المعهودة، وهو بهذا يظهر قدرته اللغوية، والتصرف بها لما يناسب الجو العام، وأحيانا يكرر المعريّ التركيب وهو ما يسمى(ردّ الصدر على العجز في التركيب والمفرد)[8]، كما في قوله:

---

(1) التكريتي، **المضامين التراثية**، مرجع سابق، ص181
(2) - المعري، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص 351.
(3) -الزيديّ، كاصد، **فقه اللغة العربية**، الموصل، دار الكتب العامة، 1987م، ص 484.
(4)-الفراهيديّ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصريّ (المتوفى: 170هـ)، **كتاب العين**، بغداد ، دار الرشيد، 1980م، (53/1).
(5) التكريتي، **المضامين التراثية**، مرجع سابق، ص182
(6)- السعيد، عزالدين علي، **التكرير بين المثير والتأثير**، بيروت عالم الكتب، 1986م، ص15
(7) - المعريّ، **سقط الزند**، مصدذر سابق، ص 286
(8) التكريتي، **المضامين التراثية**، مرجع سابق، ص183

فليس بشاغِلِ اليُمنى حُسامٌ وليس بشاغِل اليُسرىَ عِنانُ[1]

فكرر عبارة (ليس بشاغل) مرة في الصدر ومرة في العجز ليظهر قدرة ممدوحه على القتال[2].

ولقد اتخذت ظاهرة التكرار مجالها في بناء القصيدة لدى المعريّ في كثير من المواقف، فقد استخدمها بكل أشكالها وأنواعها المعروفة التي شاعت في عهده لدى الشعراء، فعلى سبيل المثال: استخدم المعريّ التكرار اللفظيّ والمعنويّ في مجال الألفاظ ، والعبارة، والتكرار في الصور والتشبيهات؛ إضافة إلى تكرار الحروف؛ وذلك لتقرير المعنى المراد، وإثباته، فمن تكرار الألفاظ استخدامه لفظة (تكاد) ثلاث مرات في ثلاثة أبيات متتالية[3]، كما في قوله:

تكادُ قِسِيّهُ مِن غير رامٍ تُمَكّنُ من قُلُوبِهِمُ النّبالا

تكادُ سُيوفُهُ مِن غَير سَلّ تُجِدُّ إلى رِقابِهم انِسلالا

تَكاد سَوَابِقٌ حَمَلْتُهُ تُغني عنِ الأقدارِصَوناً وابتِذالا[4]

بالإضافة إلى تكرار حروف مثل(من) ثلاث مرات، وتكرار لفظة(سلّ)و(انسلالا) للتجنيس، وتكرار حرف السين في البيت الثاني ثلاث مرات وما يترتب على ذلك من قيم صوتية، وموسيقية مناسبة للفعل(تكاد)، وكلّ ذلك لم يكن من التكرار الثقيل[5].

2- الكناية:

وهي أن تتكلم بشيء وتريد غيره، وقد حددها ابن الأثير بقوله:" أما الكناية فقد حدت بحدّ، فقيل: هي اللفظ الدالّ على الشيء على غير الوضع الحقيقيّ له لوصف جامع بين الكناية والمكنى عنه[6]"

أما قدامة بن جعفر فسماها الإرداف، فقال:" الإرداف أو الكناية هو أن يريد الشاعر الدلالة على معنى من المعاني فلا يأتي باللفظ الدالّ على ذلك المعنى، بل بلفظ يدلّ على معنى هو ردفه وتابع له[7].

وأما عبد القاهر الجرجانيّ فهو يرى أن الكناية:" إرادة المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه أو ردفه في الوجود فيومئ إليه به ويجعله دليلا عليه مثل قولهم:"طويل النجاد" يريد"طويل القامة[8]"

---

(1) - المعريّ، **سقط الزند**، المصدر نفسه، ص52

(2) - التبريزيّ، **شروح سقط الزند**، مصدر سابق (216/1).

(3) زاهد، لغة الشعر، مرجع سابق، ص88

(4) - المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص23-24.

(5) - زاهد، **لغة الشعر عند المعري**، مرجع سابق، ص 88.

(6) - ابن الأثير، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، مصدر سابق ، ص50

(7) - ابن جعفر، قدامة، **نقد الشعر**، مصدر سابق، ص157

(8) - الجرجانيّ، عبد القاهر، **دلائل الإعجاز**، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 200م، ص113.

3- التورية:

وهي في الاصطلاح:" ذكر لفظ له معنيان إما بالاشتراك أو التواطئ أو الحقيقة المجازية، أحدهما قريب غير مقصود، وآخر بعيد مقصود، ويوري المتكلم عنه بالقريب، فيتوهم السامع أنه يريد القريب، ولذا يسمى إيهاما[1]"، ومن ذلك قول المعريّ:

إذا صَدَقَ الجَدُّ افتَرى العَمّ للفتى مكارِمَ لا تُكري وإن كذب الخالُ[2]

فالسامع يتوهم أنهم من الأقارب، بينما مراده الجد: الحظ، والعمّ: الجماعة، والخال: المخيلة.[3]

أنماط الصورة الشعرية لدى المعريّ:

أ- الصورة البيانية:

كانت الصورة الشعرية لدى المعريّ إحدى الوسائل الفاعلة في تصوير حالته النفسية، ولم يقف العمى عائقا أمام تشكيل الجمال الإبداعيّ لديه، ولم تكن الصورة الجزئية التي استخدمها منفصلة عن الجو العام للقصيدة أو الصورة الكلية؛ لأنها إذا انفصلت فقدت دورها الحيويّ في الصورة العامة[4].

وقد اعتمد المعريّ في إيجاد الصورة الشعرية على معطيات الصورة التراثية التقليدية التي تمثلت في الصور البلاغية [5]، وهي كما يأتي:

1- الصورة القائمة على التشبيه:

التشبيه: هو الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى ما لم يكن على وجه الاستعارة أو الكناية، أو التجريد[6]، وقد اتفق العقلاء على شرف قدره، وفخامة أمره في فن البلاغة، وإن تعقيب المعاني به- لاسيما قسم التمثيل منه - يضاعف قواها في تحريك النفوس إلى المقصود به؛ مدحا كان، أو ذما، أو افتخارا، أو الانتقال من المعقول إلى المحسوس، ومنه أن يأتيك من الشيء الواحد بأشياء عدة، والنقصان عند الكمال[7]، كقول المعريّ:

وإن كنت تبغي العيش فابغ توسطاً فعند التناهي يقصر المتطاول

توقى البدور النقص وهــي أهلة ويدركها النقصان وهي كـــواملُ[8]

---

(1) - الرباعي، **بنية اللغة الشعرية في شعر أبي العلاء المعريّ** ، مرجع سابق، ص 46

(2) - المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، 249

(3) - المعريّ، **سقط الزند**، المصدر نفسه، ص121

(4) - إسماعيل، عزالدين، **التفسير النفسيّ للأدب**،بيروت، دار الثقافة، 1991م، ص 100.

(5) التكريتي، **المضامين التراثية**، مرجع سابق، ص231

(6) القزوينيّ، **الإيضاح في علوم البلاغة**، مصدر سابق (16/4).

(7) القزويني، **الإيضاح في علوم البلاغة**، المصدر نفسه، (19/4-28)

(8) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص111

وأحسنه تشبيه التمثيل: وهو ما وجهه وصف منتزع من متعدد، والخلاصة أن التشبيه "رسم صور فنية دقيقة، وكل ما يدركه الحسّ، ويتأثر به الوجدان، أو يفكر فيه العقل، وهو تصوير الأشياء بصورة الخيال الدقيق، وإبراز صورة أدبية مطابقة كل المطابقة لما تصوره من حسيات، ووجدانيات، ومعنويات"[1].

وهي صفة تستدعي جودة القريحة والحذق الذي يلطف ويدِقّ، وكلما كانت الصورة أبلغ في التعبير عنها عما ترمز إليه كان شأنها أعجب، والحذق لمصورها أوجب[2]، وقد سار القرآن الكريم بأسلوب التشبيه إلى غاية بعيدة من الصدق والقوة، وروعة التأثير، وجودة التصوير، وتقرير وجه الشبه بين الأشياء، وإبراز المعاني البعيدة في صورة حسية مألوفة، وبلغ في ذلك غاية الإيجاز، ومنتهى الإعجاز، مثل قوله تعالى: {وَلَهُ الْجَوارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلامِ} {الآية" الرحمن:24}، ولما شاعت الدقة والمبالغة في الشعر لم يرض عن ذلك كثير من النقاد، وتكرار التشبيه عند الشعراء يقلل من قيمة التشبيه، فقد دخل الأخطل على عبد الملك بن مروان، فقال له عبد الملك: إن كنت شبهتني بالأسد والصقر والحية فلا حاجة لي بمدحك[3].

وقد ذكر ابن رشيق أهمية التشبيه في العمل الأدبيّ، إذ أشار إلى أن التشبيه والاستعارة يخرجان الأغمض إلى الأوضح، ويقربان البعيد[4].

وقد استخدم المعريّ التشبيه بكثرة في ديوانه(سقط الزند) ليبرز الصورة الشعرية، ويوضح الفكرة، وليعبر عن مشاعره، ويؤثر في المتلقين كما في قوله:

وليل كذئب الفجر مكرا وحيلة أطلّ على سفر بحلة أدرعِ[5]

فقد شبه المعريّ الليل بذئب الفجر بجامع المكر والحيلة، وخص ذئب الفجر لأنه أكثر ما يتعرض للقطيع بعد أن تنام الكلاب لطول سهرها، وقول المعريّ(حلة أدرع): قصد أن الليلة الدرعاء التي اسودّ أولها وابيضّ آخرها تكون للمسافر أفضل من الليلة الدهماء[6].

2- الصورة القائمة على الاستعارة:

والاستعارة من الأساليب البلاغية التي تطرق إليها النقاد القدماء، فهي عند الجرجانيّ:" ضرب من التشبيه، ونمط من التمثيل، والتشبيه قياس، والقياس يجري في ما تعيه القلوب، وتدركه العقول، وتسفتى فيه الأفهام والأذهان، لا الأسماع والآذان[7]".

---

(1) القزوينيّ، **الإيضاح**، مصدر سابق، (131/4).
(2) - القزوينيّ، **الإيضاح**، المصدر نفسه، (132/4).
(3) - القزويني، **الإيضاح**، مصدر سابق، (137/4).
(4) - ابن رشيق، **العمدة**، مصدر سابق(287/1).
(5) - المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، 287
(6) التكريتي، **المضامين التراثية**، مرجع سابق، ص232
(7) - الحرجانيّ، **أسرار البلاغة**، مصدر سابق، ص25

أما السكاكيّ فعرّف الاستعارة بأنها: ذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدّعيا دخول المشبه في جنس المشبه به، دالا على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به[1].

وجعل ان رشيق الاستعارة أفضل المجاز، وليس في حلى الشعر أعجب منها، وهي من محاسن الكلام إذا وقعت موقعها[2]. والاستعارة في العمل الأدبيّ تفيد في شرح المعنى، وتفعل في النفس ما لا تفعله الحقيقة، وتؤكد المعنى، والمبالغة فيه، والإيجاز، وتحسين المعنى، ثم هي طريقة للتوليد، والتجديد، لأنها تكشف عن صور جديدة، ومعان بديعة[3].

وقد جعل المعريّ الاستعارة أحد أنماط الصورة الشعرية في ديوانه(سقط الزند)، واستقى من خلالها قوة الإيحاء والتعبير، وسعة الخيال، ومن الاستعارة قوله:

رماك الله من نوق بروق من السنوات تثكلك الإفالا[4]

فقد استعار للسنوات العجاف أسنانا طويلة تأكل الشيء، ودعا على هذه الإبل، وترى التكريتي أن المعريّ استخدم الاستعارة للتعبير عن تجربته الذاتية، وهمومه وشعوره الوجدانيّ الذي أخفاه وراء ألفاظه[5].

3. الصورة القائمة على الكناية:

الكناية من الأساليب البيانية الفنية التي تضفي على المعنى جمالا وقوة، والكناية عند السكاكيّ هي:" ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما هو ملزومه لينتقل من المذكور إلى المتروك[6]"

والكناية لها أهميتها البالغة في العمل الأدبيّ، حيث تظهر المعنويّ في صورة المحسوسات، وتحمل نوعا من الرمز والإيحاء؛ لتندفع النفس للكشف عن الغموض، وإدراك المعنى الحقيقيّ، ومن كنايات المعريّ الجميلة قوله:

ولا فتنة طائيـــــــة عامرية يُحرّق في نيرانها الجعدُ والسبط[7]

فقوله: (يُحرّق في نيرانها الجعد والسبط) كناية عن إفناء الجميع، فهذه الحرب لا تبقي على أحد، وأن نيران هذه الحرب ليس الحطب، وإنما العرب والعجم[8].

---

(1) - السكاكيّ، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي أبو يعقوب (ت 626هـ)، **مفتاح العلوم**، تحقيق: أكرم عثمان، ط1، بغداد السلام، 1982م، ص 599

(2) - ابن رشيق، **العمدة**، (268/1).

(3) - مطلوب، أحمد، **فنون بلاغية** ، الكويت، دار البحوث العلمية، 1975م، ص160

(4) - المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص 24

(5) التكريتي، **المضامين التراثية**، مرجع سابق، ص237

(6) - السكاكي، **مفتاح العلوم**، مصدر سابق، ص 637

(7) -المعريّ ، **سقط الزند**، مصدر سابق، 301

(8) التكريتي، **المضامين التراثية**، مرجع سابق، ص239

4- التشخيص:

يرى عماد علي الخطيب أن مصطلح التشخيص يعني: إكساب الجماد وما في حكمه من نبات أو أشجار أو مياه بعض صفات الإنسان، وأما مصطلح التجسيم فيعني: نقل ما هو معنويّ إلى صورة المحسوس، أو تحويل المعنويات من مجالها التجريديّ إلى مجال آخر حسيّ، ثم بث الحياة فيها، وجعلها كائنات حية تنبض[1].

وقد استخدم المعريّ أسلوب التشخيص في كثير من قصائده عند تصويره لعناصر الطبيعة، كما سيأتي:

أ- التشخيص في لوحة الليل:

كان الليل لدى الشعراء مبعثا للقلق، والهمّ، والحزن، والخوف، والوحشة، والاضطراب، وقد أفشوا هذه المشاعر والأحاسيس على شكل أنّات، وشكاوى، والتماسات، ورجاءات بانجلاء الليل وظهور الصبح، وقد ورث الشعراء اللاحقون هذه النظرة بعامة عبر العصور، فقد أصبح الليل رمز التشاؤم والحزن.

أما أبو العلاء المعريّ فقد كان الليل عنده أكثر ظلمة ووحشة، أملتها عليه فلسفته ونظرته إلى الحياة، وقد استخدم المعريّ أسلوب التشخيص في وصفه لوحة الليل البهيم في صحراء العراق أثناء رحلته بين الشام وبغداد، وقد بالغ في وصف شدة الظلام، والحرّ، وكثرة الغبار، وجعل التشخيص ماثلا في كل بيت من قصائده؛ إذ يقول:

بلاد يضلّ النجمُ فيها سبيـــــله ... ويثني دجـــــاها طيفها عن لمامه

حنادس تعشي الموت لولا انجيابها ... عن المرء ما همّ الردى باخترامه

رجا الليـــــل فيها أن يدوم شبابــه ... فلما رآها شاب قبل احتلامه[2]

فأنت ترى لوحات الليل شاخصة في كل بيت، فقد استعار للنجم في البيت الأول فعل الضلال والتيه(يضلّ) في مساره لشدة الظلام، والطيف فيها لا يستطيع الإلمام بمزوره، فكيف ممن سواه من البشر أن يهتدي؟!، ولقد بعث الشاعر الحياة في الموت في البيت الثاني، وأنسنه؛ إذ استعار له لفظ العشى(العمى الليليّ) والهمّ، فظلمات هذه الصحراء تذهب بصر الموت، ولولا انقشاعها أحياناً لما استطاع أن يرى من يأخذه، وختم بأن بعث في الليل حياة إنسانية، فهو يرجو أن يظل شابا في ريعان شبابه، ولكنه لما رأى تلك الصحراء الموحشة شاب قبل أوانه[3].

---

(1) - الخطيب، عماد علي، **في الأدب الحديث ونقده**، دار المسيرة، عمان، 2011، ص335-337.

(2) - المعريّ، **ديوان سقط الزند**، مصدر سابق، ص142.

(3) الدرابسة، عاصم زاهي مفلح، **بنية اللغة الشعرية في شعر أبي العلاء المعريّ**، الأردن، إربد، جامعة اليرموك، رسالة دكتوراة غير منشورة، 2012م، ص 248.

ويقول المعريّ في قصيدة أخرى واصفا الليل، ويجعله إنسانا يبكي على ما يكابده من آلام، وقد أفلت النجوم نحو المغرب، توشك على الرحيل في مشهد حزين:

وقد أغتدي والليل يبكي تأسفا على نفسه والنجم في الغرب مائلُ[1]

ففي هذا البيت صورة إبداعية ذهنية أحالها المعريّ إلى لوحات رائعة، ينتقي ظلالها وألوانها، ويرسم حركاتها، ويجعلها حية نابضة بالأحاسيس الخاصة المجسدة فيها، فالليل هنا عامّ، أحسّ الشاعر المعريّ بأنه على وشك الانجلاء الذي عنده هو الموت، فهو يبكي على شبابه الذي لم يدم، وقد شخص أنفاسه المتمثلة في النجوم التي أذنت للغروب، ومالت نحو الغرب[2].

وإن جمع الشاعر بين التشخيص والتشبيه يضفي على الصورة مزيدا من الجدّة والحيوية والطرافة، يقول الهاشميّ:"تنشأ بلاغة التشبيه أنه ينتقل بك من الشيء نفسه إلى شيء طريف يشبهه، أو صور بارعة عنه تمثله، وكلما كان هذا الانتقال بعيدا قليل الخطور بالبال، أو ممتدا بقليل أو كثير من الخيال كان التشبيه أروع للنفس، وأدعى إلى الإعجاب والاهتزاز[3]".

ب – **التشبيه في لوحة النجوم والكواكب:**

لقد جذبت هذه النجوم وتلك الكواكب، وذلك الليل قريحة المعريّ إليها، فصاغها لحنا جميلا، وألفاظا عذبة رقراقة، وصورا بديعة مغبرة، وتفاعل معها، فرسم لها لوحات فنية ماتعة، وذكر ما كان فيها من عظمة وحكمة، ففي لوحة شعرية فنية موحية يصف المعريّ الليل أثناء رحلته إلى بغداد فيشخص فيها كل جامد من النجوم، ويجسد فيها كل هامد من الكواكب، وينطق فيها كل صامت من السماء؛ إذ يقول:

وليلـةٍ سرتُ فيهـا وابن مزنتها كميّت عـاد حيا بعدما قُبضـــا
كأنما هي إذ لاحت كواكبهـا خود من الزنج تجلى وشّحت خضضا
كأنما النسرُ قد قـصت قوادمه فالضعف يكسر منه كلما نهضـــا
والبدر يحتثّ نحو الغرب أينقه فكلما خاف من شمس الضحى ركضا
ومنهلٍ ترد الجـــــوزاء غمرته إذا السماكان شطر المغرب اعترضا
وردته ونجوم الليـــل وانيةٌ تشكو إلى الفجر أنْ لم تطعمِ الغمضا[4]

ويلاحظ القارئ لهذه الأبيات أنه أمام لوحة فنية حية، فاتنة بصورها، باهرة بشخوصها، فالقمر (ابن مزنتها) كأنه ميّت عاد حيا، فهو يختفي مرة ويعود مرة أخرى، والليلة فتاة زنجية

(1) - المعريّ، **ديوان سقط الزند**، مصدر سابق، ص108.
(2) - الدرابسة، عاصم زاهي مفلح، **بنية اللغة الشعرية في شعر أبي العلاء المعريّ**،مرجع سابق، ص249.
(3) - الهاشميّ، **جواهر البلاغة**، مرجع سابق، ص314.
(4) - المعريّ، **سقط الزند** ، مصدر سابق، ص131-132.

سوداء موشحة باللآلئ والخرز الأبيض، وهي ليلة طويلة، عبر عنها المعريّ بالنسر، وهي مجموعة من النجوم مقصوصة الجناح لا تتحرّك، وفي كلمة(النسر) إيهام وتلغيز، والبدر إنسان يسوق إبله نحو الغرب يخاف طلوع الشمس، فهو يسرع في حثها على السير، ويجسّد المعريّ الغدير الذي وردته الإبل لتشرب وقت ظهور السماكين: الرامح والأعزل من جهة الغرب، فكأنهن فتيات لا يقدرن على السير؛ لأنهن لم يذقن طعم النوم ليلا.[1]

ج- **التشخيص في لوحة الحيوان والطير:**

لقد عرف الإنسان كثيرا من هذه الحيوانات، والطيور، وصفاتها، وطباعها، فألِفَ بعضها، واستوحش من البعض الآخر، وجعل بعضها موضوعا لقصائده، فشبهها، ووصفها، وشخصها، وتفاعل معها، وضمنها قصائده، فقد وصف الفرزدق الذئب، وحاوره، وأشركه في عشائه؛ إذ يقول:

وأطلسَ عسّالٍ وما كان صاحبا دعوت بناري موهناً فأتاني
فلما دنا قلت: ادنُ دونك إنـــني وإيّاك في زادي لمشتركانِ
وأنت امرؤ يا ذئب والغدر كنتما أخيين كانا أرضعا بلبانِ[2]

ومع ذلك تظل الإبل، والخيول، والظباء، والمها، والأسود، والصقور، والحمام، والقطا من أكثر الحيوانات ذكرا وتشبيها وتشخيصا عند الشعراء، ولقد ذكر المعريّ أصنافا كثيرة من الحيوانات والطير، وشخصها، ومن أشهر قصائده اللامية التي شخص فيها رحلته مع الإبل، وتفاعل معها، وبادلها همومه، ومشاعره[3]، إذ يقول:

طربن لضوء البارق المتعالي ببغداد وهنا ما لهن ومـــــالي
إذا طال عنها سرها لـو رؤوسها فمدّ إليه في رؤوس عـــــوالِ
تمنت قويقا والصراة حيالهـــا تراب لها من أينق وجمـــالِ
إذا لاح إيماض سترت وجوههـا كأنيَ عمرو والمطـــيّ سعالي
وكم همّ نضو أن يطير مع الصبا إلى الشام لولا حبسه بعقـــالِ
لقد زارني طيف الخيال فهاجني فهل زار هذي الإبلَ طيفُ خيال[4]

ففي هذه الأبيات يشخص المعريّ إبله، فيجعلها شخوصا تطرب، وتفرح برؤيتها ضوء البرق، وتتمنى أن تشرب من نهري: قويق، والصراة، وتقاسمه الشوق للعودة إلى الشام، وتشاطره الوجد والحنين إلى أوطانها، فاستعار لها ألفاظ نفسه، ومعجم روحه؛ لتفصح عما يعتلج

(1) - الدرابسة، **بنية اللغة الشعرية في شعر أبي العلاء المعريّ**، مرجع سابق، ص 265
(2) - الفرزدق، **ديوان الفرزدق**، مصدر سابق، ص 628.
(3) الدرابسة، **بنية اللغة الشعرية في شعر أبي العلاء المعريّ**، مرجع سابق، ص276
(4) - المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص 237، 238.

في صدره، ويختلج في أنفاسه، وكساها أردية الناس، وخلع عليها ضمير العاقل ومشاعر الإنسان وسلوكه: كالطرب لرؤية أو سماع ما يحب، فهذه الإبل تتمنى لو تقطع رقابها فترفع على أسنة الرماح؛ لكي ترى هذا البرق القادم من الشام[1].

كما شخص المعريّ الخيل كذلك، ومنه قوله:

إذا اشتاقت الخيل المناهل أعرضت عن الماء فاشتاقت إليها المناهلُ[2]

فالمعريّ بدأ بذكر الخيل معرفة بأل العهدية لا الجنسية، فهي خيل خاصة به، وهو يفخر بنفسه، وينسب صفات الفخر إلى خيله، فاستعار لها أفعالا إنسانية: كالشوق، وجعل الشوق مشتركا بينهما، وأنها صبورة، وإذا عطشت غالب إباؤها العطش فغلبه، وعندها يهيج شوق آخر وهو شوق الموارد إلى الخيل، فيغدو الشوق أحاسيس مشتركة؛ فيظهر التشخيص للخيل والغدير شائقا رائعا.[3]

وترى الباحثة أن المعريّ يجيد فن التشخيص، ويرسم اللوحات الفنية المعبرة عن دقة تصويره، وثقافته الواسعة لما يصوره، ولا شك أن المعريّ متأثر في هذه السمة الفنية بأبي تمام أستاذ مدرسة الصنعة.

الصورة الشعرية باعتبار الحواس

يعدّ الجاحظ أول من أشار إلى أهمية الصورة الشعرية حين أشار إلى أن:" الشعر العربيّ ضرب من النسيج وحسن التصوير"[4]، كما وضع الجرجانيّ وابن طباطبا تعريفا كاملا للصورة الشعرية والأسس والمعايير الفنية للشعر الجيد، وقسم الجرجانيّ الصورة الشعرية إلى : صورة ذوقية، وبصرية، وحسية[5].

أما المحدثون فقد اهتموا بالصورة الشعرية لأهميتها في الإبداع والجمال الشعريّ، ولأن الصورة الشعرية نسخة جمالية تستحضر فيها لغة إبداع الهيئة الحسية أو الشعورية للأجسام أو المعاني تمليها قدرة الشاعر وتجربته وفق معادلة فنية بين الحقيقة والمجاز[6].

ويرى الرباعيّ أن الصورة الفنية هي قلب كل عمل فنيّ، ومحور كل نقاش نقيّ، إذ تضع القارئ في عالم تذوب فيه ظواهر الأشياء الشكلية المحدودة، لتنقلب أوضاعا فكرية روحية لا يمكن تحديدها تقييد حريتها[1].

---

(1) - الدرابسة، **بنية اللغة الشعرية في شعر أبي العلاء المعريّ**، مرجع سابق، ص279.
(2) - المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص109.
(3) - الدرابسة، **بنية اللغة الشعرية في شعر أبي العلاء المعريّ**، مرجع سابق، ص282.
(4) - الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، **البيان والتبيين**، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، الطبعة: السابعة 1418هـ، 1988م، (135/1).
(5)-الجرجانيّ، **أسرار البلاغة**، مصدر سابق، ص 78-80.
(6) –التكريتي، المضامين التراثية، مرجع سابق، 229

والصورة لا تعني -عند الرباعيّ- ذلك التركيب المفرد الذي يمثله تشبيه أو كناية أو استعارة فقط، ولكنها بناء واسع تتحرك فيه مجموعة من الصور المفردة بعلاقاتها المتعددة حتى تصيّره متشاك الحلقات بخيوط دقيقة مضمومة بعضها إلى بعض تشكل مصطلح القصيدة[2].

ولا شك أن الصورة الشعرية بناء معقد، لها نموها الداخليّ للفرد، وتفاعلاتها الغنية، والصورة وسيلة الشاعر الفاعلة في نقل مشاعره، وعواطفه، وأفكاره، ولعل أقرب التعريفات للصورة الشعرية في البناء الفنيّ هو:" أنها ذلك المركب العجيب الذي أحسن الشاعر فيه اختيار عناصره اللفظية المناسبة حيث إيقاعاتها الموسيقية، ودلالاتها الإيحائية، وصهرها في بوتقة مشاعره، ووجدانه، وإعادة صياغة تركيبها، وتنسيقها وفق ذبذبات عواطفه وأحاسيسه[3]"

ويعتمد تشكيل الصورة الشعرية على الخيال الذي يحوّل المعنويّ إلى محسوس، ويبعث الحركة في الجامد، والخيال هو الملكة التي يستطيع الشاعر بها رسم الصورة بدقة، ولا يتم ذلك إلا بوجود لغة قوية، موحية غنية برموزها التي تختلج في وجدان الشاعر، وتعبر عن انفعالاته النفسية[4].

فقد أكثر المعريّ من وصف الحرب، وأسبابها، وأدواتها: كالسيف، والرمح، والخيل، والدرع، وما يدور فيها من قتل وسبي، وما يوجه إلى الفرسان الممدوحين من البطولة والإقدام، وما كان لديه من فخر، متأثرا بالمتنبي، مستخدما التوليد في المعاني؛ لإظهار التفوق، ويتكرر الحديث نفسه عندما يتناول وصف السماء، والنجوم، وذكر مواقعها، ووصف القمر ومنازله، فقد أبدع خياله في رسم ملامحها، وتركيب أجزائها في صور بديعة، كما رأينا في وصف عناصر الطبيعة السماوية آنفا، وقد تفنن كذلك في وصف ليل الصحراء، ورهبته، واتساعها، وما تحويه من أسباب الموت من الهجير، والعطش، والوحوش الفتاكة، مستخدما ألوان البيان المختلفة[5]، كقوله:

وليلٍ كذئبِ القَفرِ مَكرا وحيلةً أطَــلّ على سَفــرٍ بحُلّةِ أدرَعِ

كتَبنا وأعرَبنا بحِبرٍ من الدّجى سُطورَ السُّرَى في ظَهر بَيداءَ بَلقَعِ[6]

ويرى عماد علي الخطيب أن من المقاييس الفنية التي من خلالها يتم تقويم الصورة الفنية ما يأتي[7]:

---

(1) الرباعي، عبد القادر، **الصورة الفنية في النقد الشعري، دراسة في النظرية والتطبيق**، عمان، دار جرير، ط1، 2009، ص9.

(2) الرباعي، عبد القادر، **الصورة الفنية في النقد الشعري، دراسة في النظرية والتطبيق**، مرجع سابق، ص9-10

(3) -عبد المجيد مجدي، **الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي**، بيروت دار الشؤون، 1983م، ص 7-8.

(4) -التكريتي، **المضامين التراثية**، مرجع سابق، ص 230.

(5) زاهد، **لغة الشعر عند المعريّ**، مرجع سابق، ص71.

(6) - المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص287.

(7) -الخطيب، عماد، **في الأدب الحديث ونقده**، مرجع سابق، ص333.

1- أن تكون العلاقة بين أجزاء الصورة قائمة على الأثر النفسيّ، لا التشابه الشكليّ المحسوس.
2- أن تكون الصورة إيحائية، لا وصفية مباشرة.
3- أن تكون الصورة مبتكرة صادرة عن حسّ صادق
4- أن تلائم الصورة الفكرة والعاطفة.

والصورة الحسية جزء من الصورة الشعرية؛ ذلك أن الحواس من عناصر الخيال، وهي أهم وسائل الذهن في الاستقبال والبث[1]. ولعل قدرة الشاعر في هذه الصورة تكمن في قدرته التخيلية التي تجعله قادرا على الجمع بين الأشياء المتباينة والعناصر المتباعدة في علاقات متناسبة تزيل هذا التباين وتوجد بينها الانسجام والوحدة[2].

وترى التكريتي أن للصورة الحسية مكانها في ديوان(سقط الزند) للمعريّ، وقد استخدمها للاستدلال على العلاقات الحياتية النفسية المحيطة به، ومن أهم هذه الصور الحسية ما يأتي[3]:

1- الصورة السمعية:

فقد المعريّ حاسة البصر صغيرا، ولكن الله عز وجلّ عوضه عنها بحاسة السمع المرهفة، إذ كانت أذنه حساسة لكل ما يدور حولها من أصوات أو حركات، فتعيها أذنه برهافة، وتستقر في قلبه بوعي وإدراك، ناهيك عما أُثر عنه من حدة ذكائه وسعة حافظته، ما ساعده أن يلمّ بكل ما وصلت إليه أذنه، ليصبح شاعرا يشار إليه بالبنان.

لقد استعان المعريّ بحاسة السمع لرسم الصورة الشعرية الحسية، وكان يوظف الدلالات والألفاظ الموحية المتناسقة مع جوّ القصيدة العامّ، والغرض الشعريّ الذي ينظم فيه، وبهذا يلاحظ تفنن المعريّ في رسم الصورة السمعية المعتمدة على حاسة السمع، ومنه قوله:

وما بَرِحَت، في ساحة السّهلِ، يرتمي بها موجُها، حتى نهَتها حُزُونها
غَديرٌ، وَشَتهُ الرّيحُ وَشيةَ صانـعٍ فلم يَتَغَيّر، حينَ دامَ سُكـــونها[4]

فقد رسم المعريّ للدرع صورة شعرية بديعة، وكان لحاسة السمع الأولوية في رصد تلك المحسوسات، وإبرازها في ثوب جميل؛ إذ رسم صورة وقوع هذه الدرع في السهل، وجريانها عليه كجريان الماء حتى استقرت، واستعار الماء للدلالة على ليونة هذه الدرع، رغم انحدارها

(1) - عبد المجيد مجدي، **الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي**، مرجع سابق، ص37
(2) - عصفور، جابر، **مفهوم الشعر دراسة في التراث النقدي**، نشر المركز العربي للثقافية والعلوم، مصر، 1982م، ص 436
(3) التكريتي، **المضامين التراثية**، مرجع سابق، ص240
(4) - المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص 179

من مكان مرتفع، وشبهها بغدير الماء الصافي الذي مرت عليه الريح فغيرت وجهه بما يشبه الزخرفة [1].

2. الصورة البصرية:

وهي تعتمد على حاسة البصر في التعبير عن الصورة الفنية بأرق الكلمات، وأجمل العبارات، ولما كان المعريّ فاقد البصر لجأ إلى استخدام ذكائه الحادّ وخياله الواسع في إبداع هذه الصورة الفنية الشعرية، وإعطاء صورة بصرية جميلة، وإخراج روائع من الوصف والتشبيهات التي فيها من الكثير مما يعتمد على النظر [2].

ومن الصور البصرية عند المعريّ قوله:

بريــحٍ أعيرَت حافِراً من زَبَرجَدٍ لها التّبْر جِسمٌ واللّجَينُ خَلاخـــــلُ
كــأنّ الصَّبَــا ألقَت إليّ عِنانَها تخُبّ بسَـرجي مرَّةً وتُناقِــل
وليــلانِ: حـــالٍ بالكواكبِ جَوزُه وآخرُ من حَلي الكواكبِ عاطلُ
كأنّ دُجـاهُ الهجرُ، والصّبحُ موعدٌ بوَصلٍ وضَوءُ الفجرِ حِبٌّ مُماطلُ[3]

فقد رسم المعريّ في هذه الأبيات صورة شعرية حسية بصرية للخيل، والليل، والكواكب، جمع فيها المحسوسات البصرية، وأضاف إليها قوة خياله، ورقة ذوقه من الألوان البديعة، والمعاني الجميلة، ما أحالها إلى قطعة ولوحة فنية معبرة، فشبه سرعة الحصان بالريح، وحوافره بالزبرجد، وجسمه بالذهب، وتحجيل قوائمه بالفضة، وفي البيت الثاني رسم للحصان صورة بصرية لسيره بين البطء والتناقل، ثم شبه في البيتين الأخيرين الحصان بالليل الأسود، وشبه سواد الليل بالهجر، والوصل بالبياض لتلاقي الأحبة[4].

وترى شيماء أبو نجم أن الشاعر أبا العلاء المعريّ رأى النجوم في ظلام عينيه، وهذا نوع من الإبداع الفنيّ، إذ أمكنه التعرف إلى عناصر الطبيعة المختلفة من خلال حاسة السمع التي ارتكز عليها في التفاعل مع الطبيعة وعناصرها، ثم ترك لخياله المجال ليظهر شاعريته، ويعوّضه عما حرمته الحياة من نعمة البصر، فالحرمان يذكي الخيال، والمعريّ يرسم بالكلمات لوحات فنية، ويجعل ضمن كل بيت قصة متكاملة، كما في قوله وهو يرسم صورة الليل التي سرى فيها الشاعر والنجوم تتلألأ فيها كأنها عروس زنجية سوداء اتشحت باللآلئ البيضاء، والجواهر الجميلة، وقد

(1)- التبريزي، وآخرون، **شروح سقط الزند**، (901/2).
(2)-السقطي، **أثر كف البصر على الصورة عند المعريّ**، مرجع سابق، ص 19.
(3) - المعري، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص108
(4) التكريتي، **المضامين التراثية**، مرجع سابق، ص241

سطع فيها الهلال كأنه شخص مات ثم عاد إلى الحياة من جديد، ويصف طول الليل كأنه نسر أسود قصّت قوادم جناحه فلا يستطيع الطيران أو حتى النهوض[1]، إذ يقول[2]:

ولـيلَةٍ سِرتُ فيها وابنُ مُزنِتها كَـمَيّتٍ عادَ حـيّاً بَعدَما قُبِضـا[3]

كأنمـا هيَ إذ لاحَت كواكِبُها خَودٌ من الزِّنج تُجلَى وُشّحَت خَضَضَا

كأنما النّسـرُ قد قُصّت قَوادِمُه فالـضّعفُ يَكَسِرُ مِنه كلماً نهَضا[4]

وفي طول الليل وبقاء الكواكب مكانها يصورها كسرب حمام وقع في شبكة صيد لا يقدر على الفرار منها، يقول المعريّ:

في بَلدَةٍ نهارُها ليلُ سِوى كواكبِ إلى النهارِ تَعتَزي

كأنها سِـربُ حَمامٍ واقعٌ في شَبَكِ من الظلامِ ينتزي[5]

يقول المعريّ: إن ليل هذه البلدة طويل حتى كأن نهارها وصل بها، فصار مثله مظلما، فكأنه مجموعة من الحمام الذي وقع في شبكة صيد سوداء فهو يضطرب فيها ولا يطير.

فالمعريّ يوضح أن العملية الإبداعية مركزة الثقل على كفة المشبه به، لأن فيه يكمن إبداع الشاعر في تحقيق التماثل والتداعي النفسيّ، كما يترك المعريّ لخياله العنان في التمثيل حين يشبه النجوم بالأسنة الزرقاء، فالمعريّ يجعل التشبيه الخياليّ يلعب دوره، فهو لا يبدع مادة جديدة بل يجمع بين الأشياء والتصورات والتفاعل بعضها مع بعض، فيركب، ويكبر، ويصغر؛ ليبدع صورة جديدة، بحيث يغدو كلّ من الفكر والتصور موحدا في التصوير الفنيّ.[6]

ويتخذ المعريّ من صورة المعركة لوحة فنية حينما يصوّر الشمس التي حجب الغبار رؤيتها بالفتاة التي تسترت باللثام، إذ يقول:

بيومٍ كأنّ الشمسَ فيه خَريدَةٌ عليها من النّقعِ الأحَمّ لِثامُ[7]

ويصور الشمس في كبد السماء بالذهب، إذ يقول:

وقُلتِ الشّمسُ بالبيداءِ تِبرُ ومِثْلُك مَن تَخَيّل ثَم خالا[8]

---

(1) عبدالله، شيماء نجم، **نجوم السماء وكواكبها في شعر أبي العلاء المعري الرؤية والتوظيف**. مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد 90، ص 524.

(2) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق،ص131.

(3) وابن مزنتها: يعني الهلال. ابن منظور، **لسان العرب**، مصدر سابق: مادة مزن

(4) والخود: الفتاة الشابة، الخضض: خرز أبيض تلبسه الإماء، والقوادم : ريشات كبيرة في مقدم الجناح. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص131**.**

(5) المعري، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص88.

(6) شيماء، **نجوم السماء وكواكبها** ، مرجع سابق، ص527

(7) المعري، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص120

(8) المعريّ، **سقط الزند**،مصدر سابق، ص22

فهو يظهر قدرته على الربط والتأليف بين الأفكار والمعاني، والمقارنة بين نجوم السماء وما تتركه من انطباع، وما يجده من أشياء تحاكي هذه النجوم؛ فضلا عن عنصر الخيال الذي أخرجها من الوصف السطحيّ والتقريرية إلى جمالية الإبداع الفنيّ والفكريّ، ما جعله في مصافّ الشعراء العظام.[1]

وفي مجال المدح ينتخب المعريّ المعاني السامية التي تتناسق مع نجوم السماء بما يناسب مقام الممدوح، ذلك أن الصور البصرية لدى الشاعر الكفيف مجرد اقتران لفظيّ حفظه استدعاه لتركيب صورة بصرية، فما يصفه المعريّ لا يعدو كونه تقليدا للموروث اللفظيّ والفكريّ، لكنه أجاد فيها من حيث المعاني والصفات، فمن شروق الشمس يلهم المعريّ في تصوير الممدوح الجمال والهيبة، إذ يقول:

جَمالُ المَجد أن يُثنى عليه ولولا الشمسُ ما حَسُنَ الّنهار[2]

وقوله:

أرى جبينَك هذي الشمسَ خالِقُها فقد أنارت بنُور عنه مُنعكِس[3]

فإن قوة التعبير وما تحمله من معان يوظفها المعريّ في لغته التصويرية التي تساعده على إيجاد القرائن، وما تضفيه من هذه الدلالات على تصوير المشاعر من أفكار ومعان، فتفرّد نجم سهيل في كبد السماء يقود إلى فكرة تفرّد الممدوح وقوة سطوته[4]، إذ يقول:

كأنّكَ من كواكبه سُهَيلُ إذا طَلَع اعتزالاً وانفرادا[5]

كما أن كمال كرم الممدوح وقمة عطائه وشدة سخائه تتوافق مع فكرة اكتمال القمر عند المعريّ، إذ يقول:

لَيَهنِكَ في المَكارِم والمعَالي كَمَالُ عَلّمَ الَقَمَر الكَمالا[6]

كما أنه يعرض قوة الممدوح وبسالته في القتال جاعلا الثريا تخاف أن تتوجهذ إلى الغرب كي لا يظن أنها من اعدائه فيقتلها، يقول:

إذا خَفَقَت لمَغرِبها الثّريّا تَوَقّت من أسِنّتِهِ اغتِيالا[7]

---

(1) شيماء ، **نجوم السماء وكواكبها** ، مرجع سابق ، ص 526
(2) - المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص 162
(3) - المعري، **سقط الزند**، المصدر نفسه، 141
(4) - شيماء ، **نجوم السماء وكواكبها** ، مرجع سابق ، ص527
(5) - المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص159
(6) - المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص34
(7) - المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص30

3- الصورة اللونية:

ومن الصور التي اهتمّ بها أبو العلاء المعريّ وضمنها شعره الصورة اللونية، وعلى الرغم من فقده بصره في سنّ الرابعة، وأنه لم يعرف من الألوان إلا الأحمر كما صرحّ بذلك، إلا أنه رسم مشاهد طبيعية ساحرة، ومنحها اللون المناسب لها؛ ليضفي على الصورة جمالا على جمال[1].

وقد تنوعت الصور اللونية حسب الغرض الشعريّ الذي ينظم فيه، والحالة النفسية التي يتأثر بها، ومن الألوان التي ضمنها صوره الشعرية كثيرا اللون الأسود، والأبيض، والرماديّ(الأدهم)، والأحمر، والأخضر، والأصفر، وفيما يأتي تفصيل ذلك:

- اللون الأسود:

وهو من أكثر الألوان تضمينا في شعر ديوان (سقط الزند)، فهو اللون المعبّر عن حالته الشعورية التشاؤمية، وهو اللون الذي يغلف جوانحه نحو الحياة، فصبغ به صورة الليل الحالك في الصحراء الشاسعة الممتدة، كأنها بحر متلاطم، فهو يصور الليل في سواده والنجوم تتلألأ بزنجية سوداء مزينة بالخرز الأبيض[2]، فهو يقول:

وليلَةٍ سِرْتُ فيها وابنُ مُزْنَتِها كَمَـيّتٍ عادَ حيّاً بَعْدَمـــا قُبِضا

كأنما هيَ إذْ لاحَتْ كواكِبُها خَوْدٌ من الزّنج تُجلى وُشّحَتْ خَضَضَا[3]

كما يصور المعريّ ليلة سوداء حالكة ولشدة سواده يفعل فعلين متضادين: فهو من جهة يصبغ الصحراء بسواده، ويشيب الرأس بالبياض لرهبته[4]، يقول:

وجُنْحٍ يَمْلأ الفَوْدَينِ شَيْباً ولكنْ يَجْعَلُ الصّحْرَاءَ خَالا[5]

كما يصور المعريّ الشمس البيضاء وقد ثار فيها الغبار الأسود بصورة فتاة جميلة بيضاء متلثمة بلثام أسود[6]، يقول:

بيوْمٍ كأنّ الشمسَ فيه خَرِيدَةٌ عليها من النّقْعِ الأحَمّ لِثامُ[7]

---

(1) - العلي، عدنان عبيد، **شعر المكفوفين في العصر العباسيّ: دراسة نفسية وفنية في أثر كف البصر**، عمان: دار أسامة، 1999، ص 44.

(2) المعري، **حاشية سقط الزند**، مصدر سابق، ص131

(3) المعريّ ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص131

(4) المعري، **حاشية سقط الزند**، مصدر سابق، ص27

(5) المعريّ ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص27

(6) المعريّ ، **حاشية سقط الزند**، مصدر سابق، ص 120

(7) المعريّ ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص 120

كما شبه ليله الأسود البهيم الطويل يتخلله البرق الأبيض اللامع بغراب أسود قصت جناحاه، وشبه البرق بنسر أبيض[1]، فهو يقول:

لَيْلي كما قُصّ الغُرابُ خِلالَه بَرْقٌ يُرَنَّقُ دأبَ نَسْرٍ حائم[2]

ومن أجمل الصور اللونية عند المعريّ في الغزل أنه جعل خيال المحبوبة يتمنى استدامة الظلام الأسود، ويتمنى زيادة سواد القلب والبصر؛ لأن القلب الحزين والعين الدامعة هما اللذان يستدعيان طيف الحبيبة عادة[3]، يقول:

يَوَدّ أنّ ظَلامَ اللّيْلِ دامَ له وزِيدَ فيهِ سَوَادُ القَلْبِ والبَصَرِ[4]

ويشبه المعريّ الرخم البيض فوق الغبار الأسود بالشعرات البيض في مفارق أسود، يقول:

كأنّ الأنُوقَ الخُرْسَ فوقَ غُبارِهِ طَوالِعُ شَيبٍ في مَفَارِقِ أسوَدِ[5]

ويجعل من الليل الأسود حبرا أسود يكتب به أشعاره، ويضبط إعرابه حين يروي قصة رحلته في تلك الصحراء الجرداء، يقول:

كَتَبْنا وأعْرَبْنا بحِبْرٍ من الدّجى سُطورَ السُّرَى في ظَهْر بَيْداءَ بَلْقَع[6]

ومن أجمل وأعذب أشعار المعريّ في وصف ليلة سوداء حالكة والنجوم البيضاء تتلألأ خلالها بعروس زنجية زينت جيدها بقلائد الفضة البيضاء، يقول:

رُبّ ليلٍ كأنّه الصّبحُ في الحُسْ نِ وإن كانَ أسْودَ الطّيلَسانِ

ليلتي هذه عُروسٌ من الزّنْــجِ عليها قلائِدٌ مِن جُمانِ[7]

وترى الباحثة أنَّ المعريّ صبغ باللون الأسود ليله، وصحراءه، والغبار، والشعر، والقلب، والغراب، واللثام، ليعبر عن حالة الحزن الذي يسيطر عليه، وكان الغرض الشعريّ فيها الوصف، أو الغزل.

- اللون الأبيض:

واللون الأبيض من الألوان المحبوبة الجذابة، استخدمها الشعراء لوصف الأشياء الجميلة: كوجه الحبيبة، أو وجه الممدوح، لكن المعريّ استخدمه في مقابل اللون الأسود؛ وذلك في رسم صورة النجوم المضيئة، فقد شبه سواده وما يتلألأ فيه من نجوم بيضاء بزنجية سوداء قلدت جيدها الخرز الأبيض، فهو يقول:

---

(1) المعريّ ، **حاشية سقط الزند**، مصدر سابق، ص282
(2) المعريّ ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص282
(3) المعريّ، **حاشية سقط الزند**، مصدر سابق، ص36
(4) المعريّ ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص36
(5) المعريّ ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص77
(6) المعريّ ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص287
(7) -المعريّ ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص90

ولِيلَةٍ سِرْتُ فيها وابنُ مُزْنَتِها كَمَـيّتٍ عادَ حيّاً بَعْدَمـــا قُبِضا
كأنما هيَ إذْ لاحَتْ كواكِبُها خَوْدٌ من الزّنج تُجلى وُشّحَتْ خَضَضَا[1]

كما استخدم المعريّ اللون الأبيض في مقام المدح؛ إذ جعل وجه الممدوح في بياضه وإشراقه وضيائه كالشمس البيضاء المشرقة، يقول:

أنتَ شمسُ الضّحى فمنكَ يُفيدُ الصّبْحُ ما فيه من ضِياءٍ ونُورِ
إنْ يكُنْ عِيدُهمْ بغيرِ هِلالٍ فالهِلالُ المُنيرُ وَجْهُ الأميرِ[2]

ومن أعذب أبيات الغزل لدى المعريّ ذلك الحوار الجميل الذي جرى بين محبوبته البيضاء التي رأت الشيب الأبيض قد انتشر في رأسه فنفرت منه، فأقنعها بأنها شمس بيضاء لا ترى في ليل أسود كشعره، فهو يقول:

أنا بَدْرٌ وقد بدا الصّبْحُ في رأ سِكَ والصّبْحُ يَطّـرُدُ الأقْمارا
لسْتِ بَدْراً وإنّمـا أنْتِ شمسٌ لا تُرى في الدّجَى وتَبْدو نهارا[3]

ويتحدث المعري عن الناعسين الذين يغلبهم النعاس، فيقبلون سيوفهم ظناً منهم أنها وجنات محبوباتهم[4]، والمعريّ يقول:

فالمَرْءُ يَلْثَمُ سَيْفَهُ وقِرابَهُ ويَظُنّهُ وَجَناتِ أغْيَدَ مائِس[5]

وترى الباحثة أن المعريّ استخدم اللون الأبيض في غرض المدح، والغزل، والمقارنة بالأشياء السوداء، فصبغ به وجه الممدوح، والحبيبة، والشيب، والنجوم، والسيوف، والشمس، والقمر

- اللون الأحمر:

واللون الأحمر من أهم الألوان التي علقت ببصر وقلب المعريّ، فقد صرح أنه أصيب بالجدريّ في سن الرابعة فألبس ثوبا أحمر، وهو آخر لون رآه في حياته، فاللون الأحمر مرتبط بذكريات المعريّ الأليمة المحزنة، فقد صبغ به نحور الخيل التي تسيل دما أحمر كالأرجوان، وذلك في مقام مدح الأمير خلال القتال، يقول:

تَخُبّ بكَ الجيادُ كأنّ جَوْناً على لَبّاتِهِنّ الأرْجُوانُ[6]

وفي صورة جميلة مزج المعريّ برقا شديدا عاصفا أحمر في ليلة سوداء كأنها زنجيّ أسود جريح يسل دمه الأحمر، يقول:

---

(1) -المعريّ ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص131
(2) -المعريّ ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص55
(3) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص129
(4) المعريّ، **حاشية سقط الزند**، مصدر سابق، ص86
(5) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص86
(6) المعريّ ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص50

إذا ما اهْتَاجَ أحمَرَ مُستَطِيراً حَسِبْتَ اللّيلَ زَنْجيّاً جرِيحا[1]

ومن المناظر التي رسمها المعريّ - في مقام المدح- ما نثر على عروس الأمير الجميلة من دراهم بيضاء تتساقط من السماء الخضراء، وقد جعل الشفق أحمر يستمد حمرته من كثرة الطيب الأحمر الذي نثر على العروسين، فهو يقول:

كأنّما الشَّهْبُ نِثارٌ على الخَضْـــــراء مِنْه الفَذّ والتّوْأمُ

ما شَفَقُ التغْريب من بَعده إلا مَلابٌ طابَ أو عَنْدَمُ[2]

ومن اللوحات التي رسمها المعريّ بريشته السحرية في مقام مدح الأمراء في مواطن القتال والبطولة والإقدام أنهم إذا سلوا سيوفهم البيضاء اللامعة فإن تلك السيوف تغني العطشى عن ورود الماء؛ لظنهم أنها ماء لصفائها، لكنها توردهم الموت والمهالك، وجعل اختلاط السيوف البيضاء بدماء الأعداء الحمراء كأنها روض من الأزهار البيضاء والحمراء المختلطة، فهو يقول:

تغْنى عن الوِرْدِ إنْ سلّوا صَوارِمَهُمْ أمامَها لاشْتِباهِ البِيضِ بالغُدُرِ

رَوْضُ المَنايا على أنّ الدّماءَ به وإنْ تَخَالَفْنَ أبْدالٌ من الزّهرِ[3]

كما جعل الممدوح يلبس قميصا وبنطالا من نبت الخزامى الحمراء الطيبة، لأنها لباس الشجعان، فهو يقول:

كأنّ الخُزامى جمّعَتْ لكِ حُلّةً عليكِ بها في اللونِ والطّيبِ سِرْبال[4]

ويشبه المعريّ طلوع الفجرين الكاذب والصادق في حمرتهما بالزعفران والعندم أو الأيدع وهو صبغ أحمر، ثم جعل الصبح في بياضه ماء يغسلهما فحولهما إلى بياض، فهو يقول:

كأنّ سَنا الفَجْـرَينِ لمّا تَوالَيا دمُ الأخَوَين زَعْفَرانٍ وأيْدَع

أفاضَ على تالِيهِما الصّبْحُ ماءهُ فغَيّرَ مِن إشراقِ أحْمَرَ مُشْبَع[5]

ويربط بين وجه الحبيب الخجول الأحمر ونجم سهيل الأحمر، وهما دائما الحركة، وجعل الحمرة لونا في وميض سهيل كحمرة عين الغضبان، وهو من التشبيه المقلوب، يقول:

وسُهَيْلٌ كوَجْنَةِ الحِـبّ في اللّــوْ نِ وقَلْبِ المُحِبّ في الخَفَقَانِ

يُسْرِعُ اللّمْحَ في احْمِرارٍ كما تُسْـرِعُ في اللّمْحِ مُقْلَةُ الغَضْبانِ[6]

---

(1) -المعريّ ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص57
(2) -المعريّ ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص169-170
(3) -المعريّ ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص41-43
(4) -- المعريّ ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص244
(5) -المعريّ ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص288
(6) -المعريّ ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص91

- اللون الأخضر:

اللون الأخضر هو لون الحياة النباتية، ولون فصل الربيع، وهو كذلك لباس أهل الجنة، وقد استغله المعريّ في رسم الصورة اللونية جريا على عادة الشعراء السابقين، فقد جعله في مقام المدح لونا للباس الحرير الذي يلبسه أهل الجنه، كما في قوله تعالى: {عالِيَهُمْ ثِيابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ} {الآية الإنسان:21}، فقد صور مجيء الربيع بلونه الأخضر ليفعل ما يأمره الممدوح، ويكسو الأرض حريرا أخضر كأهل الجنة، فأصبحت الأرض تحت قدميه تتبختر؛ سرورا وطربا وتعظيما لمقامه بكسائها الأخضر وما نثر عليه من زهر أبيض، فهو يقول:

قد أتاك الربيع يفعل ما تأمـــره فعل عبدك المأمور
وكسا الأرضَ خِدْمَةً لكَ يا مَوْ لاهُ دونَ المُلوكِ خُضْرَ الحريرِ
فهْيَ تَخْتَالُ في زَبَرْجَدةٍ خَضْـــــراءَ تُغْدى بلُؤْلُؤٍ مَنْثورِ[1]

ويصبغ المعريّ جيش الممدوح بالخضرة لكثافته، فالأخضر تعني جيشا كثيفا لابس الحديد، فقد وصفت كتيبة النبيّ(صلى الله عليه وسلم) بالكتيبة الخضراء، والعرب تطلق الخضرة على السواد، فهو يقول:

بأخضَرَ مثلِ البحرِ ليس اخضرارُه من الماء لكنْ من حديدٍ مُسَرَّدِ[2]

ويلون المعريّ حوافر خيله السريعة باللون الأخضر، ويشبهها في خضرتها بالزبرجد، إذ يقول:

وقد اغتدي والليل يبكي تأسفا على نفسه والنجم في الغرب مائلُ
بِريحٍ أَعيرَتْ حافِراً من زَبَرْجَدٍ لها التّبرُ جِسْمٌ واللّجَيْنُ خَلاخل[3]

وهكذا نجد المعريّ يصبغ باللون الأخضر لباس الممدوح كلباس أهل الجنة، ويكسو الأرض بخضرة فصل الربيع في مقام المدح، كما يصبغ جيش الممدوح بالخضرة لكثافته، وكذلك حافر حصانه، فيخرج لنا لوحات فنية ملونة رائعة

- اللون الأصفر:

احتل اللون الأصفر مكانة في الشعر العربيّ ليدلّ على الذهب تارة، أو ليعبر عن الفناء والموت، أو الحزن والقلق تارة أخرى، وأحيانا يوصف وجه المحبّ بالصفرة لكثرة همومه وسهره، أو يكنى به عن المرض، أو شدة الخوف، والمعريّ استغل هذا اللون للأغراض السابقة، فمثل يشبه الشمس اللامعة الصافية وسط الصحراء بالذهب الأصفر اللامع، فقد توهم المعريّ أن الشمس من شدة صفائها تبرا فخاب ظنه، فهو يقول:

---

(1) - المعريّ ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص55
(2) - المعريّ ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص77.
(3) - المعريّ ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص108.

وقُلْتِ الشّمْسُ بالبَيْداءِ تِبْرٌ ومِثْلُكِ مَنْ تَخَيّلَ ثَمّ خالا[1]

والمعريّ يلتقط اللون الأصفر من نبات البهار ليصبغ بها الأرض التي أحبت تلك الفتاة فأصبح لونها أصفر، وهذا يسمى في علم المعاني(حسن التعليل)، وأما الغمام فقد أصبح عاشقا لها يسير حيث تسير، فهو يقول:

تَوَقّتكَ سِرّاً وزارَت جِهارا وهل تَطْلَعُ الشمسُ إلّا نهارا

كأنّ الغَمَامَ لـــــها عاشِقٌ يُســـــــــايِرُ هَوْدَجَها أيْنِ سارا

وبالأرض من حُبّها صُفرَةٌ فما تُنْبِتُ الأرضُ إلاّ بَهارا[2]

والخلاصة أن المعريّ يهتم بالصورة اللونية فيصبغ بها مفرداته للتعبير عن الغرض الشعريّ الذي يقصده؛ متأثرا بالحالة الوجدانية التي يعيشها، فأخرج لنا لوحات فنية باهرة مزركشة وموشاة بأجمل الألوان المشهورة.

4- الصورة الشمية:

وهي من الصور الحسية التي استخدمها المعريّ خلال حديثه عن الروائح الزكية كالأزهار، والنباتات العطرية، والرياض، والعطر، والزعفران، وغيره من المشمومات، ومن الصور الشمية عند المعريّ قوله في مقام المدح:

نـــال شبابا منه مستقبـــلا تـهرم دنيـــاه ولا يهـرمُ

وانتشرت في الأرض ريــح له يسوقها المُنجــدُ والمُتـهـمُ

عطـــر لمـــن شمّ ولكنـــه غير الذي جاءت بـــه مَنشِمُ

وانتشقتْ عَرفـــك طير الملا فزارك الـــناشئ والقشعـــمُ

ومـــاج بعض الوحش في بعضها يسـأل: ما الشأن؟ ويستفهمُ[3]

فقد حشد المعريّ للممدوح كل الروائح الزكية العاطرة؛ لتعبر عن مقام الممدوح العالي، وصيته الذائع، وشهرته الطيبة التي انتشرت كالريح، فملأت الآفاق، وغطت السهل والجبل(نجد، وتهامة)، حتى جعل الطير في سمائه والوحش في غبرائه يتساءل عن سرّ ذلك العطر، وتلك الرائحة الفواحة الشذية، وتجلت الصورة الشمية في ألفاظ(شمّ، انتشقت، العَرف)[4].

وترى الباحثة من خلال المقطوعة الشعرية السابقة أن من السمات الفنية الواضحة في شعر المعريّ: المبالغة في المدح، والتصنع في استخدام المحسنات البديعية كالطباق في(المنجد، والمتهم)، والتخفيف أو التسهيل في لفظة(الملا ، بدلا من الملأ)، واستخدام الأساطير(عطر

(1) -المعريّ ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص22.
(2) -- المعريّ ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص232.
(3) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص 171
(4) التكريتي، **المضامين التراثية**، مرجع سابق، ص246

منشم: وهي امرأة جاهلية كانت تبيع العطر لمن يريد أخذ الثأر)، والتضمين في قوله(عطر منشم) مأخوذ من معلقة زهير بن سلمى في مدحه للحارث بن عوف وهرم بن سنان اللذين عقدا الصلح بين عبس وذبيان المتحاربين في الجاهلية لمدة أربعين سنة في حرب داحس والغبراء.

5 ـ الصورة الذوقية:

لقد استخدم المعري الذوق كغيره من الحواس الأخرى في تشكيل الصورة الحسية على عادة غيره من الشعراء القدماء في تصوير ثغر حبيباتهم، فقد شبهوا ريقهن بالخمر أحيانا، وبالعسل أيضا، وشبهوا الهجر والبعد عن الحبيبات أو الأوطان بالعلقم والحنظل المرّ، ولأن الحلاوة والمرارة والعذوبة صفات خاصة بالأشياء تؤهلها لإحداث مشاعر حسية معينة في الطعوم عند تذوقها أمكن إطلاقها نعوتا للألفاظ وللإحساسات التي يثيرها في نفس المتلقي لها[1].

لقد سار المعريّ في رسم الصورة الذوقية على نهج القدماء، لكنه أضاف إليها دلالات تختلف عما سبقه من ألفاظ، أو مواد، أو مواقف، ومنه قوله:

سَنلثَمُ مِنَ نجائِبِكَ الهَوادي ونَرشُفُ غِمد سيفِك والنِّــجادا

ونَستَشفي بِسُؤرِ جَوادِ خَيلٍ قَدِمتَ عليه، إن خِفنا الجُوَادا[2]

فالألفاظ(نرتشف، نستشفي، الجُوادا) تشكل صورا ذوقية عند المعريّ، فقد جعل خيله الأصيلة وإبله الكريمة تستحق الارتشاف، وكذلك أغماد سيفه، وما تبقى من سؤر خيله دواء[3].

رابعا: الموسيقى الشعرية

تعدّ الموسيقى ركناً أساسا في بناء القصيدة العربية، وهي من العناصر الأدائية التي يعتمد عليها الشاعر في نظم قصائده؛ لأنها تنظم الإيقاعات، وتوجد تناغما بينها وبين الألفاظ، ما يجعلها ذات أثر كبير في نفس المتلقي والسامع، وقد اعتمد القدماء والمحدثون على ظواهر موسيقية في كل قصيدة عربية[4] وأن مصادر الموسيقى كما يراها عماد علي الخطيب هي:

أ- الموسيقى الخارجية تنتج عن الوزن، والقافية، والتصريع جزء من القافية.

ب-الموسيقى الداخلية تنتج عن نسق التعبير، والتقفية الداخلية، وتكرار الحرف، أو كلمة معينة، والصورة الشعرية المصورة لإحساس الشاعر[5].

---

(1) هلال، ماهر مهدي، **جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب**، بغداد، دار الرشيد، 1980م، ص 29-30

(2) السؤر: ما يبقى في الإناء بعد شربه، الجُواد: العطش. المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص157

(3) التكريتي، **المضامين التراثية**، مرجع سابق، ص244

(4) التكريتي، **المضامين التراثية**، مرجع سابق، ص194

(5) -الخطيب، عماد، **في الأدب الحديث ونقده**، مرجع سابق، ص336

ويرى إبراهيم محمود خليل أن الموسيقى الداخلية تسمى الإيقاع، وهو مطلب اختياريّ معنويّ، ومن الأداءات التي يلجأ إليها الشاعر لضبط الإيقاع الداخليّ تكرار الأحرف أو الكلمات أو العبارات أو المقاطع[1].

1. الإيقاع الخارجيّ، ويتضمن:

أ. الوزن:

الوزن والقافية ركنان أساسيان للقصيدة العربية، لا يقوم بناء القصيدة إلا عليهما، وهما حجرا الأساس في الموسيقى الخارجية التي يقيمها العروض وحده، والوزن أعظم أركان الشعر، وله إيقاع يطرب الفهم لصوابه، وقد أكد عليه نقاد العرب القدامى، وأول ما يلفت إليه النظر في الأوزان أن الشاعر ليس مطالبا بإعداد الوزن، أو معرفة العروض، يقول ابن رشيق:" والشاعر المطبوع مستغنٍ بطبعه عن معرفة الأوزان، وأسمائها، وعللها.. والضعيف محتاج إلى معرفة شيء من ذلك[2]"، ويرى ابن رشيق القيروانيّ أن الوزن أعظم أركان الشعر، وأولاها به خصوصية، وهو مشتمل على القافية، وجالب لها بالضرورة[3].

والوزن يكتسب خصائصه من خلال التجربة، فقد نقرأ قصائد متعددة ذات وزن موسيقيّ واحد، لكن لكل قصيدة ميزاتها التي تفرض نفسها بما تملكه من أوزان وعلاقات تجعلها ذات قيمة[4]، ويرى بعض النقاد أن الوزن يأتي تبعا للحالة النفسية التي يكون عليها الشاعر أثناء النظم، وتبعا للغرض الذي ينظم فيه[5].

والخلاصة أن القصيدة تختمر في ذهن الشاعر، وتولد بأفكارها، وألفاظها، ووزنها، وقافيتها، وهذا الرأي يتفق مع طبيعة الشعر الجاهليّ الذي لم يعرف أصحابه علم العروض، وكل ما ورد في ذلك استنتاجات توصل إليها النقاد بعد دراسة الشعر واستقرار موضوعاته[6].

ويرى بعض النقاد ضرورة الربط بين الوزن والعاطفة، وأن الشاعر لا يكون شاعرا إلا بالنسج والتأليف بين الفكرة والعاطفة والصور والموسيقى اللفظية وتنسيق القالب الشعريّ[7].

ولقد سار المعريّ في نظم قصائده على أوزان البحور العربية المعهودة؛ اعتزازا بتراثه العربيّ، وأظهر قدرته المتميزة على المواءمة بين الألفاظ والأوزان العروضية؛ مبرزا جمال اللفظة، فقد نظم المعريّ على البحور العروضية كافة ما عدا :(المقتضب، والمجتث، والمتدارك،

---

(1) - خليل، إبراهيم محمود، **مدخل لدراسة الشعر العربيّ الحديث**، عمان: دار المسيرة، ط5، 2012، ص321
(2) ابن رشيق، **العمدة**، مصدر سابق، (134/1).
(3) - ابن رشيق، **العمدة**، مصدر سابق، (134/1).
(4) التكريتي، **المضامين التراثية**، مرجع سابق، ص195
(5) - مطلوب، أحمد، **دراسات وبلاغية ونقدية**، بغداد ، دار الرشيد، 1980م، ص455
(6) - بكار، **بناء القصيدة** ، مرجع سابق، ص161-163
(7) - بكار، **بناء القصيدة** ، مرجع سابق، ص 167

والهزج، والرمل، والمضارع)؛ لأنها لم تلائم حالته الشعورية والنفسية أثناء نظمه قصيدته، كما رتب المعريّ الأوزان حسب الدوائر والبحور لدى العروضيين، فنظم على الطويل ثم الكامل ثم البسيط، وقد احتل البحر الطويل المرتبة الأولى، ما يدلّ على أن أبا العلاء سار على الموروث العروضيّ للشعر العربيّ القديم، إذ كان الشاعر العربيّ القديم يضع البحر الطويل في مقدمة البحور؛ نظرا لما يمتاز به هذا البحر من الرصانة والجلال، فوصف السيوف، والرماح، ووقع الحروب، والترحال في الصحراء ليلا يلائم هذا البحر تماما[1].

يقول أبو العلاء المعريّ على البحر الطويل:

بَنُو الجلَباتِ الباعِثـــــونَ من النّدى سَـــراياه ُوالغازُون وَسطَ لُهامه
وهل يـَدّعي اللّــيلُ الدَّجُوجيُّ أنه يُضيءُ ضِياء الشمسِ شُهبُ ظلامه
ومـــا كان يُغني القِرنَ عن حملِ سيفه إذا الحَربُ شُبَّت كَثرةٌ مــن سِهامِه
ومـــــن يَبلُ مِن قبلِ اللّقاءِ سيـــوفَه يُمَيِّزْ ويعرِفْ عَضبَهُ مِن كَهامِهِ[2]

ويلاحظ من هذه الأبيات قدرة المعريّ الفائقة على المواءمة بين البحر الطويل والغرض الشعريّ؛ لأنه أعطى الألفاظ والتراكيب حقها في التعبير عن مضامينها وما تحمله من صعود وانخفاض في الجرس الموسيقيّ، فقد امتازت الأبيات بكثرة مقاطعها؛ فضلا عن ألفاظ الفخر، والمدح، والمناظرة، فهناك:(بنو الجلبات، الباعثون، الغازون، سراياه، العضب، الكهام، السهام)، فهذا الكمّ الكثير من الألفاظ القوية على البحر الطويل أضفت إيقاعا نفسيا يؤكد على ارتباط المعري بتراثه العربيّ، وقدرته على الاستقلالية[3].

واحتل البحر البسيط المرتبة الرابعة، ويمكن أن يعود ذلك إلى كونه بحرا راقصا يتصف بنغماته العالية، وبتغير حركيّ موجيّ ارتفاعا وانخفاضا[4].

يقول المعريّ على البحر البسيط:

يا ابن الألى غيرَ زَجرِ الخيلِ ما عَرفوا إذ تَعرِفُ العُربُ زَجرَ الشاء والعَكرِ
والقائِديهَا مـــــع الأضيافِ يتبعُهـا ألّافُهـا وألـــــوفُ الـلأَّمِ والبِدَرِ[5]

كما يعدّ البحر الكامل من أكثر البحور غنائية، وانسيابية، وتنغيما، فهو يتألف من تفعيلة صافية مفردة مكررة، لذا كان له في الشعر القديم مكانة بارزة، وقد احتل البحر الكامل المرتبة الثانية في سقط الزند[6]، يقول المعريّ على البحر الطويل:

---

(1) - التكريتي، **المضامين التراثية**، مرجع سابق، ص 196
(2) - المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، 99-100
(3) التكريتي، **المضامين التراثية**، مرجع سابق، 197
(4)علي، عبد الرضا، **العروض والقافية**، الموصل ، مديرية الكتب، 1989م، ص 109
(5) - المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص40
(6) التكريتي، **المضامين التراثية**، مرجع سابق، ص198

أبني كِنانَةَ إنّ حَشوَ كِنـــانَتي نَبلٌ بها نَبَلُ الرّجـــالِ هُلُوكُ

هل تَزجُرَنّكُمُ رسالةُ مُرسِـلٍ أم ليس ينفَعُ في أولاكَ ألُوكُ[1]

فجمع المعريّ في هذه الأبيات التي يصف فيها درعاً الليونة والخشونة التي تحمي صاحبها، وانعكس ذلك على ألفاظ الشاعر، والوزن العامّ[2].

ونظم المعريّ في البحر الوافر الذي احتل المرتبة الثالثة في سقط الزند، والسريع في المرتبة الخامسة، والخفيف في السادسة، والمتقارب في السابعة، والمنسرح في الثامنة، والرجز في التاسعة، وأهمل الباقي حسب انفعالاته النفسية، وأغراضه الشعرية.

ب- **القافيـــــة:**

وهي ركن من أركان القصيدة وبنائها وموسيقاها، والوزن مشتمل عليها، وجالب لها في النقد القديم، وهي لا تختلف عنها نظرة النقاد المحدثين الذين يعدونها عنصرا أساسا في بناء القصيدة وتوجيهها، وهي:" عدة أصوات تتكرر في أواخر الأبيات أو المقاطع، وتكررها هذا يكون جزءا من الموسيقى الشعرية، فهي بمثابة فواصل موسيقية يتوقع السامع ترددها في فترات منتظمة[3]".

وقد تعددت تعريفاتهم لها، فالخليل بن أحمد يرى:"أن القافية هي من آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه مع المتحرك الذي قبله[4]"، وأما الأخفش فيرى أنها:" آخر كلمة في البيت[5]"، وأما الجاحظ فعدّها:"خواتم أبيات الشعر[6]"

ومن النقاد الذين اعتنوا بالقافية ابن رشيق القيروانيّ، فقد عدّها:" شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر، ولا يسمى شعرا حتى يكون له وزن وقافية[7]"، ويرى كثير من النقاد أن تعريف الخليل بن أحمد هو الأصوب والأرجح، وأما النقاد المحدثون فرأوا أنها:" عدة أصوات تتكرر في أواخر الأشطر والأبيات من القصيدة، وهي بمثابة الفواصل الموسيقية يتوقع السامع مع ترددها، ويستمتع بمثل هذا التردد الذي يطرق الأذن بعدد معين من مقاطع ذات نظام خاصّ يُسمّى الوزن[8] "

---

(1) المعري، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص 365

(2) التكريتي، **المضامين التراثية**، مرجع سابق، ص 199

(3) -أنيس، إبراهيم، **موسيقى الشعر**،مرجع سابق، ص246

(4)-التنوخيّ، أبو يعلى عبد الباقي، **القوافي**، مصر مكتبة الخانجي، 1978م، ص 67

(5)-الأخفش، ابو الحسن(ت215ه)، **القوافي**، تحقيق: عزت حسن، دمشق ، دار الفكر، 1970م، ص6

(6)- الجاحظ، **البيان والتبيين**، مصدر سابق(179/1).

(7) - ابن رشيق، **العمدة**، مصدر سابق، (151/1).

(8) -أنيس، إبراهيم، **موسيقى الشعر**،مرجع سابق، ص246

وتكمن أهمية القافية في أنها تضبط الإيقاع الموسيقيّ، وتزيد القوة الموسيقية في التعبير؛ فضلا عن كونها تضبط المعنى وتحدده، وتشدّ البيت شدّاً وثيقاً بكيان القصيدة العام، ولولاها لأصبحت القصيدة مفككة[1].

إذن القافية هي الركيزة الأساسية التي تقوم عليها جمالية القصيدة، وانسيابها، والشاعر المجيد هو الذي يمنح قصيدته قوافيَ تحكم نظمه، ولا يأتي بها ثقيلة أو متنافرة الحروف، أو قلقة، وقد وضع النقاد شروطا للقافية، ولا شك أن الحالة النفسية للشاعر تؤثر تأثيرا كبيرا في القافية، وكذلك الغرض الشعريّ، فما يصلح في الحماسة لا يصلح في الغزل مثلا[2].

وهناك عيوب ومآخذ على القافية في النقد القديم والحديث، منها: عدم مناسبة الكلمة التي فيها القافية للمعنى الذي يريده الشاعر، ومنها: ما يسمى بالقافية المستدعاة التي لا تفيد معنى، ومنها: الإقواء، والإكفاء، والإيطاء: وهو تكرار القافية بالمعنى نفسه، لذا لا بد من تنقية القصيدة، وتنقيحها، وتهذيبها، ومنها: أن لا يتم البيت ولا القافية حتى يكون تمامها في البيت الثاني، وأشار النقاد إلى ديوان (لزوم ما لا يلزم) للمعريّ، فرأوا فيه عبئاً على الشاعر، وقيد كبير، وكدّ لقريحته، وإن كان ذلك توسعا لفصاحته وبلاغته؛ لأنه ألزم نفسه ما لا يلزمه الشيء من عيوب القوافي، ومنهم من رأى عكس ذلك: كابن الأثير، وابن سنان فقد عدوه اقتدارا[3].

وقد اعتنى المعريّ بالقافية، وكانت إحدى سماته الفنية، فقد نوّع في قوافيه تبعاً لغرضه الشعريّ، ووجدانه الشعوريّ، فكان يعقد صلة بين القافية والإيقاع الخارجيّ والغرض الشعريّ وحالته النفسية، فقد نظم المعريّ على جميع أشكال القوافي، وكان غالبا ما يلتزم بحرف واحد مع الرويّ من بداية القصيدة إلى نهايتها؛ لأن الرويّ هو الحرف الذي تبنى عليه القصيدة، ويلزم في كل بيت منها في موضع واحد، فتسمّى القصيدة ميمية، أو دالية على وفق حرف الرويّ[4].

كما نظم أبو العلاء على (القوافي المطلقة) التي "يكون رويها متحركا[5]"، كقوله:

علّلاني فإنّ بـِيضَ الأماني ... فَنِيَت والزمـان ليسَ بِفـــاني

إن تَنَـــاسَيتُـــما وِدَادَ أناسٍ ... فاجعَلاني مِن بعضِ مَن تَذكُراني

رُبّ ليلٍ كأنّه الصّبحُ في الحُسنِ ... وأن كانَ أســـودَ الطّيلَسـانِ[6]

---

(1) -خلوصي، صفاء، **فن التقطيع الشعري**، بغداد ، دار الشؤون الثقافية، 1987م،ص 221

(2) - التكريتي، **المضامين التراثية**، مرجع سابق، ص 213

(3) - بكار، **بناء القصيدة**، مرجع سابق، ص191

(4) -التبريزيّ(ت502ه)، **الكافي في العروض والقوافي**، تحقيق: الحساني حسن عبدالله، نصر، مكتبة الخانجي، 1976، ص 149.

(5) - السكاكيّ، **مفتاح العلوم**، مصدر سابق، ص 871

(6) - المعري، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص90

فقد امتزجت هذه الأبيات بموقف المعريّ النفسيّ فوازن بينها وبين القافية التي بنيت على حرف الرويّ وهو (النون) المكسورة مع التزام المعريّ بحرف الألف قبل الرويّ الذي يسمّى (الردف)، فهذه القافية مطلقة، وقد وردت في (سقط الزند) في أكثر من موضع[1].

أما القافية المقيدة:(وهي التي يكون رويّها ساكنا)فقد جاءت في (سقط الزند) أقل من المطلقة؛ لكونها أقل موسيقية[2]، ومنها قوله على لسان رجل ينادي على درعه من يشتريها:

مَن يشترِيها؟ وهيَ قَضّاءُ الذّيلْ كأنّها بَقِيّةٌ مِنَ السّيـــلْ

عّيبّتُها مَحســـوبَةٌ اثرَ الخَيلْ مَزادَةً مَملْوءةً مِن الغَيـل

ليس الذي يَملِكُـــها بزُمَّـــيل هدِيّةٌ مِن مَلِكٍ إلى قَيل[3]

ج- التصريع:

وهو تصيير مقطع آخر المصراع الأول في البيت الأول من القصيدة مثل قافيتها، أو ما كانت عروض البيت فيه تابعة لضربه، تنقص بنقصه وتزيد بزيادته[4]، وقد أكد النقاد على ضرورة التصريع ولزومه؛ لأنه مذهب الشعراء المطبوعين المجيدين، ولأن بنية الشعر هو التسجيع والتقفية، وعوّلوا عليه في مطلع القصيدة؛ لأنه يميز الابتداء عن غيره، ولأن له في أوائل القصائد طلاوة وموقعا في النفس؛ لاستدلالها به على قافية القصيدة، وعكسه التجميع وهو عيب، ويخلف ظن النفس في القافية، والتصريع عند النقاد دليل على قدرة الشاعر، وسعة فصاحته، واقتدار في بلاغته، ويجوز فعله إذا انتقل الشاعر من قصة إلى قصة، أو من وصف إلى وصف[5].

ويعتمد عليها المعريّ على تصريع أبيات القصيدة جميعها، فهو يتبع منهج الشعراء القدماء في التصريع الذي استخدمه في مطلع قصائده، كما في قصيدته التي مطلعها:

أسالَت أتِيَّ الدّمعِ فَوقَ أسيلِ ومالت لِظِلِّ بـــــالعِراقِ ظَليلِ

أيا جارَةَ البيتِ المُمَنَّع جارُهُ غَدَوتُ ومَن لي عندكُم بَمقِيلِ[6]

كما اعتمد المعريّ على الترصيع:(وهو ظاهرة خاصة بالوزن والقافية، وهي أن تكون الألفاظ مستوية الأوزان متفقة مع الأعجاز ومقاربتها[7])، كما في قوله:

وخُلّةُ الضّربِ لا تُبقي له خِلاً وحُلّةُ الحَربِ ذاتُ السَّردِ والحَلَقِ[8]

---

(1) - التكريتيّ، **المضامين التراثية**، مرجع سابق، 215
(2) التكريتيّ، **المضامين التراثية**، مرجع سابق، 215
(3) - المعري، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص333
(4) ابن رشيق، **العمدة**، مصدر سابق، (173/1).
(5) بكار، **بناء القصيدة**، مرجع سابق، ص174
(6) - المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص213
(7) - قدامة بن جعفر، **نقد الشعر**، مصدر سابق، ص40
(8) - المعري، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص138

والترصيع هنا في (خلة الضرب، وحلة الحرب)، وهذا منح إيقاعا داخليا.[1]

ولعل من أجمل القوافي أن تكون متبوعة بألف ناتجة عن إشباع حركة الرويّ، وتسمى الألف ألف الإطلاق الشعريّ، ومنه قول المعريّ:

أرى العَنقاء تَكْبرُ أن تُصادا فعانِد مَن تُطيقُ لهُ عِنادا[2]

وقوله:

مُكَلَّفُ خَيلِهِ قَنصَ الأعَادي وجاعِلُ غابِهِ الأسَل الطِّوَالا[3]

ومن الأساليب المستحسنة التي اتبعها المعريّ في القافية التزامه بحرف دون آخر، فمثلا كان يورد حرف الدخيل:(وهو الحرف المتحرك الذي يقع بين التأسيس والرويّ مستغنيا عن الردف[4])، كقوله:

أمعاتبي في الهجر إن جاريتني طلق الجدال وجدت عين الظالمِ

حوشيت من شكوى تعاد وإنما شكـــواك من نظر بدجلة عارمِ

فقافية هذه القصيدة الميم وهو حرف الرويّ الذي سبقه حرف الدخيل المتحرك وهو اللام المكسورة وتسمى حركة الإشباع[5].

والخلاصة أن أبا العلاء اعتنى بموسيقى القصيدة في (سقط الزند) عناية كبيرة، فضمنها ألفاظا ودلالات ورموزا ذات إيقاعات خاصة؛ ليعبر عن حالته الشعورية، وأوجدت الموسيقى تناغما بين الألفاظ والتراكيب، فأضفى بذلك على قصائده إبداعا وجمالا مشهودا.

وقد تأثر المعريّ بالتراث العروضيّ القديم، وسار على نهج الشعراء الأوائل، فقد جاء البحر الطويل في المرتبة الأولى في قصائد (سقط الزند)، ثم البسيط، فالكامل، فالمتقارب، فالوافر؛ متأثرا بحالته الشعورية، والغرض الشعريّ الذي ينظم فيه.

كما أولى المعريّ القافية عناية خاصة، فقد تنوعت القافية في (سقط الزند) من قافية مطلقة إلى مقيدة إلى مزدوجة، وغلبت على معظم مطالع قصائده ظاهرة التصريع، ما أضفى على شعره أجواء موسيقية ذات إيحاءات، وانفعالات قوية انصهرت في فكر المعريّ وخياله، ما جعله شاعرا مبدعا يستحق الدراسة والاهتمام.

---

(1) - التكريتي، **المضامين التراثية**، مرجع سابق، ص217

(2) - المعري، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص112

(3) - المعري، **سقط الزند**، المصدر نفسه، ص23

(4)-خلوصي، **فن التقطيع الشعري**، مرجع سابق، ص 250.

(5) - خلوصي، **فن التقطيع الشعري**، المصدر نفسه، 251

2- **الإيقاع الداخليّ:**

موسيقى القصيدة في النقد الحديث قسمان: خارجية يحكمها العروض وحده، وتنحصر في الوزن والقافية، والداخلية تحكمها قيم صوتية باطنية أوسع من الوزن والنظام المجردين، أو الإيقاع الداخليّ للكلمات كوحدات داخلية مضافا إليها ما لها نغم، فالموسيقى الداخلية تتمثل في اختيار الكلمات، وترتيبها، والمواءمة بين الكلمات والمعاني التي تدلّ عليها، وإيحاءاتها، وإيقاعاتها، وبالموسيقى الداخلية يتفاضل الشعراء، وبذلك كان القدماء يقولون: إن في شعر البحتري صنعة خفية، فشعره أصوات جميلة، وغناء مطرب[1].

كما استثمر المعريّ الإيقاع الداخليّ في إيجاد التناغم الصوتيّ بين الحروف والأفعال؛ لإبراز مشاعره الذاتية، واستخدم المعريّ أساليب متنوعة؛ لإيجاد الإيقاع الداخليّ، ومنها: التكرار بأنواعه، والجناس البديعيّ، والطباق، والمجانسة بين الحروف وأصواتها؛ لإحداث تقلبات صوتية معبرة عن الموسيقى.

ومعلوم أن مشاكلة اللفظ والمعنى وتلاحم الأجزاء قاعدتان من قواعد عمود الشعر، فموسيقى الكلمة وليدة صلات عدة، منها: أنها تنشأ من علاقتها أولا بما قبلها وبما بعدها من الكلمات، ومن علاقتها بمجموع النصّ، وتنشأ كذلك من قوة الكلمة في الإيحاء، لذا فمهمة الشاعر أن يركب الأقوى على الأضعف في المواطن المناسبة، فالقصيدة الموسيقية يأتلف في بنيتها نمط موسيقيّ من الأصوات ونمط موسيقيّ من المعاني الثانوية للألفاظ في هذه البنية، فالألفاظ لها نغمة لذيذة في الأذن، وحلاوة في الفم، وقد يكون من مظاهر الموسيقى الداخلية الاهتمام بالمحسنات البديعية من: جناس، وطباق، وتكرار؛ إذ يساعد كل ذلك على الجرس اللفظيّ، فالجناس يظهر أثره في وحدة الجرس، والطباق يظهر أثره في تنويع هذه الوحدة[2].

وللإيقاع الداخليّ - أو لموسيقى الداخلية - مكانة هامة عند النقاد من حيث تأثيره في الوزن والنغم الموسيقيّ للمفردة، وينشأ عن التوافق الصوتيّ بين مجموعة من الحركات والسكنات، ويؤدي وظيفة سمعية وذوقية في المتلقي، والإيقاع الداخليّ عبارة عن موسيقى خفية تنبع من اختيار الشاعر كلماته وما فيها من تلاؤم الحروف والحركات، وكأن للشاعر أذنا داخلية وراء أذنه الظاهرة تسمع كل حرف وحركة بوضوح تام[3].

فالألفاظ تمثل الجرس الموسيقيّ داخل الوزن العام للقصيدة، وتكرار هذه الأجراس الصوتية تمثل الإيقاع الداخليّ المؤثر في السامع؛ مستثمرا لغته ودلالاتها في تكوين هذا الإيقاع، فاللغة التي

---

(1) - بكار، **بناء القصيدة**، المصدر نفسه، ص191- 195

(2) - أنيس، إبراهيم، **دلالة الألفاظ** ، ط1، مصر، مطبعة البنيان العربيّ، 1968، ص198.

(3) - ضيف، شوقي، **في النقد الأدبيّ**، مصر، دار المعارف، 1962، ص 97.

تصور هذا الانفعال لا بد أن تكون موزونة، ذات مظاهر لفظية متباينة؛ لتلائم معناها وتكون صداه الصحيح[1].

وقد برز الإيقاع الداخليّ في شعر المعريّ من خلال اختياره الدقيق للألفاظ، وحروفها، وأصواتها، والاهتمام بظاهرة التكرار؛ مستغلا خياله الواسع لإيجاد قصائد ذات إيقاعات داخلية موحية ومؤثرة، ولعل اهتمامه بالتكرار في الإيقاع الداخليّ يكمن في اعتماده على تناوب الألفاظ، وإعادتها في سياق التعبير، بحيث تشكل نغما موسيقيا يقصده الناظم في شعره[2].

ومن أمثلة التكرار عند أبي العلاء تكرار الأدوات، كما في قوله:

ولو مَرّت بخَيلِكَ هُجنُ خيلٍ وهَبنَ لعُجمَها نسباً صريحا

ولو رُفعَت سُروُجُكَ في ظَلامٍ على بُهُمٍ جَعَلنَ لها وُضُوحا

ولو سَمِعَت كلامَكَ بُزلُ شَولٍ لعادَ هَديـرُ بازِلِها فَحيحا[3]

فقد كرر أداة الشرط (لو) ليثير في نفس الممدوح الحماسة والتعبئة للقتال[4].

ومن أنواع التكرار التي تحدث إيقاعا داخليا (تكرار حروف) معينة تحمل نغمات موسيقية، وتكوّن قاعدة صوتية في بناء الكلمة والوزن العام للقصيدة، ومن الحروف التي كررها المعري في سقط الزند (حرف القاف)، وهو صوت مجهور لهويّ مفخم، يحث نغمة موسيقية قوية؛ ليؤكد قوة الخيل العربية، وأصالتها، والتي ملأت الجو غبارا، ونثرته فوق الأرض كناية عن كثرة القتلى، وكثرة الدماء. [5]، يقول المعريّ:

أقائِدَها تُغِصّ الجوّ نَقعـاً وفوقَ الأرضِ مِن عَلَقٍ جِســـادُ

وقد أدمَت هَوادِيَها العَوالي وأنضبَها التّطـَــاوُلُ والطـرادُ

مُقَلّدَةَ بهاماتِ الأعـــادي كما بالـدُّرّ قُلّـــــدَتِ الخِـــرَادِ[6]

ومن أنواع التكرار كذلك (تكرار الجمل والتراكيب)، وهذا النوع يأتي لتقوية النغم في أداء الغرض المراد[7]، ومن أمثلة ذلك عند المعريّ قوله:

فلو سمَحَ الزمانُ لها لضَنّت ولو سمَحَت لضَنّ بها الزّمان[8]

---

(1) -الشايب، أحمد، **الأسلوب**، مرجع سابق، ص66.
(2)-التكريتي، المضامين التراثية، ص204
(3) - المعري، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص61-62.
(4) - التكريتي، **المضامين التراثية**، مرجع سابق، ص 204.
(5) التكريتي، **المضامين التراثية**، مرجع سابق، ص206
(6) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص66
(7) هلال، **جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي**، مرجع سابق، ص 244
(8) المعري، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص 46

فقد كرر المعريّ(سمح الزمان) مرتين ليؤكد فعل الزمان بأحباه، فلو سمح الزمان بوصلها لضنت به، ولو سمحت هي بالوصل لضن الزمان به، ففي كلتا الحالتين لا يصل منها إلى نائل[1].

ويعدّ الجناس من الأساليب البلاغية التي يستخدمها الشعراء لتقوية الإيقاع الداخليّ للقصيدة، والجناس يعني: تشابه كلمتين في الحروف واللفظ واختلافهما في المعنى[2].

وأضاف الجرجانيّ اهتمامه بالألفاظ، ورأى أنه لا يستحسن تجانس اللفظين إلا إذا كان موقع معنييهما من العقل موقعا حميدا، ولم يكن مرمى الجامع بينهما بعيدا[3].

وقد استخدم المعريّ الجناس بكثرة، كون الجناس يستدعي ميل السامع والإصغاء إليه[4]؛ ولأن الجناس يوجد التجاوب الموسيقيّ الصادر عن تماثل الكلمات تماثلا كاملا أو ناقصا فيطرب الأذن، ويؤنس النفس، ويهز أوتار القلب[5].

كذلك فإن للطباق - وهو لون بديعيّ - أهمية كبيرة في تقوية الإيقاع الداخليّ للقصيدة، فهو يوجد صورة ذهنية ونفسية يوازن بها عقل المتلقي ووجدانه، ويبين ما هو حسن، ويفصله عما هو غير ملائم[6].

وقد استغل المعريّ هذا اللون البديعيّ ليوجد توافقا بينه وبين المتلقي لإحداث نوع من التقلبات الصوتية في الإيقاع الداخليّ محدثا نغما خفيا، إذ يقول:

به غرقى النجوم فبين طافٍ وراسٍ يستسرّ ويُستبانُ[7]

فجاء الطباق في كلمتي(طافٍ، وراسٍ)و(يستسرّ، ويستبان)، فهو أراد أن الخيل وردت منهلا صافيا ترى في النجوم التي ظهرت بأشكال مختلفة، فبعضها طافٍ والآخر راسٍ، وبعضها ظاهر والآخر خفيّ، وهذه الألوان البديعية من الطباق منحت البيت إيحاءات جميلة، وأحدثت إيقاعا داخليا[8]، ومنه قوله:

كِلا كفّيكَ في سَلمٍ وحَربٍ يكَـــونُ الخوفُ مِنها والأمانُ

فليس بشاغِلِ اليُمنَى حُسامٌ وليس بشاغِلِ اليُسرَى عِنانُ[9]

(1) التكريتي، **المضامين التراثية**، مرجع سابق، ص 205
(2) السكاكي، **مفتاح العلوم**، مصدر سابق، ص668
(3) الجرجاني، **أسرار البلاغة**، مصدر سابق، ص 4
(4) الهاشميّ، **جواهر البلاغة**، مرجع سابق، ص 32
(5) مطلوب، **فنون بلاغية**، مرجع سابق، ص 236
(6) مطلوب، أحمد، **البلاغة والتطبيق**، بغداد ، دار الحكمة، 1990م، ص443.
(7) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص52
(8)التكريتي، المضامين التراثية، ص211
(9) المعريّ، **سقط الزند**، مصدر سابق، ص52

فالطباق بين(سلم وحرب)و(خوف وأمان)و(يمنى ويسرى) جعلت موسيقى البيت ترتفع وتنخفض؛ إذ الممدوح يقاتل بكلتا يديه من شدة بأسه، وقد أحدثت هذه الألوان البديعية إيقاعا موسيقيا جميلا وقويا يرهب الأعداء، ويرفع من مقام الممدوح[1].

(1) التكريتي، **المضامين التراثية**، مرجع سابق، ص 207

الخاتمـــــــــــــــة

النتائج والتوصيات

بعد أن منّ الله (عزّ وجلّ) عليّ وتفضّل بأن أعانني على إنجاز هذه الأطروحة بعنوان: صورة الطبيعة في ديوان (سقط الزند) لأبي العلاء المعريّ، أودّ أن ألخّص أهم الاستنتاجات التي توصلت إليها الباحثة في هذه الدراسة، والتوصيات التي يمكن تقديمها للباحثين، وأهل الاختصاص، وهي كالآتي:

- يكاد المعريّ أن يكون شاعر الطبيعة؛ لكثرة استخدامه وتوظيفه لعناصرها في أشعاره.

- المعريّ يقظ، يملك حواسّ متيقظة متفاعلة مع عناصر الطبيعة، يبادلها العواطف، ويجسدها، ويبعث فيها الحياة كأنها إنسان له مشاعر، فلم يقف العمى أمامه حائلا لكي يعبر عن تبادل هذه المشاعر، فينتقي من الطبيعة ما يعبر عن طموحاته الكبرى، وآماله العالية الواسعة.

- لم يخصص المعريّ قصيدة أو مقطوعة شعرية كاملة خاصة في وصف عنصر من عناصر الطبيعة كما فعل غيره من الشعراء، بل جاء ذكر عناصر الطبيعة في معرض التشبيهات، أو المقارنات، أو معرض المدح، أو الهجاء.

- يمثل ديوان (سقط الزند) مرحلتين شعريتين مرّ بهما المعريّ: الأولى مقلدا للمتنبي وأبي تمام في مرحلة شبابه قبل رحلته إلى بغداد، والثانية مرحلة النضج الفنيّ بعد عودته من بغداد وانعزاله في المعرة خمسين عاما.

- تأثر المعريّ بغيره من الشعراء المتقدمين، وبخاصة الفحول منهم: كامرئ القيس، وعنترة بن شداد، والنابغة الذبيانيّ، ولبيد، والمتنبي، وأبي تمام.

- اهتم المعريّ بلغته الشعرية اهتماما كبيرا جعل الدارسين يتناولون ديوانه(سقط الزند) بالبحث، والتحليل، والنقد، ومنها هذه الدراسة التي كانت بعنوان: صورة الطبيعة في ديوان (سقط الزند) لأبي العلاء المعريّ، فقد كان للفظة والتركيب والصورة الشعرية لدى المعريّ دورٌ كبيرٌ في التعبير عن أفكاره، وانفعالاته الذاتية، وإبراز غرضه الشعريّ؛ وليظهر قدرته اللغوية، وبخاصة قدرته على التلاعب بالألفاظ.

- كثيرا ما يلجأ إلى أسلوب التورية، والتلغيز، والإيهام؛ ويمكن إرجاع ذلك إلى تكوين شخصيته المغلفة بالعزلة، ونزعة التشاؤم، وإظهارا لتفوقه الشعريّ، وكأنه ينسج شعره لطبقة المثقفين.

- كان الخيال لدى الشاعر المعريّ أساساً في تشكيل الصورة الفنية الشعرية المتنوعة؛ فضلا عن ذوقه وحسه للمدركات المحيطة به، فجاءت صوره الشعرية متدفقة بالانفعال، معبرة عن حالات الحزن والفرح، فقد أسعفه قاموسه اللغويّ ومخزونه من الثقافة اللغوية وذاكرته القوية في تحويل

رموز هذه الصورة إلى رموز تعبيرية تهدف إلى التأثير في ذهن المتلقي، كما نوّع المعريّ في صوره الشعرية: السمعية، والذوقية، والشمّية، واللمسية، والبصرية، واللونية.

- استخدم أساليب التجسيم، والتجسيد، والتشخيص، والتجريد كثيرا على مذهب أستاذه أبي تمام صاحب مدرسة الصنعة.

- يستخدم ألوان البديع بكثرة، وبخاصة الجناس والطباق، ما جعله يتصنع في ألفاظه وتراكيبه، حتى مال إلى الغموض والتعقيد.

- استخدم المعريّ أسلوب التجنيس كثيرا لعدة غايات، منها جمال المعنى، وروعة الألفاظ، وعذوبة الإيقاع الداخليّ، وإظهار قدرته الشعرية.

- عبرت الموسيقى في ديوان(سقط الزند) للشاعر المعريّ عن تجربته الشعورية، وعاطفته التي فاضت به روحه ومشاعره الفياضة، فقد تدفقت هذه الموسيقى بشكل هادئ ورصين، إذ استخدم البحور الشعرية الخليلية بشكل ناجح.

- ظهر التناسب الصوتيّ بين الحروف ومخارجها بشكل جليّ، ما انعكس على الإيقاع الداخليّ، واستخدم أساليب عدة لإيجاد هذا الايقاع الداخلي: كالتكرار، والتجنيس، والطباق.

جدول جرد الديوان (سقط الزند)

الـــسمـــــــــاء

100/1 الليل

103/1 النجم

103/2 الحادس

104/5-4 المطر

105/5 الليل

106/7 الليل

107/1 الصباح

107/9 الشمس

108 الشمس والسماء

110/1 الثريا

111/3 البدر

114/1 مطر

105/4 نجوم

120/2 الشمس

123 /6-1 الليل والبدر

125/5 البرق

128/1-3 الليل والنجم

3-1/ الشمس والبدر

131 /10-7 الليل والبدر

132 /2_1 نجوم

134 /8-5 النجوم

135/5 النجم

154/1 النجم

156/9-6 الليل والنجم

158/9 الشعرى

160/10 الغيث

162/3-2 الثريا

162/7 الشمس

169 /9-4 الشهب والنجوم

170/408 الثريا

173/8 النيرات

181/1 السحاب

187/4 الليل والصبح

192/1 الشهب

194/4 البدر

203/7-5 النجوم

206/8 الكواكب

217/7 الشمس

217/6 البدر

219/4 نجم

230 /4-2 الغيث

231/5-4 الليل والنهار

232/2 الغمام

241/3 هلال

255/9 الشمس

258/1 السمال

159/1 الشعرى

262/1 الليل

266/6 الليل

267 الليل

275/9 سهيل

278/1 الليل

280/5-4 الغاديات

282/6 الليل

278/8 الليل

288/5-1 سهيل والزرقان

314/4 النجم

351/4 الثريا
11/ 366 الليل
389/8 المريخ وزحل
390/3 البارق
390/14 الغيث
397/10 سهيل والشعرى
21/1 ظلام
21/2 النجم
22/1 شمس
22/2 سراب وجمال
26/2 السماء
27/1 الليل
28/5 البرق
29/1 الليالي
30/3 شمس الضحى
31/7 الغيم
31/8 الرياح
32/3 نجوم الليل
34/3 القمر
36/1 البرق
36/2 المطر
36/5 النجم
36/6 الليل
39/6 السماء
39/7 الغيث والنجم
40/6 البدر
40/8 المطر
41/5 شمس
41/3 السماء
42/1 الشهب
44/1 النجم
44/2 الغيث
44/3 الشمس
46/3 البدر
47/6 الصباح
50/1 النجوم
52/1 النجوم
52/4 الليل
52/6 الثريا
54/2 الكواكب
55/2 الفجر
55/3+4 النجوم
55/12 الهلال
57/1 البرق
57/3 الليل
57/5+6 الريح
58/1 البرق
56/10 القمران
58/8 الليل
64/1 البدر
97/1 الجوزاء
61/2 النجم
99/6 الريح
64/5 الليل
66/10 الليل والنار
93 أسماء النجوم
67/1 الكواكب
67/4 الريح
68/8 العاصفات
70/7 الريح
70/5 الشهب
57/5+4 البدر
76/1 الغمام
76/10 السحاب
78/4 النجوم
79/5 العاصفات
82/1 المطر
82/4 الليل
88/1 البرق
89/4+3+2 الفجر
89/7 البدر
90/3 الليل
90/9 الهلال
91/1 الفرقدان
91/3 سهيل
39/2 الماء

40/7 النار
32/5 النار
42/8 البطحاء
44/6 البيداء
45/3 النار
47/6 النخيل
47/10 الماء
51/6 الغدير
53/8 الوهاد
55/7 الربيع
61/1 الربيع
61/3 الصحراء
62/8 البحر
65/6 الغوائر والنجاد
70/8 الربيع
70/10 الجبال
77/1 البحر
77/6 الجبال

الأرض

27/5 الصحراء
22/2 البيداء
34/1 الغدير
39/2 الماء
40/7 النار
32/5 النار
42/8 البطحاء
44/6 البيداء
45/3 النار
47/6 النخيل
47/10 الماء
51/6 الغدير
53/8 الوهاد
55/7 الربيع
61/1 الربيع
61/3 الصحراء
62/8 البحر
65/6 الغوائر والنجاد
70/8 الربيع
70/10 الجبال
77/1 البحر
79/2 النار
80/4 الأنهار
94/8 الجداول
102/8 الأنهار
103/9 النار
287/9 بيداء
291/1 النسيم
291/5 حر الصيف
1+2/ 292 النار
295/6 العارض
314/6 السيد
320/3 المطر
321/6 غدير
352/6 أضاه غدير
382/9 السراب

الطيور

44/4 النبراة
38/4 الطير
38/3 الطائر
58/4 الحمامة
61/2 النعام
67/3 القطا
70/10 الطيور
71/1 العقاب
71/5 النعام
74/2 النسور
85/2 الطيور
88/5 الحمام
97/2 العقبان والحمام
112/1 العنقاء
124/8 النعام
154/2 الحمام
157/4 الغراب
173/7 الحمام
184/4 الصقر
189/3 النسر
207/1 العقاب

219/1 قمري
252/6+5
بزاة/ اغربة
268/2 الغراب
269/6 الغراب
284/4 الطير
289/6 غراب
303/ 5-1 الطير
339/7 الغراب
388/8 الغراب
390/10 الحمائم
401/4 الجراد

الحيوانات الأليفة

21/1 القلاص
22/3 النوق
23/2 المطي
23/5 خيل
24/1 سابن خيل
24/2 النعام
25/1 الرعال
28/1 جواد
28/7+6 الجبال
21/4+3حافر الحصان
29/3 الوجناء الناقة
40/3 الخيل
40/3 الشاء والعكر
41/4 الجياد
42/3 ضرغام
42/4 الليث
43/3 الفراغ
44/2 ابل
50/7 الجياد
51 /2+1 الخيول
58/7 المهر
58/9 فرس
59 /5+4 الجياد الخيل
60/1 خيول
61/9الخيل
62/2 الثور
65/4 الجياد
70/6 الخيل
72/4 الخيل
84/2 الناقة
86/1 الخيل
86/5 الابل
87/2 الخيل
89/5 القلاص
89/6 الضباء
96/7 المطي
96/8 ناقة
99/4 الضرغام
99/7 جواد
101/1 العيس
101/3 الجواد
103/4الخيل 107/2 جواد
109/2 الخيل
110/5 الابل
116/6 الجياد
117/6العنعايا /الجواد
122/6 العيس
125/7 الخيل
127/2 الكلب
135/4 المهز
145/1 القطا
146/1 الجياد
14/2 الناقة
157/7 الخيل
158/3 العيس
163/7 الخيل
174/12+7 الخيل والابل
178/3 الناقة
213/3 الجمال
216/9-6 الخيل
220/7 الخيل
226/4 العيس
254/5 الخيل
269/4-2 الخيل

288/8 النوق
300/6+5+4 النوق
319/ 5+3 الخيل
334/6 النعام
343/4بقر الوحش
359/6 الظبي
392/4+3 القلوص

الحيوانات غير الأليفة

24/6 الجآذر
27/6 المهاة
37/6+53 الظباء
38/1 حآذر
38/4 الوحش
38/6 الظبي
66/8 الأراقم
73/5 الأسد
84/2 الليث
87/3 الذئب
88/6 الحيات
92/3 الرصان
99/8 هزز
104/1 الضب
105/10 الضيغم
116/4 الاسد
124/9 أم الخشف غزال
140/8 الاسد
141/4 الضيغم
152/7 السرحان
159/2الحوت والاسد
163/9 الوحوش
192/7 الاسد
199/5 الوحوش
262/8 الحيات
263/1 الضبع
264/8 اليرابيع
268 الضبع وعمرو
270/6+5 الحيات
276/1 الأسد
276/6 الحباب حيه
278/7 الحرباء
278/8 الحنادب
279/3 الضب
282/9 الوحوش
283/2 الاسد
287/8 الذئب
293/4 الضب
303/9 الليث
304/1 الذئب
323/5 ثعالب
336/5 الضب
338/1 الظبي
339/1 الذئب
344/6+5 الحية
351/2 الاراقم
351/6 الاسد
353/9 الضب
356/3 الافعى
361/4 الحية
375/6+5 الضب
383/7 الحرباء
394/9 الحيات

البساتين

134/1 روض
136/4-3 الروض
144/4-2 النخيل
243/3 النخل
244/3 الخزامى
246/4+3 زهر
257/7البهار والروض
272/1 النخيل
279/8 النخيل
283/1 الخزامى
286/6 النخل
295/8 أزهار
342/7 النخل
355/1 الربيع
358/1 الروض

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

- القرآن الكريم.

1) الأخفش، أبو الحسن(ت215ه)، **القوافي**، تحقيق: عزت حسن، دمشق ، دار الفكر، 1970م.

2) ابن الأثير، ضياء الدين(ت637ه)، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، مصر: دار نهضة مصر، د.ت.

3) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم الجزريّ، عز الدين ابن الأثير(ت630هـ). **الكامل في التاريخ**. تحقيق: عمر عبد السلام تدمريّ، بيروت: دار الكتاب العربي، الطبعة: الأولى، 1417هـ / 1997م.

4) ابن الأنباريّ، أبو البركات، كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاريّ، (ت577هـ)، **نزهة الألباء في طبقات الأدباء**، تحقيق: إبراهيم السامرائي، الزرقاء- الأردن: مكتبة المنار، الطبعة: الثالثة، 1405 هـ - 1985م.

5) الباخرزيّ، أبو الحسن علي بن الحسن(ت467هـ). **دمية القصر وعصرة أهل العصر**. بيروت: دار الجيل، الطبعة: الأولى، 1414 هـ.

6) البغداديّ، أبو بكر أحمد بن علي(ت463هـ) **تاريخ بغداد**. تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، بيروت: دار الغرب الإسلاميّ، الطبعة الأولى، 1422هـ - 2002 م.

7) التبريزيّ، وآخرون(ت502ه). **شروح سقط الزند**. .تحقيق مصطفى السقا وآخرون، إشراف طه حسين، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987.

8) التبريزيّ، أبو زكريا أحمد بن علي،(ت502ه)، **الكافي في العروض والقوافي**، تحقيق: الحساني حسن عبدالله، نصر، مكتبة الخانجي، 1976.

9) التبريزي، أبو زكريا يحيى بن علي(ت 502ه)، **شرح المعلقات العشر**، علق عليه محمد الخضر، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ب، ت

10) ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي بن عبد الله(ت874هـ). **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**.مصر:وزارة الثقافة والإرشاد القوميّ، دار الكتب،2002م.

11) التنوخيّ، أبو يعلى عبد الباقي، **القوافي**، مصر مكتبة الخانجي، 1978م.

12) الثعالبيّ، أبو منصور عبد الملك بن محمد(ت429هـ). **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**.تحقيق: د. مفيد محمد قمحية، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1983م.

13) الثعالبيّ، الإمام أبو منصور عبد الملك بن محمد(ت429هـ). **فقه اللغة وأسرار العربية.** تحقيق محمد إبراهيم سليم، القاهرة: مكتبة القرآن، 2003.

14) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر(ت255ه). **كتاب الحيوان.** بيروت: دار الكتب، ط2، 1424هـ.

15) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر(ت255ه)، **البيان والتبيين**، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: السابعة 1418هـ، 1988م.

16) ابن جبير، أبو الحسين، محمد بن أحمد الأندلسي، أبو الحسين (ت614هـ). **رحلة ابن جبير**، بيروت: دار ومكتبة الهلال،1987.

17) الجرجانيّ، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد(ت471هـ)، **أسرار البلاغة**، دار المطبوعات العربية، مصر، ب، ت.

18) الجرجانيّ، عبد القاهر(ت471ه)، **دلائل الإعجاز**، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2000م.

19) جرير(ت110ه). **ديوان جرير**. دار الكتب العلمية .بيروت، ١٩٨٦ .

20) ابن جعفر، قدامة(ت337ه) ، **نقد الشعر**، مصر، دار النهضة، 1978.

21) ابن جنيّ، أبو الفتح عثمان بن جني الموصليّ (ت392هـ)، **الخصائص**، بيروت، المكتبة العلمية، 2003م.

22) ابن الجوزيّ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي(ت 597هـ). **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك**. تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا،بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1412 هـ - 1992 م.

23) ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلانيّ(ت852هـ). **لسان الميزان**.تحقيق: دائرة المعرف النظامية – الهند، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة: الثانية، 1390هـ /1971م.

24) الحمويّ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الروميّ(ت626هـ). **معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**.تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار الغرب الإسلامي،الطبعة: الأولى، 1414 هـ - 1993 م.

25) الخزاعيّ، دعبل بن علي(ت220ه)، **شعر دعبل بن علي الخزاعي**، جمع وتحقيق عبد الكريم الأشتر، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، ب، ت.

26) ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت681هـ). **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان.**تحقيق إحسان عباس،بيروت:دار صادر.1998

27) ابن الدمينة(ت130ه)، **ديوان ابن الدمينة**، صنعة أبي العباس ثعلب ومحمد بن حبيب، تحقيق أحمد راتب النفاخ، القاهرة، دار العروبة، ب، ت.

28) الذهبيّ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز(ت748هـ).**تاريخ الإسلام، وَوَفيات المشاهير وَالأعلام.** تحقيق: الدكتور بشار عوّاد معروف، بيروت:دار الغرب الإسلاميّ، الطبعة:الأولى، 2003م.

29) الذهبيّ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد(ت748هـ). **سير أعلام النبلاء.** تحقيق شعيب الأرناؤوط، دمشق: دار الرسالة، 1985.

30) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد(ت748هـ). **نزهة الفضلاء .** إعداد الدكتور محمد موسى الشريف، مصر: مؤسسة أم القرى، ط2، 2012.

31) ابن رشيق، أبو علي الحسن القيروانيّ الأزديّ (ت463 هـ)، **العمدة في صناعة الشعر وآدابه**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: دار الجيل، الطبعة: الخامسة، 1401 هـ - 1981م.

32) الزركليّ، خير الدين بن محمود(ت1396ه). **الأعلام.** بيروت: دار العلم للملايين، ط15، 2000.

33) ابن زيدون، **ديوان ابن زيدون**، بيروت: دار القلم، شرح عمر فاروق الطباع، ب،ت.

34) ابن السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت771هـ)، **طبقات الشافعية الكبرى**، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1413هـ،

35) السكاكيّ، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي أبو يعقوب (ت626هـ)، **مفتاح العلوم**، تحقيق: أكرم عثمان، ط1، بغداد السلام، 1982م.

36) السمعانيّ، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميميّ(ت562هـ). **الأنساب.**تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وآخرون، حيدر أباد: مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة: الأولى، 1382 هـ - 1962 م.

37) السيوطيّ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر(ت911هـ). **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**.تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم،بيروت: المكتبة العصرية،2001.

38) الصفديّ، صلاح الدين خليل بن أيبك(ت764هـ) . **نكت الهميان في نكت العميان**.علق عليه ووضع حواشيه: مصطفى عبد القادر عطا،بيروت:دار الكتب العلمية،الطبعة: الأولى، 1428 هـ - 2007 م.

39) الصفديّ، صلاح الدين خليل بن أيبك(ت764هـ). **الوافي بالوفيات**. تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، بيروت، دار إحياء التراث،1420هـ- 2000م.

40) الضبيّ، المفضل(ت168ه). **المفضليات**. بيروت: دار الفكر، 1998

41) العباسيّ، أبو الفتح عبد الرحيم بن عبد الرحمن(ت963هـ). **معاهد التنصيص على شواهد التلخيص**. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: عالم الكتب،1998م

42) ابن العديم، عمر بن أحمد كمال الدين أبو حفص(ت660ه):

43) **الإنصاف والتحري في دفع الظلم والتحري عن أبي العلاء المعري**، تحقيق: مجموعة محققين، دار القومية، القاهرة، 1965م.

44) عمر بن أحمد بن هبة الله (ت: 660هـ)، **بغية الطلب في تاريخ حلب**، المحقق: د. سهيل زكار، دار الفكر.

45) عليّ بن الجهم(ت249ه)، **ديوان علي بن الجهم**، تحقيق خليل مردم بك، بيروت: لجنة التراث العربيّ، 1974.

46) العمريّ، شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله(ت749هـ). **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، أبوظبي: المجمع الثقافي، الطبعة الأولى، 1423 هـ.

47) عنترة بن شداد، **ديوان عنترة بن شداد**، تحقيق: بدر الدين حاضري، بيروت، دار الشرق العربيّ، 1992.

48) العينيّ، موسى بن أحمد (ت855هـ)، **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**، تحقيق: مجموعة محققين، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط1، 1431هـ/2010م.

49) أبو الفداء، الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل (ت732هـ). **المختصر في أخبار البشر**. مصر: المطبعة الحسينية المصرية، الطبعة الأولى،1974م.

50) -الفراهيديّ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصريّ (ت170هـ)، **كتاب العين**، بغداد ، دار الرشيد، 1980م.

51) -الفرزدق، همام بن غالب(ت110ه)، **ديوان الفرزدق**، بيروت، دار صادر، 1991م.

52) -الفيروزآباديّ(ت817ه)، **القاموس المحيط**. القاهرة: شركة القدس للنشر والتوزيع، ط1، 2009.

53) القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن، أبو المعالي، (ت: 739هـ)، **الإيضاح في علوم البلاغة**، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، بيروت: دار الجيل،1993 م.

54) -القفطيّ، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف(ت646هـ). **إنباه الرواة على أنباه النحاة**. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،القاهرة: دار الفكر العربيّ، ومؤسسة الكتب الثقافية-بيروت، الطبعة: الأولى، 1406 هـ - 1982م.

55) -ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشيّ البصريّ ثم الدمشقيّ(ت 774هـ) . **البداية والنهاية** .تحقيق علي شيري، بيروت: دار إحياء التراث العربيّ، الطبعة: الأولى، 1408هـ - 1988م.

56) -المتنبي، أحمد بن الحسين(ت354ه)، **ديوان المتنبي**، تحقيق عبد الوهاب عزام، القاهرة، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1944.

57) -مسلم بن الوليد(ت208ه)، **ديوان مسلم بن الوليد**، تحقيق سامي الدهان، مصر، دار المعارف، 1966.

58) المصريّ، ابن أبي الإصبع(ت654ه)، **بديع القرآن**، القاهرة، دار المعارف، 1975م.

59) المعريّ، أحمد بن عبد الله التنوخيّ(ت449ه)، **اللزوميات**، بيروت: دار صادر.

60) -المعريّ، أبو العلاء أحمد بن عبد الله التنوخيّ(ت449ه)، **سقط الزند**. شرح وتحقيق أحمد شمس الدين، بيروت: دار المكتبة العلمية، ط2، 2007.

61) -ابن منظور،أحمد(ت711ه)، **لسان العرب**. بيروت: دار صادر، ط 1، 1990م.

62) -النابغة الذبياني(ت605م)، **ديوان النابغة**، بيروت، المكتبة الثقافية، 1980م.

63) -ابن الورديّ، أبو حفص زين الدين عمر بن مظفر المعري الكنديّ(ت 749هـ). **تاريخ ابن الورديّ المسمى تتمة المختصر في أخبار البشر**. بيروت: دار الكتب العلمية ، الطبعة: الأولى، 1417هـ- 1996م.

64) -اليافعيّ، أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد(ت768هـ). **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**. وضع حواشيه: خليل المنصور، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1417 هـ - 1997 م.

المراجع

65) -إسماعيل، عزالدين ، **التفسير النفسيّ للأدب**، بيروت، دار الثقافة، 1991م.

66) -إسماعيل، عزالدين ، **الشعر العربيّ المعاصر وقضاياه**، بيروت، دار العودة، 1988م.

67) -الأشتر، صالح. **أبو العلاء المعريّ**. بيروت: دار الشرق العربيّ، 1973.

68) -إلياس، سعد غالي. **بحوث علائية.** دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1997.
69) -أنيس، إبراهيم، **موسيقى الشعر**، القاهرة ، مكتبة الأنجلو، 1985م.
70) -أنيس، إبراهيم، **دلالة الألفاظ** ، ط1، مصر، مطبعة البنيان العربيّ، 1968.
71) بكار، يوسف حسين، **بناء القصيدة في النقد العربيّ القديم في ضوء النقد الحديث**، بيروت: دار الأندلس، 1982.
72) التكريتي، أسماء صابر، **المضامين التراثية في شعر أبي العلاء المعريّ**، عمان، دار غيداء، الطبعة الاولى، 2012م.
73)-الجندي، محمد سليم، **الجامع في أخبار أبي العلاء وأثاره، تحقيق: عبدالهادي هاشم، دار صادر**، 1992م
74) الخطيب، عماد علي، **في الأدب الحديث ونقده**، دار المسيرة، عمان، 2011.
75) خلوصي، صفاء، **فن التقطيع الشعري**، بغداد ، دار الشؤون الثقافية، 1987م.
76) -خليل، إبراهيم محمود، **مدخل لدراسة الشعر العربيّ الحديث**، عمان: دار المسيرة،ط5، 2012.
77) -خليل شرف الدين، **الموسوعة الأدبية الميسرة**، مكتبة الهلال، بيروت، 1996م.
78) الخواجا، زهدي، **موازنة بين الحكمة في شعر المتنبي والحكمة في شعر أبي العلاء**، بيروت، دار الثقافة، 1976م.
79) الخنين، محمد سليم. **من ديوان سقط الزند. دمشق: منشورات دار الثقافة، 1999.**
80) الرباعي، عبد القادر، **الصورة الفنية في النقد الشعري، دراسة في النظرية والتطبيق**، عمان، دار جرير، ط1، 2009.
81) -الزاهد، زهير غازي، **لغة الشعر عند المعريّ: دراسة لغوية فنية في سقط الزند**، بغداد: دار الشئون الثقافية، 1989.
82) -الزيديّ، كاصد، **فقه اللغة العربية**، الموصل، دار الكتب العامة، 1987م.
83) السعيد، عزالدين علي، **التكرير بين المثير والتأثير**، بيروت عالم الكتب، 1986م.
84) السقطيّ، رسمية موسى. **أثر كف البصر على الصورة عند أبي العلاء المعريّ**. بغداد: مطبعة أسعد، 1968.
85) -الشايب، أحمد، **الأسلوب**، مصر، مكتبة النهضة، 1967م.
86) -الضامن، حاتم صالح، **علم اللغة** ، الموصل، مطابع التعليم العالي، 1989م.
87) -ضيف، شوقي. **الفن ومذاهبه في الشعر العربيّ.** مصر، دار المعارف، ب.ت.
88) -ضيف، شوقي، **في النقد الأدبي**، مصر، دار المعارف، 1962.

89) -عبد المجيد، مجدي، **الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي**، بيروت دار الشؤون، 1983م.
90) -عصفور، جابر، **الصورة الفنية في التراث النقدي**، بيروت، دار التنوير، 1983م.
91) عصفور، جابر، **مفهوم الشعر دراسة في التراث النقدي**، نشر المركز العربي للثقافية والعلوم، مصر، 1982م.
92) -علي، عبد الرضا، **العروض والقافية**، الموصل ، مديرية الكتب، 1989م.
93) العلي، عدنان عبيد، **شعر المكفوفين في العصر العباسيّ: دراسة نفسية وفنية في أثر كف البصر**، عمان: دار أسامة، 1999.
94) -غازي، زاهد زهير، **لغة الشعر عند المعري**، بغداد ، دار الشؤون الثقافية، 1989م.
95) مصلح، كمال. **أبو العلاء المعريّ: حياته، وشعره.** بيروت، المكتبة الحديثة، 1986.
96) مطلوب، أحمد، **دراسات وبلاغية ونقدية**، بغداد ، دار الرشيد، 1980م.
97) مطلوب، أحمد، **البلاغة والتطبيق**، بغداد ، دار الحكمة، 1990م.
98) مطلوب، أحمد، **فنون بلاغية** ، الكويت، دار البحوث العلمية، 1975م.
99) نازك الملائكة، **قضايا الشعر المعاصر**، مصر ، دار النهضة، 1967م.
100) الهاشميّ، محمد. **جواهر البلاغة.** مصر: دار فياض.2003.
101) هلال، ماهر مهدي، **جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب**، بغداد، دار الرشيد، 1980م.

الرسائل الجامعية

1) الدرابسة، عاصم زاهي مفلح، **بنية اللغة الشعرية في شعر أبي العلاء المعريّ**، الأردن، إربد، جامعة اليرموك، رسالة دكتوراة غير منشورة، 2012م.
2) جديتاوي، هيثم محمد قاسم، **المفارقة في شعر أبي العلاء المعريّ: دراسة في البنية والمغزى**، الأردن، إربد، جامعة اليرموك، رسالة ماجستير غير منشورة، 2000م.

الدوريات

1) عبدالله، شيماء نجم، **نجوم السماء وكواكبها في شعر أبي العلاء المعري الرؤية والتوظيف. مجلة كلية الآداب**، جامعة بغداد، العدد 90.
2) نصير، أمل، المفارقة في كافوريات المتنبي: قراءة نصوص مختارة، **أبحاث اليرموك**، مج 15، ع 2، 1997م.

Abstract

The Image Of Nature In (The Diwan Saqt Al-Zand) By Abu Al-Al-Ma,arri

Prepared by:

Hiba Attamimi

Al-bayt University

Supervisor:

Dr. Maha MBaydin

The current Study aimed at investigating the image of nature in(Diwan Saqt Al-Zand) By Abu Al-Alaa Al-Marri, and to achieve these aims and answer the Questions of this study the researcher used the surveying and descriptive method in(Diwan Saqt Al-Zand) By Abu Al-Alaa Al-Marri to determine these Images of nature, the questions of this study are:

1- What are the elements of these images of the nature in(Diwan Saqt Al-Zand) By Abu Al-Alaa Al-Marri?

2-What are technical characteristics of these images in(Diwan Saqt Al-Zand) By Abu Al-Alaa Al-Marri?

3- Does blindness resist Al-Marri to describe the nature accuracy ?

The researcher analyzed the poems in(Diwan Saqt Al-Zand) By Abu Al-Alaa Al-Marri to answer these mentioned Questions, and in the light of the results which are:

1- The elements of nature in(Diwan Saqt Al-Zand) By Abu Al-Alaa Al-Marri) are: moving nature(wild animals, familiar animals), solid

nature(night, morning, stars), Grounded nature(trees, seas, rivers), manufactured nature(gardens, palaces, pools).

2- Blindness doesn't resist Al-Marri to describe the images of the various natural elements, so he was successful and creative poetry .

3- he was large Arabic linguistic culture, and has a big encyclopedia in Arabic literature and other foreign cultures.

4- Al- Marri succeed in his various images by using board rhythm depending on musical word and structures, rather than inter rhythm depending on(Jinas, and tibaq).

the researcher produce some useful recommendations